الشخص

obeikandl.com

الشخص
رواية
أحمد محي الدين
الطبعة الأولى

دار الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف - من شارع مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة
موبايل : ٠١١٤١٨٢٤٥
dar_el7elm@hotmail.com
المدير العام : د.إسلام فتحى

تصميم الغلاف : أحمد فرج
إخراج داخلي : الحلم للدعاية والإعلان

رقم الإيداع : ٢٠١٤/١٩٧٧٦
رقم الترقيم الدولي : 978-977-6412-82-8

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

obeikandl.com

أحمد محي الدين

الشخص

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء

إلى المستقبل..

obeikandl.com

obeikandl.com

الجزء الأول

obeikandl.com

obeikandl.com

-١-

في أي عام تحيون الآن؟ بالنسبة لي الزمن هو يوم واحد لا ينتهي أبدًا، فأنا لا أنام، ولست مستيقظًا.. لا يوجد هنا ليل ونهار، فقط شيء بين ظلمة ونور لا يتلاشى.. لا عليكم، يوم تسمعون الصفير المزعج لجهاز متابعة القلب هذا، سأكف عن الثرثرة حتمًا.

لا أذكر آخر شيء حدث لي قبل أن أسقط أرضًا.. أظنني في غيبوبة منذ وقت طويل، لكن.. ما سببها؟

الألم في كل مكان، لذا لا شيء يساعد على التذكر.. اسمي.. اسمي.. لا أذكره، أعمل محاسبًا في شركة.. نعم أظن هذا.. لا بد أن هناك من يعرف كل شيء عني، فهناك أصوات بالخارج..

أشعر برغبة في النوم..

يتراءى لي وجه صارم..

وآخر متفائل..

ووجه مبتسم..

لماذا النباتات بلا روح؟

لماذا النباتات لها روح؟

شيء من هذا القبيل..

فليصِح المخرج «CUT» الآن، لقد أُرهق عقلي وسئمتُ التفكير.

* * *

اكتشفتُ الاختلافات العشرة بين الصورتين في أقل من ثلاث دقائق، علقت القلم بجيبي ثم أكملت تصفح المجلة الذي بدأته من نهايتها أمام كوب عصير الجوافة الحامض!

كنت بين الحين والحين أطالع الجالسين في الكافيتريا، والقادمين والخارجين،

obeikandl.com

والسقاة.. أتأمل ديكور المكان ومدخله.. أتحسس النقوش على مفرش الطاولة، وفتاة شقراء قصيرة الشعر تجلس وحدها.

طالعتُ صورة ملء صفحة لمنى زكي، ومررتُ بعيني على «الريبورتاج» المقابل للصورة، ثم قلبت الصفحة.

في أثناء مطالعة المجلة شعرتُ بحدثٍ غريب فاستدرت.. شخص طويل عريض، أنيق، يرتدي حلة سوداء لها قميص أخضر داكن و«كرافت» بدرجة مختلفة من الأخضر الداكن. كثير من العيون تابعتْ دخوله المحل حتى جلس إلى أقرب طاولة شاغرة صادفته، لا بد أنهم يتطلعون لشعره المجعد الأشقر القصير.. بحث بعينيه عن نادل، فجاءه واحد.

عدتُ للمجلة.. مناقشة لفيلم «عمارة يعقوبيان»، تأييد ومعارضة.. «حجة اختلاف وجهات النظر التي أفسدت كل شيء، فما عاد يتفق شخصان على خمسة أمور احتمالية».. هكذا ورد على لسان أحد المتكلمين عن الفيلم.

وضع النادل فنجان قهوة على طاولتي، تأملتُ الفنجان ثم النادل الهادئ، وقلت:

- لم أطلب قهوة.

- السيد هناك طلب وضعها هنا.

أشار النادل برأسه ناحية الرجل اللافت، فنظرت ناحيته، وجدته مشغولاً بالتحدث في تليفونه المحمول دون التطلع إليّ، سألت النادل:

- هل طلبها لي أم أنه سيشاركني الطاولة؟

هز النادل السخيف رأسه بمعنى أنه لا يعرف، ثم سألني بروتينية:

- أي أوامر أخرى؟

لم تكن لي أوامر أولى أصلا، فلوّحت للنادل بيدي متطلعًا للشخص من جديد لأجده يتجه نحوي.. جلس ببساطة وحيّاني بابتسامة صامتة، ثم بدأ يداعب الطبق أسفل فنجان القهوة.. تأملتُ ملامحه البارزة لحظة، وقررت التصرف بشكل أكثر غرابة مما فعل، فناديت أحد السقاة وطالبته بـ«شيك» الحساب،

openkandil.com

فأومأ برأسه وذهب.
مرت لحظة عاد بعدها الساقي الأول يحمل ابتسامة باردة ويقول:
- الحساب مسدد يا سيدي.
ربما اندهشتُ، لكني حتمًا تجاوزت الأمر سريعًا وأنا أنهض محولا المجلة المستطيلة إلى شكل أسطواني، وأهم بالخروج.
- بالمناسبة..
جاءني الصوت الهادئ من خلفي، فاستدرت ناحية فنجان القهوة لأجد الرجل يبتسم وهو يكمل:
- هل تعرف أين توجد الأنهار الخالية من المياه؟
لم أشأ النظر، كنت أرغب في تجاهل الرجل، ولكنها الاستجابة البديهية خذلتني. قطبتُ حاجبيَّ وأنا أعود لكرسي من جديد، وضعتُ المجلة التي رجعتْ لشكلها المستطيل، وبدا علي التفكير.
فكرت في كل الأماكن التي أذكر أن بها أنهارًا (مصر - فرنسا - أمريكا - أفريقيا - العراق) ثم حاولت تذكر كل أسماء الأنهار التي أعرفها (النيل - الفرات - السين - الأمازون)، حتى شلالات نياجرا.. كلها تجري فيها المياه، ربما نهر العاصي بالشام، ولكن به مياه أيضًا.. هل توجد أنهار جافة؟
حاولتُ إيجاد خدعة في السؤال نفسه، لو حذفت حرفًا أو كلمة.. لو أوصلت كلمتين ببعضهما.. كنت أفكر بسرعة دون تركيز كبير، إذ شتتني كنه الرجل وسبب السؤال:
- هل تسألني أنا؟
اتسعت ابتسامته لسذاجة السؤال.. أنا نفسي خجلت من سذاجتي، ولكنه قال بهدوء:
- إنه لغز بسيط، أتعشم أن تتمكن من حله بسرعة.
شيء محبب في أسلوبه جعلني أقبل التحدي.
- الخريطة.. توجد في الخرائط.

obeikandl.com

انطلق الرد مني فجأة بارتباك، فأومأ برأسه وقال:
- أحسنت، إنه سؤال قديم.. بالتأكيد مر عليك في المدرسة.
أومأتُ برأسي محاولا التذكر، لم أستبعد هذا، ولم يترك لي وقتًا طويلاً للتذكر، إذ قال ممسكًا المجلة:
- هذه المجلة.. عدد هذا الشهر، أليس كذلك؟
ما أسهل أن يطالع التاريخ على غلافها، ثم فطنت إلى أن يكون السؤال لغزًا آخر.. لكن أشرتُ إلى حافتها؛ حيث طبع التاريخ.. قلب صفحاتها عبثًا وهو يسألني:
- لا توجد بها ألغاز، أليس كذلك؟
لم أكن متابعًا متمرسًا لهذه المجلة، ولكن قلت:
- كلا.. لا توجد.
توقف عند صفحة اكتشاف الاختلافات وسألني:
- من حلّ هذا اللغز إذًا؟
- الاختلافات ليست لغزًا بالضرورة.
- ربما.. معك حق.
أغلق المجلة ونظر مباشرة إلى عيني وسألني بهدوئه وابتسامته:
- هل تحب الألغاز؟
- لا أعرف، لم أسأل نفسي مثل هذا السؤال قط.
- لنجرب معًا.
- لا مانع.
أسند ظهره على المقعد وأخذ يداعب فنجان القهوة، وأنا أتطلع إليه وقد بدوتُ متلهفًا للغز أحله، ثم قال:
- كيف لا تبتل عندما تخرج في الشتاء دون معطف أو مظلة؟
حاولت البحث عن الخدعة في السؤال، فلم أفلح. المعطف نرتديه في الشتاء، والمظلة نستخدمها في الشتاء والقيظ، لكن هل نخرج في الشتاء؟ نعم نخرج

في الشتاء.. إذًا كيف لا نبتل عندما نخرج في الشتاء؟
- تبًّا.
خرجتْ الكلمة باهتة من فمي، فاقترب من الطاولة بصدره دون أن يتكلم..
قلتُ مبتسمًا:
- عندما لا تمطر.
ابتسم بدوره وقال:
- أحسنت.. برافو.
«أحسنت» ثم «برافو»، إن له شخصية مدرّس على ما يبدو. فسألته مباشرة:
- ما لك والألغاز؟ هل أنت مدرس رياضيات؟
ابتسم متأملا وجهي ثم قهقه دون فجاجة، فاتسعت ابتسامتي كأنما قصدت إلقاء دعابة بالفعل، قال:
- كلا، لست مدرس رياضيات.
- مدرس ماذا إذًا؟
هنا قهقه من أعماقه وهو يتراجع على كرسيه، ولم أجد ما أفعله لأداري سذاجتي من جديد.
نظرتُ عبر النافذة فوجدت الليل يحل، والرجل يتأملني بعد أن فرغ من ضحكاته، وأغنية أجنبية تشدو في أرجاء المحل، قال:
- لم نتعرف، هل لديك مانع؟
سؤال صعب، الرجل يبدو ودودًا، وأنا لا أحب هذه الطرق في التعارف، ولا أستطيع إحراجه في الوقت ذاته.. لا بد أن أرغم نفسي إذًا على القبول، خصوصًا أنني تجاوبت معه طوال الوقت:
- لا مانع، إنه شرف لي.
- أنا «بوجي»، من سكان القاهرة.
لم أتوقف طويلاً عند غرابة الاسم، فكل شيء فيه غريب.. قلت محاولاً أن أكون ودودًا:

obeikandl.com

- القاهرة؟!
- مدينة الزحام.
- أهلاً بك، لا بد أنك تحب البحر إذًا.
- ليس تمامًا، أنا هنا في مهمة عمل.
- نعم، لقد عرفتُ أنك لا تعمل بالتدريس.
ابتسم لمجرد المجاملة، ثم قال بصوت منخفض:
- في الواقع أن عملي حساس ولا أود الإفصاح عنه.
ارتبكتُ وأنا أفكر فيما عليّ قوله، حتى توصلت إلى:
- أنا محاسب.. مهنة حساسة أيضًا.
وضحكتُ محاولا نفض الرهبة التي صنعها في المناخ، فضحك واسترخى على كرسيه قائلا:
- وتهوى حل الألغاز كذلك.
- ربما.
- هلا خرجنا من هنا، المكان ممتلئ بالدخان.
تطلعتُ حولي لأجد أغلب الرواد يدخنون السجائر، فأومأتُ برأسي ناظرًا إلى كوب العصير المغشوش، وفنجان القهوة الممتلئ.. والفتاة الشقراء الوحيدة.

* * *

لم أكف عن التقلب في السرير طوال الليل، عاندني عقلي باسترجاع وتحليل كل ما حدث بيني وبين السيد «بوجي»، منذ جاء وحتى خرجنا من المحل ومضى بسيارته ذات السائق الخاص، دون سبب واضح.
لاحظتُ أنه امتلك زمام الأمور تمامًا كل الوقت، منذ لحظة جلوسه إلى طاولتي ومبادرته باللغز الأول، وحتى طلب الخروج من المكان بحجة دخان السجائر الذي ضايقه، ثم توديعه إياي ومغادرته.. كان مبتسمًا.. هادئًا..

obeikandl.com

واثقًا.. قائدًا، وأنا التابع الأبله.
المشكلة أنه عند عودتي مترجلاً اتصل بي على هاتفي المحمول، رحّب بمرح كأنه لم يرني منذ أيام.. وطلب مني ملاقاته غدًا في المركز التجاري.. حدد لي وقتًا، وأنا أتمتم متفهمًا، ولم أقتنص فرصة للرفض أو حتى للاستفسار عن كيفية معرفته برقم المحمول!

obeikandl.com

-٢-

اليوم التالي في المكان المنشود، اتصل بي مجددًا، أخبرته أنني أمام الكافيتريا بالطابق الأرضي، فطلب مني موافاته عند «التي تراني بلا أعين» وأنهى المكالمة.. أغلق الخط!!

لم تعجبني طريقته هذه المرة، أسلوب معاملة سخيف.. فكرتُ في «التي تراني بلا أعين» وأنا أتطلع حولي.

المركز التجاري مكون من عدة طوابق لم أحصها بعد.. النظارات؟ ربما يقصد النظارات.. بحثت عن خريطة المركز ثم وجدت بها ثلاثة محلات للنظارات في ثلاثة طوابق مختلفة، استبعدت النظارات إذًا.. ثم بدأتُ البحث في الخريطة عن محل يبيع سلعة معينة ولا يوجد غيره بالمركز.. الأحذية، ستة محلات.. الملابس طبعًا لن أحصيها. بدأتُ التعامل مع نشاط أي محل وأبحث عن مثيل له، فإن وجدت انتقلت لنشاط آخر.. حتى وصلت للمرايا، لم أجد سوى محل واحد فقط بالطابق الرابع، اتجهت ناحية السلم الكهربائي، لكني عدت أدراجي من جديد، فالمرايا موجودة بالحمامات أيضًا.. بحثت عن أماكن الحمامات، فوجدت حمامًا في كل طابق، إذًا المحل هو المكان المنشود في أغلب الظن.

رأيته يتأمل نفسه في مرآة مقعرة، حييته بفتور، قال دون الالتفات نحوي:

- يبدو أنك مستاء.

- نعم مستاء، ما هذه الطريقة التي نتقابل بها؟

- ظننتك تحب الألغاز.

- ليس طوال الوقت، وليس بهذه السخافة.

استدار نحوي قائلا بلهجة اعتذار حقيقية:

- أعتذر عن مضايقتك.. لم أقصد ذلك.

شعرتُ مع لهجته المهذبة بالحرج.. فغيّرت مجرى الحديث لأظهر وكأن كل شيء على ما يرام:

- شكلك مضحك في هذه المرآة.
- نعم، منذ صغري كنت أحب بيت جحا المليء بالمرايا، وبعد فترة لم أعد أضل فيه، وكنت أقضي أغلب الوقت أتأمل شكلي المضحك في مراياه المحدبة والمقعرة.
- الطفولة ممتعة.
تأمل وجهي بضع لحظات بأسى، ثم اصطحبني لكافيتريا بالطابق ذاته.
سألني بعد أن طلبنا أشياء نشربها:
- هل ترغب في لغز؟
- لا بأس.
كنت أشعر بتأنيب الضمير لإحراجي له عند محل المرايا، وهذه فرصة لأتخلص من هذا الشعور:
- ما الشيء الذي يوصلك من بيتك لعملك دون أن يتحرك؟
قالها وهو يشير إلى «الجرسون»، بينما انشغل ذهني بالبحث عن إجابة.. هل الإرادة التي أقرر الذهاب بها إلى العمل هي التي توصلني؟ هل هو قرار الذهاب إلى العمل في حد ذاته؟ لم أجرب معه احتمالات الخطأ من قبل.. لكن، ربما لا يصح أن أبدو غبيًّا ما دام قد كون انطباعه الأول عني.
- أية تخمينات؟
تبًّا، هل يقرأ أفكاري؟!
- ليس بعد.
تابع شاشة العرض الكبيرة بالكافيتريا، بينما عدتُ لتخميناتي من جديد.

* * *

لم أخرج بأية نتيجة من «بوجي» هذا، فهو غامض مسيطر على الأمور.. وأنا لست بالفطنة الكافية لسبر أغواره.. أنا مجرد شخص دقيق الملاحظة لا أكثر،

obeikandl.com

أو هكذا أظن.. أو ربما هناك أكثر!
المهم أنني توصلت لحل اللغز في نهاية اليوم، فالذي يوصلني دون أن يتحرك هو «الطريق».. «بوجي» أوصلني للحل معتمدًا على دقة ملاحظتي، فقد خرجنا من المركز التجاري وسرنا قليلاً بحوارات غير مجدية وعقل مشغول بحل اللغز.
خرجتُ من عملي في نهاية اليوم التالي لأجده ينتظرني على الرصيف المقابل، توجهت إليه وحييته، فعرض دعوة للغداء، لم أمانع ومشينا معًا.
بدأ عقلي يلح لمعرفة سبب اهتمام هذا الشخص الغريب بي، هل يعاني وحدة؟ هل يفتقر إلى حياة طبيعية نظرًا لطبيعة عمله الغامضة؟ هل أمتلك تلك الكاريزما الجذابة حقًّا؟!
كان يطرح عليَّ لغزًا جديدًا، «ما الذي له أسنان ولا يعض؟».. هل يستمتع باستعراض ذكائه؟ هل أسليه بمحاولاتي لإيجاد حلول ألغازه؟
- المشط.. سهلة هذه..
ابتسم وقد اقتربنا من المطعم المنشود.. هل أنا فأر تجاربه لمقاييس الذكاء؟
- بعض الألغاز قديمة فعلا يسهل أن تعرف إجاباتها، ولكنني أعاني إيجاد ألغاز جديدة هذه الأيام.
- استخدم الإنترنت.
- خاوٍ، ليس به الكثير.. أنا أحاول تأليف ألغاز.
- هل ستضعها في كتاب؟
- ربما لاحقًا، الآن أفضل أن أؤلفها لك أنت.
- ولكنني لست شغوفًا بحل الألغاز لهذه الدرجة.
- هيا.. لا تحبطني، أنا سعيد بما أفعل.
ابتسمتُ ونحن ننتقي طعامًا من قائمة موضوعة على الطاولة أمامنا.. أدلينا بطلباتنا للنادل، فسألني من جديد:
- ما الشجرة التي ليس لها ظل ولا تشرب الماء؟

أجبت بسرعة:
- شجرة العائلة.
- هل رأيت؟ أنت تعرف ألغازًا قديمة، سأحاول تصعيب الأمور عليك قليلاً بدءًا من الغد.
لا أظن اهتمامه يبلغ هذا القدر بمسألة الألغاز، لكني لم أشأ إحباطه على أي حال.. فهل يصاحبني ليسألني عن ألغازه فقط؟! قلت:
- أنا لا أعرف شيئًا عن حياتك الشخصية في الواقع، أنت وضعت حدودًا منذ اللقاء الأول بمسألة عملك الغامض ذلك، فلم أسأل.
أجاب بعد أن وضع النادل أطباقه على الطاولة وابتعد:
- أنا لست متزوجًا.. أعمل لفترات طويلة دون انقطاع.. وأعتبر نفسي الآن في وقت تجديد النشاط قبل المعاودة.
- معاودة ماذا؟
شعرتُ بأنني لأول مرة في حياتي أسأل سؤالاً به شيء من الخبث، لكنه نظر إلي نظرة ذات معنى، فتجاهلت المعنى منشغلاً بطعامي.. قال:
- لا تضغط، فلا أستطيع إخبارك بطبيعة عملي.
- لا بأس، لا أريد مضايقتك على أي حال.
لاحظته يتابع بعينيه أحد الجالسين قرب مدخل المطعم، لم أثر الموضوع، وسألته:
- ألا تلاحظ أن لقاءاتنا تكون في المطاعم والكافيتريات؟
ابتسم مجيبًا:
- أنت تلاحظ كل شيء.. هه؟ ليس فقط الاختلافات العشرة..
لم أرد، فصمت قليلاً ثم استطرد:
- أحب أماكن التجمعات، أكره الوحدة والهدوء في غير أوقات النوم.
كنتُ على صواب إذًا، إنه شخص وحيد، طبيعة عمله تعوّقه عن إنشاء علاقات اجتماعية، فانتهز فترة راحته لينشئ واحدة.

obeikandl.com

- الوجود مع الناس أمر طيب.
هكذا قلت، ثم أضفت:
- لا بد أن عملك الحساس يمنعك من الاجتماعيات.
أومأ برأسه دون رد، فالتفتُّ لأرى الذي يتابعه بعينيه يحاسب النادل ويهم بالانصراف، فنهض السيد «بوجي» قائلا:
- لقد تأخرتُ، أنا مضطر إلى الانصراف الآن.. نلتقي غدًا.
تابعته في صمت دون تعليق، لم أندهش.. كأنني اعتدت أسلوبه الغامض. ناديت النادل لأدفع الحساب فقال إن الحساب مسدد.. لم أندهش أيضًا، وانصرفت بدوري.

* * *

«احذر التي تأكل ولا تشرب».
جاءتني هذه الجملة على «موبايلي» في رسالة نصية من رقم غريب، كنت في العمل ولم يكن هناك الكثير مما يشغلني، أخذت أقلب الاحتمالات في رأسي.. هل يقصد المرأة؟ لكن المرأة تأكل وتشرب.. قطة؟! لا بد من شيء مؤنث حتمًا.. نعم، الماكينات تأكل ولا تشرب، مثلا ماكينة الفرم.. أو أي ماكينة تضع بها شيئًا، هل توجد ماكينات نضع بها ماء؟ ماكينة المياه الغازية تأكل النقود أيضًا.. لا أعرف.
انتهى الدوام وسرت على الكورنيش حتى المنزل. من السخف أن يكون معظم وقتك فارغًا، ولكني أقضي وقتي في تأمل البحر من الشرفة.. وصلت إلى المنزل، وجلست أستريح من مجهود السير.
فكرت من جديد في معنى «احذر التي...».
سحقًا.. هرعتُ إلى غرفتي وقلبت السرير ومزقت الصندوق الورقي بأسفله لأخرج كل النقود التي أدخرها للطوارئ، وكان معها مسدس (Smith &

Wesson)، فأخذتها وركضت مبتعدًا عن المنزل مخرجًا «موبايلي» لأتصل بالنجدة.. وما إن ابتعدت مسافة كافية في الممر بين الشقق والتفتُّ منتظرًا، وجدت النار تشتعل في المنزل..

للدقة، كانت تأكل المنزل..

تأكله أكلا.

obeikandl.com

عبر الباب، فسألته مندهشًا:

- لمَ تحمل سلاحًا؟

سألني متعجبًا:

- كيف عرفت!

- أنا ألاحظ.

تخلى عن استغرابه بسرعة وقال:

- نعم، أنت تحل الاختلافات في المجلات بسرعة.. لا بد أن تلاحظ.

أخذ يتأمل الشقة وآثار النيران في كل مكان، قلت:

- لم تجبني بعد.

- أنت لم تتهم أحدًا، هه؟

لم أرد، فقال:

- في الحقيقة لقد حان الوقت.

لم أعلق، فاستطرد:

- أنت لم تمت في الحريق، لذا.. سأخبرك حقيقتي الآن.. ببساطة أنا قاتل محترف، وأنت مهمتي التي سأنهيها الآن.. فمعذرة لذلك.

لم أبدُ قلقًا، بل عقدت ذراعيَّ وتكلمتُ بهدوء:

- لا داعي لأي اعتذار، ولكن هل لي ببعض التفاصيل؟

- اسأل.

- من كلفك بي؟

- هذا سر.

- أتظنه سيفشى؟ لا تثق بقدرتك كثيرًا إذًا.

وكأنني أصبته في الصميم، فقال دون أن يتخلى عن هدوئه:

- حسنًا، سأخبرك.. منذ أعوام ثلاثة صدمتَ طفلاً صغيرًا في ليلة ممطرة في أثناء النوّة بالقرب من العجمي، قتلته وهربت. أنت لن تحاسَب لأنك

obeikandl.com

صدمته، فهو المخطئ، لكنك تركته وقد يكون حيًّا وفررت.
- أبو الطفل هو من استأجرك؟
- يمكنك أن تقول هذا.
- وكيف عرف بي؟
- لقد كان يركض وراء ابنه، ولمحك.. لكنك على ما يبدو لم تلحظه.
- وهل رآني أنا؟
- السيارة.. وأرقامها.
- لكنه لم يرَ قائد السيارة، أليس كذلك؟
قطب حاجبيه متفحصًا وجهي، فبادرته:
- لماذا كان يركض الطفل؟
- كان فرحًا بالمطر.
- هل تعرف أنني لا أعرف شيئًا عما تقول.. ولا حرفًا، وأن هذه أول مرة أسمع فيها هذه القصة.
- بالطبع، لا بد أن تنكر..
ثم أخرج سلاحه من وراء ظهره مستطردًا:
- فهذه قشتك، ولا بد أن تتعلق بها.
ابتسمتُ وأنا أفك ذراعيَّ قائلا:
- هل تعلم أن لي صفات سيئة كثيرة.. لي شخصية ضعيفة قليلاً، ولا أجيد التصرف دون تجهيز مسبق.. ولكن لي صفة رائعة لا يضاهيني فيها أحد.
نظر متسائلاً فلم أزد، صوّب مسدسه نحوي محررًا قفل الأمان وهو يقول:
- أنك واحد من قلائل يعرفون متى سيموتون.. هنيئًا لك.
- أنا أجيد التصويب بالمناسبة، أفضل منك.
اندهش لحظة، فغيرتُ موقعي وأخرجت سلاحي وأطلقته على يده الممسكة بالسلاح، فصرخ وازداد تعجبه.. قلت موجهًا سلاحي نحوه:
- أنا لم تكن لي سيارة قط، لا بد من تشابه في الأسماء أو خطأ ما قادك إلي أنا.

obeikandl.com

كما أنني قاتل محترف مثلك.
صمتُ قليلا ثم استطردتُ:
- أعني أفضل منك.
- هل ستقتلني؟
- حتمًا، فقد عرفتَ سري.
- ولكن لم يبدُ عليك قط أنك قاتل محترف، بل أنت محاسب بالفعل.. لقد راقبتك طويلاً جدًّا.
- نعم، يبدو أنك أحمق.. هل تظنني سأترك ذيولاً خلفي وأنا أقوم بمهمة؟ كما أنني لا أقوم بكثير من المهام على أي حال.
بقينا ينظر كل منا إلى الآخر لوهلة، ثم سألته:
- ما مسألة الألغاز هذه؟
- كنتُ أقضي معك وقتًا، كنت أستمتع.. أنتَ تحب الألغاز وترهق نفسك بالتفكير فيها، كان هذا ليشتتك كثيرًا عن التفكير في كنهي وغرضي الحقيقي منك.. ويتيح لي فرصة التعرف عليك أكثر، وإيجاد وسيلة مثلى للنيل منك.
- لقد شتتني، هذا صحيح، ولكنني كنت مستمتعًا بحل ألغازك.
لم يرد، ودار حولي قليلا وأنا أتابعه بمسدسي حتى قال:
- ليست لك أسرة، كنت لأحرق قلبك عليها فردًا فردًا.
- من له مثل مهنتي لا حق له بحياة طبيعية.
- أنا كانت لي حياة طبيعية، كان ابني الوحيد..
- أحمق، ماذا لو انكشف سرك وقرر أحدهم الانتقام منك في ابنك؟
- أعلم هذا، لذا فلم أكن أترك ذيولاً ورائي، وما كنت أقوم بمهام في مدينتي أبدًا.
صوبتُ السلاح تجاه صدره مضيفًا:
- كنا لنصبح عظيمين لو اجتمعنا في ظروف مختلفة.
- ما زال يمكننا هذا الآن.

obeikandl.com

- لقد خنتني كصديق، كنت تغدر بي منذ البداية، لن آمن لك.
- صدقني، يمكنك أن..
انفجر ثقب في صدره لتسيل دماؤه داكنة الحمرة.. على قميصه داكن الحمرة!

* * *

ابتعتُ مجلة، وسرتُ في الشوارع لهدف معين، لم تكن الأمور جيدة معي في الآونة الأخيرة.. أعني استئجاري للقتل.. وهي المصدر الأكبر للدخل الذي أعيش منه، كوني محاسبًا لا يسدد نفقاتي، ولكنها واجهتي التي إداري حقيقتي بها.. ربما هذه الواجهة هي حقيقتي الثانوية لا الأساسية، أشعر أحيانًا بأنني أعاني انفصامًا في الشخصية.
أنا لا أشمئز من قتل الآخرين، ولا أستسيغه أيضًا، لا أنتشي به مثل الساديين.. فقط المرة الأولى كانت عسيرة جدًّا، ولم أتجاوزها بسهولة، والثانية كانت أقل وطأة.. أما بعد ذلك فأصبح الأمر كأنني أركل قطة في الشارع.
تعلمتُ كيف أبدي الجثة منتحرة أو إثر حادث عرضي، كيف أخفيها، وكيف أتلاعب بالأدلة أو ألفقها.. أسهل الأمور أن أخفي بصماتي من مكان الحادث؛ فقد استخدمت أنواعًا مختلفة من القفازات والجوارب في يدي حتى وصلتُ لأفضل نوع يسهل به استخدام يدي كأنني لا أرتدي فيهما شيئًا.. قفازات أطباء الجراحة، فهي لا تعوق الاستخدام.
لم أحصِ عدد الذين قتلتهم قط، اتخذته مبدءًا لمهنتي السرية.. لربما أصاب بصحوة ضمير مفاجئة، فتزداد الأمور تعقيدًا حينها.. يكفي أن أحصي ما أجنيه من وراء كل عملية، وأعيش عليه.
لا أنكر أنني أدخر بعض ما يكفيني؛ لأن مهنة كهذه ليست مطلوبة بما يكفي، وأنا لست مشهورًا في المجال بما يسهل التوصل للاتفاقات معي على مهام.. وأنا بهذا سعيد على الرغم مما يسببه لي من ركود، فهذا أكثر أمنًا.

كنت أسير لأتأمل أوجه الناس وسياراتهم، أختار الفنادق وأدخل أبهائها أتفحص من فيها، أتابع مكالماتهم خلسة، أحاول أن أتبين زبونًا مناسبًا.
ليست هذه طريقتي في المعتاد، ولكني لجأت إليها عدة مرات أجدت معي نفعًا.. هذه المرة تبدو بلا جدوى، فعاودتُ سيري من جديد.
كأي نجار يجيد صنعته، لا بد أن يعرف كيف يستخدم أدواته، هكذا أنا كقاتل محترف، أعرف كيف أستخدم الأسلحة.. النارية والبيضاء، أملك اللياقة إلا أنني لست بلطجيًا أو فتوة..
جلستُ في المكان الذي التقيت فيه السيد «بوجي» لأول مرة، مر شهران منذ آخر لقاء بيننا.. وعلى الرغم من أن المكان لم يترك بداخلي انطباعًا طيبًا، فإنني كنت بالقرب منه، فدخلت لأحتسي عصيرًا.. شيئًا آخر غير الجوافة بالتأكيد.. ربما رغبت في ألا أظلم المكان من الانطباع الأول، خصوصًا أنني بدأتُ أبحث عن الفتاة قصيرة الشعر.
مررتُ بعيني على الاختلافات العشرة في المجلة.. ثم شعرت بكل الأعين من حولي تتجه ناحية المدخل، نظرت مثلهم بدافع الفضول، فرأيت السيد «بوجي» يدخل أنيقًا بطوله وعرضه، يرتدي حلة سوداء.. دققت في وجهه أكثر، لأتأكد من أنه الشخص نفسه الذي قتلته منذ شهرين، وتأكدت من أنه هو، بشعره الأشقر القصير.. عدم اهتمامي بحل الاختلافات العشرة منذ فترة لم يفقدني هذه المهارة بعد.. الملاحظة!
عندما اقترب مني السيد «بوجي» وجلس إلى طاولتي، كان أمامه فنجان شاي لا أدري كيف وُجد، لم أكن مندهشًا فحسب، بل كنت أكذّب عيني.. فأنا لم أفشل في أي عملية قتل قط، منذ أول عملية حتى هذا الرجل، بل لقد تخلصت من جثته بمعرفتي وتأكدتُ من أنها جثة هامدة فعلا بنفسي.
- أصم يطلب مقصًّا من أبكم، ماذا يفعل؟
لم أصدق أنه يسألني لغزًا من جديد.. هذا برود لا يُحتمل، إنه شخص ميت أصلا.

- يرسم له بإصبعيه شكل المقص.
- خطأ.
كيف أخطئ في حل لغز سهل كهذا؟ بل كيف لجثة ميتة تخبرني بأنني على خطأ أصلاً؟!
- ليس خطأً.
كنت أجيب كالمسحور.. كالمأخوذ.. كنت أجيب كأنني لست أنا الذي يجيب.
- يقول له أعطني مقصًّا.
- ماذا؟
- يقول له أعطني مقصًّا.. فهو أصم وليس أبكم، الآخر هو الأبكم.
- من أنت؟
- وكأنك لا تعرفني.
همست:
- أنا أثق بأني قتلتك.. أنت لست «بوجي»، أنت شخص يشبهه.
- هل لاحظت اختلافًا يدلك؟
- بصمة الأذن.
- أنت لا تحفظ شكلها.
- بلى، إنها مختلفة.. فأنا ألاحظ.
اقترب بجسده ناحيتي وهو يقول بهمس:
- معك حق، أنا لست «بوجي».
أرجعت ظهري للخلف وأنا ابتسم، كنت أشعر بانتصاري كأنني تخلصت من السِحر.. لكني أشعر بالخوف.

obeikandl.com

-٤-

«لو ضربتَ الولد مرة أخرى فسأقضي عليك».

أمسك بي في تحدٍ واضح للرجل وقد كنتُ صغيرًا جدًا.. رفعني بيد واحدة وألقى بي على الحائط، فصفعه الرجل بقوة ثم ألحق الصفعة بلكمة، أخذ كل منهما يضرب الآخر وأنا أتألم بشدة.. ثم بدأت الدماء تغطي الأرض وتتناثر علي، ولم أكن بعيدًا عن مجال المشاجرة.. هذه المشاجرة التي تنتابني في الكوابيس كل فينة، ثم أخرج الرجل مسدسه وقال بلهاث:

- لقد حذرتك.. من ضرب الولد.

وأطلق الرصاص على أبي الذي مات فورًا.. لم أكن أعي معنى الموت حينها، لكني أحببته؛ فهو يعني انتهاء التعذيب الذي كنت فيه، وبدأت حياتي الجديدة مع فكرة عظيمة هي فكرة «الموت»..

ومع صديق أبي..

البلطجي المحترف.

* * *

- أنا لست «بوجي» الذي تعرفه.. الذي قتلته، بل أنا «بوجي» الحقيقي.

- وهل يوجد «بوجي» حقيقي و«بوجي» اصطناعي؟!

- أنت قتلت الشخص الخطأ.

رددت بتهكم:

- نعم، فقد قتلته مجانًا.

لم يعلق، فاستطردتُ:

- ماذا تريد؟

- حياتك.. كان على الشخص الذي يشبهني أن يقتلك.. ولكنك قتلته.

- قال إنه قاتل محترف، لكن يبدو أنني كنت أولى مهامه..

obeikandl.com

ثم أضفت بتهكم:
- وآخرها أيضًا.
ابتسم وأراح ظهره على المقعد مجيبًا:
- معك حق.. أنت تلاحظ فعلاً.
- ما مسألة ملاحظتي هذه؟!
- اسمع.. سأعرض عليك أن تعمل معي.. سنكون ثنائيًّا لا يقهر.
سكت لحظة ثم أكمل:
- وإلا..
- من سوء حظك أنني لا أرضخ للتهديدات.
- لا بأس، اعتبر أنني لم أهددك بشيء.
- ومن سوء حظك أيضًا أنني لا آمن لأحد.
نهض فجأة دون رد وخرج متجهًا إلى سيارته، نظرت عبر زجاج الواجهة فرأيت السائق يفتح له الباب الخلفي، وتابعت السيارة حتى اختفت.

* * *

كنت قد بدأتُ البحث عن الشخص الذي يتشابه اسمه معي، في المرور.. السجل المدني.. مركز الرقم القومي، فكرت في أماكن أخرى حتى توصلت لأقسام الشرطة.. إلا أن شخصًا مثلي لا يدخل مثل هذه الأماكن برغبته قط.
ولم أتوقف لحظة عن التفكير في مدى صدق الشخص الذي ظهر من جديد، هل حقًّا ما يقول، أم أنه يختلق أكذوبة جديدة من نوعها؟ ولماذا يفعل؟ ولمَ ظهر أصلا؟ هل قتلت الشخص الأول حقًّا، أم أنني أهذي؟
مشكلة تداعي الأفكار عندي أنني أسير ناظرًا إلى الأرض، وعندما أنتبه، أجد نفسي أمام أماكن غريبة جدًّا.. لا أصدق أنني أمام مديرية أمن المحافظة، هل سرتُ كل تلك المسافة؟!
سأعتبرها إشارة لإكمال بحثي عمن تتشابه أسماؤهم مع اسمي، لقد وجدت أكثر من ثمانين شخصًا تتشابه أسماؤهم الثلاثية مع اسمي، وربما أتجاوز المائة

obeikandl.com

بعد البحث في مديرية الأمن.
سألت عن وحدة الكمبيوتر.. ثم طلبت من المسئول فيها - وديًّا - البحث عن أشخاص - ممن لهم ملفات - تشبه أسماؤهم اسمي؛ لأنني مطلوب في قضية مخالفة مرورية وأنا لا سيارة لدي، فبحث بجد حتى تجاوزتْ الأسماء الخمسة عشر اسمًا، طبع لي - متفضلاً - الأسماء والعناوين لمراجعتها مع كمبيوتر إدارة المرور ومعرفة أي منهم يملك سيارة، فشكرته وانصرفت.. لا أصدق أنني كنت بكل تلك الثقة، ولا أنني خرجتُ من مكان كهذا!
هل يخاطر «بوجي» الحقيقي بوصفه قاتلاً مأجورًا بأن ينتحل شبيهه اسمه؟
حيرني هذا الشخص في حياته وموته، وفي ظهوره من جديد.. لكن لا يمكن أن أوقف حياتي على كينونته، لا بد أن أعمل وأنشغل بأموري الخاصة.. غير أن وقت فراغي الكبير ربما هو الذي يدفعني للانشغال به.. بل لأنه يريد قتلي، تبًّا لذلك.

* * *

- ما الشيء الذي تأكل منه مع أنه لا يؤكل؟!
لا أصدق جرأته، إنه في مكتبي بمكان عملي، ارتبكتُ.. لكن تمالكت نفسي أمام الزملاء، فابتسمت أقول:
- مرحبًا بك.. ألم يكن موعدنا ليلاً؟
- موعدنا أنا من يحدده.
اغتظت، ولم يكن بيننا أي موعد أصلاً، فهمست بقسوة:
- لو أنك تحاول أن تفسد عليّ حياتي فسأقلب حياتك جحيمًا.
- لم تخبرني بعد.. ما الشيء الذي تأكل منه رغم أنه لا يؤكل؟!
يبدو أنني لم أكن بالقسوة الكافية لإرهابه، فقلت:
- لماذا لا نناقش هذه المسألة ليلاً؟ نفس المكان لو تحب.

obeikandl.com

- لا بأس، يبدو أنك لا تعرف الإجابة وتحتاج للغش.
قالها وهو ينهض، ثم قهقه وهو خارج من المكتب لافتًا أنظار الجميع.. تجاهلتهم وعدت أنشغل بالموازنة الموضوعة أمامي.
علاقتي بزملاء العمل والجيران وكل الناس محدودة للغاية، لا أتواصل معهم في أي أحاديث جانبية ولا مناسبات اجتماعية.. أي أنني لا أنثر بذرة إنشاء علاقات.
في المساء، ذهبتُ إلى الكافيتريا الأولى ذاتها، جلستُ فجاءني نادل لم أره من قبل.. طلبت عصير موز بالحليب وقطعة «جاتوه».. كنت لا أزال أفكر في سبب ظهور هذا الشخص مرة أخرى، هل قتلته فعلاً أم أنه هو نفسه؟ ثم ما هو هذا الشيء الذي تأكل منه مع أنه لا يؤكل؟! «سم سم» ومثل هذه الأمور؟ لا أعرف، أعجز عن حل ألغازه رغم شعوري بسهولتها.. مشتت ذهني بالبحث في أمر هذا الشخص وغرضه، كأنما هو يسيطر على عقلي أو حياتي ويسيّرها في الاتجاه الذي يريده هو.. وهذا شيء أمقته جدًا.
- أنا أعرف كل شيء عنك، وعن مهنتك السرية.
نفس مشكلة تداعي الأفكار التي تشتت انتباهي، وكان قد جلس على المقعد المقابل لي ملقيًا بعبارته، فقلت:
- أي مهنة سرية؟
ابتسم ثم همس غامزًا:
- القتل.
- أنت لا تعرف الظروف التي خلقت مني قاتلاً.
- دعك من الطفولة المشردة والقصص المأساوية، لا يوجد أي مبرر لأن يكون الشخص قاتلاً محترفًا غير أنه اختار ذلك بنفسه.
- فيلسوف حكيم أيضًا، هه؟
نظر في عيني لحظة ثم قال:
- هل عرفت حل اللغز؟

- أيهما؟ الخاص بالشيء الذي يؤكل، أم الخاص بوجودك في حياتي؟
- رائع.. أنت تلاحظ.
- لا تهزأ بي.
- أنا لا أهزأ..

* * *

- لون شعركَ هذا صبغة، أليس كذلك؟
كنا قد خرجنا من الكافيتريا وسِرنا قليلاً، تمامًا كما حدث أول مرة.. هو أكبر مني عمرًا، لم أعِر هذه الملحوظة اهتمامًا من قبل، ولكنها قد تفيدني في وقت ما.. ابتسم وهو يجيب:
- أنت تدهشني بملاحظاتك كل مرة، حتى عندما كنت أسمع عن دقة ملاحظتك كنت لا أصدق.
- تسمع! مِن مَن؟
- ألا تذكر؟!
- أنت تعبث بي، وبحياتي.. وهذا شيء أمقته، آخر شخص فعل بي ذلك تحللت جثته منذ زمن.
- صدقني، أنا لا أرغب سوى في قتلك.. خاصة أنك لا ترغب في التعاون معي.
- كيف أتعاون مع شخص يريد قتلي يا أحمق؟!
قلت جملتي الأخيرة بعصبية وغضب، حتى خيل إلي أن كل السائرين في الشارع توقفوا لحظة ليشاهدونا، فعاودنا السير وأنا ألتقط أنفاسي.. ثم قلت:
- أخبرني من أنت، ولسوف أعيد النظر في عرضك.
- أنا ابن خالته، لذا أشبهه كثيرًا، بعض المكياج أجدى نفعًا في تحويله إلى نسخة مني، غير أن كلاً منا صبغ شعره بهذا اللون المميز لأغراض العمل.. لم يكن فقط ابن خالتي، بل كان سائقي الخاص.. ومساعدي أيضًا.. أنا القاتل،

أنا «بوجي». هو كان المموِّه، يثبت وجوده في أماكن أخرى ساعة تنفيذ المهمة.. إجراء احتياطي لم نحتج إليه قط، غير أنه مهم.. والآن أصبحت الأمور صعبة من دونه حتمًا.

كنت أستمع إليه بدهشة وتعجب، لا أصدق أن أحدًا بهذا الخبث في الواقع، فقط الخيال يصنع هذه الأمور في الأفلام الأجنبية.. سألته:

- لماذا تريد قتلي؟!

- أنت قتلت طفلاً وهربت.

- هل أنت أبوه؟

- كلا.. هو كان أبوه.

- ولكنني لم أفعل.. لم أمتلك يومًا سيارة.

- أنا لم أخطئ في البحث، لقد لمح الأرقام وبناءً عليها عرفنا اسمك وعنوانك.

- ولمَ انتظرتما كل تلك المدة لتنتقما؟

- كان العمل رائجًا الفترة الماضية، كنا منشغلين جدًّا، وكان يحاول إقناعي بالانتقام.. خاصة أنه لا يجيد القتل، كما كنا نبحث في أمرك ونراقبك.

عجيب ما يحدث في حياة المرء دون علمه.. قلت:

- ولكن لم يراقبني أحد، أنا محترف وألحظ هذه الأمور.

- كنا نراقبك وقتما كنت لا تهتم إن كان يراقبك شخص أم لا، أحيانًا كنا نفقد أثرك بالفعل.. بعد ذلك عرفتُ أنك قاتل مأجور، وأنك كنت تتخلص من أي تتبع عند تنفيذ مهمة.

- هل ترغب حقًّا من الانتقام لطفل صغير لم أقتله؟

- وماذا عن مساعدي الذي قتلته؟

- هل تتخلى عن ذلك إن عملنا معًا؟

- نعم..

«إذا كان يمكنه التخلي عن رغبته في الانتقام لأي غرض، فلمَ لا يتخلى عنها بلا غرض؟!»

obeikandl.com

- موافق.. كم عملية تتركني بعدها لشأني؟
- لا أعرف، كلما احتجتك في مهمة عليك أن توجد.
- هذا قهر.. اسمع...
من جديد توقفتُ وعلا صياحي، لكني لم أهتم بمن يسمع ولا بما أقول:
- أنت تعبث بحياتي، آخر تحذير هو: الآن اتركني وشأني وإلا نلت مصير قريبك.

obeikandl.com

-٥-

اعتاد أن يجلب لعبة الصور المجزأة فأقوم بتجميعها، ويدربني على التصويب، وعلى فك وتركيب الأسلحة.. أمور كانت ممتعة جدًّا وقتها، فلم أعد محرومًا من اللهو مثل باقي الأطفال مثلما في فترة حياة أبي، لقد أصبح الوقت بعد ذلك أفضل.

«اسمع، لقد توسمتُ فيك الذكاء، سيكون شأنك عظيمًا يومًا ما.. ستكون أفضل من والدك، لقد أخبرته بهذا عشرات المرات، وطالبته بمراعاتك والعمل على تنمية مهاراتك لتكون خلفًا له، لكنه كان يرفض أن تكون مثله، وظن الأحمق أن عضلاته هي صاحبة الكلمة الأخيرة».

هذه الكلمات تأتيني بعمق في أحلامي.. هي ملخص طفولتي.. هل يعقل أن أصبح قاتلاً محترفًا في عمر التاسعة؟!

* * *

في البداية كان الأمر مسليًا، ألغاز ولقاءات وحسابات مسددة للمشاريب.. ثم تحول الأمر إلى لعنة، خصوصًا عندما قتلتُ الشخص أول مرة، قتلته في بيتي.. والتخلص من الجثة كان مشكلة حياتي وقتها، فكيف أخرج بجثة ملفوفة بملاءة مثل الأفلام العربية دون أن يلحظني أحد؟ هذه الأشياء لا تحدث بنفس السهولة في الواقع... الصوت المميز لوصول رسالة على «الموبايل».. «لو أنك في سباق عدوٍ، وتجاوزتَ العدّاء الثاني، فأين يصبح ترتيبك في السباق؟».. رقم المرسِل غير مسجل، لا بد أنه هو.. أظنه تخطى مرحلة اللزوجة منذ زمن، لقد أصبحت أكرهه وأشعر بأنه قميء. كما أنني لم أجب عن لغزه السابق بعد.. إنه أحمق.

إعادة تجهيز المنزل بعد الحريق استغرق مني جهدًا وأيامًا كثيرة، كنت بالنهار في عملي محاسبًا، ثم أذهب للبحث عن المتشابهة معي أسماؤهم،

obeikandi.com

وآخر اليوم أقوم بفرز الأثاث ومحتويات المنزل لتحديد ما يمكن إصلاحه منها وما يجب التخلص منه..

فلأستيقظ، أو فليصِح المخرج «CUT» الآن.. لقد أرهق عقلي وسئمتُ التفكير وإهدار حياتي على هذا الشخص الذي أربكها، لا أصدق أنني أحيا في الواقع، وأن كل ذلك يحدث لي فعلا.. تبًّا لإعادة ترتيب الأشياء المبعثرة.

تُرى ما الذي تأكل منه رغم أنه لا يؤكل؟

أخرجت «موبايلي» مرة أخرى وأعدت قراءة اللغز الأخير.

* * *

اتصل بي وطلب لقائي.. توقف إذًا عن الظهور والاختفاء المفاجئ الذي اعتاده في فترة ما بعد موته! وافقتُ وحددت مكانًا غير الكافيتريا السخيفة تلك، بل ليس كافيتريا على الإطلاق.. قابلته على الكورنيش.. كوبري ستانلي تحديدًا.

- لغزان حتى الآن بلا حل.

- ذاكرتك قوية.

- عقلك أصبح بطيئًا.

- ماذا عن اللغز الثالث؟ لن أستطيع حله.

فكر لحظة وهو يتأملني ثم قال:

- آه، تعني إن كنتُ شخصًا آخر غير الأول أم أنني هو؟

صمتُّ فاستطرد:

- لقد أخبرتك.

- لا أصدق أنك شخص آخر.

- إذًا أنا هو.

- كيف وأنا الذي قتلتك بنفسي وألقيت بجثتك في البحر.

- القاتل المحترف لا يطلق الرصاص على الصدر، بل في الرأس مباشرة.

obeikandl.com

- لا تدعي أنك كنت ترتدي واقيًا.
- لم أدّعِ شيئًا كهذا.
- رصاصة في الرأس تعني عملية اغتيال، وأنت أتفه من أن تُغتال.
لحظتُ احمرار أذنيه وتقطيبة خفيفة ارتسمت على ملامحه، فارتكنت على السور القصير مطالعًا البحر وأنا أقول مكملاً:
- تأكدتُ من توقف قلبك، القاتل المحترف لا يخطئ لهذه الدرجة.
- ولأنك محترف جدًّا، فقد تخلصت من جثتي بسرعة جدًّا.. ولأنني محظوظ جدًّا؛ فقد وجدني أحد المراكبية وأسعفني بالتنفس الصناعي ظنًّا منه أنني غرقت.. أنت أغفلت معلومة مهمة جدًّا قي أثناء تصويبك، لذا لم أمت فورًا.
لم أردّ منتظرًا بفضول أن يكمل، فقال:
- يميل قلبي ناحية اليمين لا اليسار كالبقية، لذا فأنت لم تطلق رصاصتك على القلب يا عزيزي.. وتأكدك من توقف قلبي كان مخادعًا.
لم أردّ أيضًا، فاستطرد:
- وقليل من الدهون أبطأت قوة الاختراق.
- لا يوجد من يصاب بحظ كهذا.. هل تعلم كم عانيت للتخلص من جثتك؟
- اعذرني فقد كنت أموت، لذا فلم ألحظ.
- فعلا تخلصتُ منك في أقل من عشر دقائق؛ حيث إنني صعدت السلم ثلاث مرات.. لتجهيز سيارة، وللتأكد من عدم وجود أي شخص يقابلني صدفة، ثم لحملك ووضعك فيها.. لقد كنت أسابق الوقت.
- وها أنت انتصرت على الوقت ولم يلحظك أحد.
- ولكنك ما زلت حيًّا.
- من قال إن ما أخبرك به هو الحقيقة؟
أربكني كما اعتاد أن يفعل.. أي القصتين أصدق؟! إن له عقلية جبارة.
- هذه أقرب للمنطق من الأولى.
- أي منطق؟ هل تجتمع كل هذه الحظوظ لمجرم كي يعيش أكثر؟

- نعم.. القدر يصنع ما يشاء بطريقته.
- ما الشيء الذي تأكل منه مع أنه لا يؤكل؟
باغتني باللغز من جديد ليشتت تركيزي واستيعابي.. إن عقله يفوق آينشتاين عبقرية، ولكن لا بد أن أنتصر في النهاية.. حياتي تتوقف على مجاراته.. بل على أن أكون الأفضل.
قال لي صديق أبي: «ستكون أسطورة في يوم ما»، لم أفهمه وقتها، كنت صغيراً جدًّا ولم أدرك المعنى.. لكن آن الأوان لأصبح أسطورة، وأنتصر على هذا الأحمـ.. العبقري.
- لم تجب بعد، هل هو لغز صعب لهذه الدرجة؟
- أنا مرتبك ولا أرغب في الوجود معك.. اسمح لي.
قلت جملتي وأنا أنصرف، نظرت باتجاه السيارات لأعبر الطريق فكانت هناك واحدة تقترب بسرعة من بعيد، هرولتُ لأعبر قبل أن تصل..
- لم ينتهِ ما بيننا بعد.
لم أرِد النظر، كنت أرغب في تجاهل الجملة، ولكنها الاستجابة البديهية خذلتني من جديد، فالتفت ناحيته لأرد عليه، إلا أن السيارة المسرعة قد وصلت.

* * *

لمحت نظرة أسى على وجه الشخص وأنا أسقط، أو هي نظرة ذعر، لربما هو نادم على أنه لم يقتلني بنفسه.. ولمحتُ الناس يلتفون حولي قبل أن تغطي الدماء عيني.. وشعرت بملمس ناعم بارد وأنا أقع، لا بد أن هذا ملمس السيارة التي صدمتني.. وكانت كلمة «صحن» تطاردني..
صحن..
صحن..

obeikandl.com

سمعت واحدًا يسألني عن اسمي، لكن لم أستطع الرد.. فقال آخر:
- ابحث عن شيء يثبت هويته.
قال ثالث:
- هل اتصلتم بالإسعاف؟
وتناثرت عبارات التعاطف وعبارات أخرى:
- لا حول ولا قوة إلا بالله.
- لقد كان يعبر في أمان الله.
- يا جماعة هو المخطئ، لقد توقف فجأة في أثناء عبوره الطريق.
- ليس معه غير بعض النقود، لا توجد أوراق ثبوتية أو أية أوراق.
صحن..
قال لي صديق أبي: «ستكون أسطورة في يوم ما»، لم أفهمه وقتها..
أَوجُه كل من قتلتهم تظهر أمام عينيَّ واحدًا بعد الآخر.. فهل هذه هي صحوة الضمير؟
بل القصة الأولى أكثر إقناعًا..
مسدسي «Smith & Wesson» له كاتم صوت..
الذي نأكل منه مع أنه لا يؤكل!
ولكن اللغز الأخير الذي جاء في الرسالة.. الذي كان عن السباقات.. كان يجب..
صوت الإسعاف، هل تأخرتْ كعادتها أم جاءت مبكرة هذه المرة.. لم أكن أشعر بالوقت.
هل سينقذونني.. أم...؟!

٦

في المستشفى جلس السيد «بوجي» بجوار سريري، وعلى وجهي كمامة الأكسجين، وكنت أشعر بالألم في سائر جسدي.

لم أعرف كم مر بي من وقت في هذا المكان، ولا الفترة التي غبت فيها عن الوعي، لكني استيقظت في هذه اللحظة، التي وجدت فيها الشخص جالسًا بجواري. قال:

- إنهم يبذلون معك كثيرًا من الجهد. كدت تموت حقًّا.

لم أرد، ولم أحرك عيني عنه، فأردف:

- الشرطة بانتظار استردادك الوعي حتى يمكنك التعرف على السائق الذي صدمك.

شعرت بأنني أستعيد الذاكرة، وأذكر اسم «بوجي» واسمي وسبب وجودي في المستشفى، قال «بوجي»:

- سأرفه عنك قليلا.. سأحكي لك عن واحدة من مهامي، أظنها ستروق لك.

قال ذلك وهو يضع ساقًا فوق أخرى، وأنا ثابت بنظري تجاهه، وكمامة الأكسجين تخنقني!

«بالطبع الزوجة التي تريد قتل زوجها يكون السبب الوحيد لذلك هو المال، ليس العشيق ولا أي شيء آخر، لم يعد زمن الحب موجودًا كما ترى.. في الواقع أن أي شخص يرغب في قتل أي شخص يكون هذا بسبب النقود، قليلاً ما يكون السبب انتقامًا أو درءًا لفضيحة، لكن النقود هي رقم واحد باكتساح في دوافع القتل».

بدأ حديثه بهذه المحاضرة البغيضة كأنه في كلية الحقوق، لم أبدِ أي انفعال، فاستمر في سرده:

«استأجرتني امرأة، وقالت إنها ضاقت بالعيش معه وترغب في أن يفارق الحياة.. في الحقيقة لم تعرض علي مالاً فقط.. لم أقابلها ولكن صوتها الناعم كان مقنعًا بعرضها السخي».

obeikandi.com

غمز مرتين وهو يحكي جملته الأخيرة، ولم أعرف سبب إعجابه بنفسه لمثل هذا.

«قالت إنه لا يرغب في الطلاق وهي لا يمكنها خلعه من دون أسباب تقنع المحكمة.. طبعًا تحرياتي الخاصة أثبتت أنه يملك بضعة ملايين وبعض العقارات المميزة، وهي كانت تحب رجلاً آخر.. كأنه فيلم عربي تمامًا».

قصة دارجة قابلتها كثيرًا في مهماتي.. معظم من يستأجرون القتلة نساء يرغبن في التخلص من أزواجهن الأثرياء، أو أثرياء يرغبون في التخلص من منافسيهم في السوق، أو ساسة يرغبون في التخلص ممن يعرفون أصلهم الحقيقي قبل اختراع قصة كفاح بطولية يخرجون بها على الملأ.

«المهم أنني قبلت العرضين بعد أن طلبتُ مبلغًا أكبر، وجهزت خطة لقتل الرجل.. كان في الأربعينات يستيقظ مبكرًا، يفطر وينزل إلى سيارته ذات السائق الخاص وسكرتيره الشخصي، ثم يتجه إلى شركته. في منتصف النهار يذهب إلى المصنع ويدور بين العمال، وبعد ذلك يذهب إلى بعض المواعيد العادية لأي رجل أعمال.. وقبل الخامسة يكون في المنزل من جديد.

في المساء يكون عنده ضيوف أغلب الأيام.. كان رجلاً محترمًا بحق، لكن لا يوجد من هو محترم منذ الأزل فيحقق مثل هذه الثروة، إنه مبدئي في الحياة».

كنت قد شعرت بالملل حقًّا، والكمامة تخنقني أكثر، فحاولت رفعها عن وجهي.. بعد لحظة جاءت ممرضة مبتسمة وهنأتني على السلامة، وبدأتْ تقيس الضغط والحرارة وتدون أشياء في لوحة كانت معلقة في مؤخرة السرير، ثم قالت الجملة الأزلية الواجبة على كل العاملين في مجال الطب:

- لا بد من تركه ليرتاح قليلاً.

ابتسم «بوجي» مومئًا برأسه، فهنأتني على السلامة مرة أخرى وأخبرتني أن الطبيب سيأتي بعد قليل، وانصرفت لشأنها.

«جميلة هه؟.. المهم أن الرجل كان يبدو ودودًا نظيفًا، في ظروف أخرى

كنت لأحب أن أصادقه، لكن قدَره لم يسمح.. وكانت أسهل طريقة لقتله هي اغتياله، ستبدو وكأنها من جهة حكومية ما، وستكون الطريقة الأسهل للوصول إليه وسط هذا الكم من البشر الذي يكون بينهم طوال الوقت».

جاء الطبيب، تفحصني، وهنأني بالسلامة وقال العبارة المعتادة عن ضرورة الاستراحة، وأخبرني بأنه سيبلغ الشرطة عن استعادتي الوعي.

«اغتيال الأشخاص يترجم في الأخبار إلى أزمة قلبية وحوادث انقلاب سيارات، أمر طريف أن تذهب أصابع اتهام المحققين إلى أجهزة الأمن نفسها، وبذا تبعد الأنظار عنك، ثم تُحفظ القضية.. وهذا ما كنت أفضله».

أنهى سرد جريمته وأرخى قدميه متأملاً رد فعلي من نظراتي، ثم قال:

- حان الوقت لتجيب عن ألغاز أعمق.. ألغاز هواجسك.. ألغازًا لا حلول لها، هل أنت مستعد؟ أظنك كذلك، فأنت ضيف المستشفى لبعض الوقت، ولن تجد ما يسليك غير إعمال عقلك.

«أين يذهب الناس عندما تتركهم؟»..

ثم نهض منصرفًا.

* * *

لم أفهم ما قصده بالسؤال، «أين يذهب الناس عندما تتركهم؟»، لا أرى معنى لهذا.. فالناس يكونون في أحوالهم وينصرفون لشئونهم عندما أتركهم.

البقال ينتظر الزبون التالي عندما أتركه، صديقي يذهب إلى داره عندما أتركه، لو أن لي صديقًا مثلاً، وزملائي في العمل يذهبون إلى بيوتهم..

هواجسي!!

دخل الطبيب ومعه رجل بالزي الرسمي للشرطة وممرضة وشخص آخر، هنأوني على السلامة وسألني الضابط إن كنت أستطيع الكلام.. لم أكن أرغب في تأجيل هذه اللحظة لوقت آخر، كان يجب أن أفرغ منها، فقلت بوهن:

obeikandl.com

- نعم أستطيع الكلام.

نصحني الطبيب أمامهم بأنني لو لم أكن مستعدًا للحديث الآن فعليَّ أن أرتاح وأن نؤجل التحقيق لوقت آخر، لم أفهم حتى الآن كيف يمكن أن أرتاح أكثر من هذا، فأنا في السرير لا أبذل أي مجهود.. غير بعض الألم الخفيف في جسدي والتحدث لا يزيده.. كما أن هذا الطبيب هو من أحضر الشرطة الآن أصلاً!

سألني الضابط بعد أن أمر الشخص الإضافي بفتح المحضر «في ساعته وتاريخه»:

- اسمك، وسنك، وعنوانك؟

- قلت اسمي الذي يعرفه الشخص وعمري الحقيقي وعنوان شقتي المحروقة.

قلتها بوهن لظروفي الصحية، والطبيب يراقبني.. سألني الضابط:

- أين كنت يوم الأربعاء الموافق...؟

لم أسمع بقية السؤال، إنه ضابط أحمق يسألني كما لو كنت متهمًا لا مصابًا في المستشفى، حاولتُ تحريك يدي إلا أن الخراطيم الموصلة بها آلمتني، واكتشفت لأول مرة أن لي قدمًا في جبيرة، عندها بدأتْ الممرضة في لعب دور ما بدلا من الوقوف بلا معنى، فأخذت تعيد ترتيب غطائي علي وتتأكد من الأجهزة الموصلة بي.

- كنت على كوبري ستانلي أمام البحر.

- وحدك؟

- نعم، وحدي.

- والسبب؟

- هل هذه أسئلة اتهامات؟

- أبدًا أبدًا.. إنها إجراءات شكلية.

- اسألني في المضمون من فضلك وتصرف في موضوع الإجراءات الشكلية هذه وفقًا لخبرتك.. أنا منهك.

obeikandl.com

التفتَ إلى الشخص الذي يكتب في الدفتر ثم سألني:
- لقد قبضنا على السائق الذي صدمك، فهل لك أعداء أو تتهم أحدًا بمحاولة قتلك أو التحريض على ذلك؟
- كلا، لا أتهم أحدًا.. لقد كان حادثًا، وأنا المخطئ لأنني لم أنتبه عند عبور الطريق.
- هل تتنازل عن المحضر إذًا؟
- نعم نعم، افرجوا عنه.
- هل يمكنك التوقيع على ذلك؟
أومأتُ بنفاد صبر، فقرّب الشخص الدفتر مني وناولني القلم لأدون اسمي.. شكرني الضابط وشكر الطبيب، وهنأني على السلامة وانصرف، ثم تبعه الطبيب مذكرًا إياي بأن الراحة ضرورية جدًّا..
وأصبحتُ وحدي في الغرفة.

obeikandl.com

-٧-

عند التي تراني بلا أعين
عند التي تراني بلا..
عند التي تراني...
عند التي....

* * *

استيقظتُ.
يبدو أنني نمت بعد انصراف الضابط وأنني كنت بحاجة للراحة فعلاً.. غير أنني لم أنم جيدًا، لقد كان اللغز يشغل عقلي طوال الوقت.. «أين يذهب الناس عندما تتركهم؟»، وكانت إجابات عجيبة تنتابني.
«يبدلون ملابسهم استعدادًا للمشهد التالي»، أو «ينتظرون على المقاعد حتى يجيء دورهم».. أشياء بهذا المعنى.. كأن الناس «كومبارسات» أو ذوي أدوار ثانوية في حياتي، كأن كل ما يحدث هو تمثيل متقن للحياة.
نظرت في الغرفة لأجد أن الوقت ليلاً، عندما كان «بوجي» هنا كان الوقت نهارًا.. يبدو أنني نمت لساعات.
دخلتْ الممرضة، واحدة أخرى غير تلك في فترة النهار، تفحصتني ودونتْ كلامًا في الورقة المعلقة على حافة السرير وسألتني إن كنت أريد شيئًا، فأخبرتها بأنني، طبعًا، أريد طعامًا.. فأنا لا أذكر آخر مرة أكلت فيها. ابتسمت قائلة:
- كلما جلبنا لك الطعام تكون نائمًا.
ابتسمت مازحًا:
- حاولوا جلبه وأنا مستيقظ إذًا.
- حالاً.
وخرجتْ لتعود سريعًا ومعها صينية مملوءة بطعام المرضى، تركتها أمامي وسألتني:

obeikandl.com

- ألا ترغب في إخبار أي شخص بأنك موجود هنا؟
- كلا، لا داعي لأن يقلق علي أحد، ألستُ على ما يرام؟
- أنت بخير، فقط قدمك... وستشفى بعد ثلاثة أسابيع.
- لا بأس.. تفضلي معي.
- بالهناء.

لم أكف عن التفكير في اللغز، وفي الشخص.. لمَ جاء معي إلى المستشفى؟ ولماذا يصحبني ويتحدث معي بهذه البساطة؟ ما الذي يخطط له؟ هل ما زال يريد الانتقام أم اكتفى؟

ما معنى نظرة الذعر التي لمحتها في عينيه قبل أن تصدمني السيارة؟

أمسكت الملعقة بيدي الحرة، ولكن طعام المرضى هذا سمج جدًّا.. حتى المُعدمين سيأنفونه!

* * *

«مهنة القاتل المأجور لم تأتِ من أمريكا إلى مصر كما يعتقد البعض، بل هي مهنة موجودة منذ الأزل.. فقط بأشكالها المختلفة ولأسبابها المتنوعة.. هي منتشرة في أمريكا لأنهم أكثر عددًا، ولأن أفلامهم أوسع انتشارًا، وليست هذه المهنة مقصورة على دول بعينها، بل هي في كل دول العالم».

* * *

الإنترنت يحوي أشياء عجيبة حقًّا.. مرة قمت بالاتفاق على عملية عبر الإنترنت، مرة واحدة.. قبل أن أعرف أن كل شيء مراقب على هذه الشبكة.. مراقب من الجميع، مخابرات مركزية (CIA)، ومباحث الأمن الداخلية، وهاكرز (HACKERS)، وكراكرز (CRACKERS)، وما خفي كان أعظم.. كانت تكنولوجية هذه الشبكة أعقد مما تصورت، وأعقد مما أستطيع استيعابه.. الطرق التقليدية تكون أكثر أمنًا.

هي مرة وحيدة تحمست فيها عبر «الشات» (CHAT) وشعرت برغبة في الفضفضة، تحدثت بحرية أكثر من اللازم، إلا أن الأمور مرت بسلام، قمت

obeikandl.com

بعملية وحصلت على أجري وانتهى الأمر.. الجيد في «الشات» أنك تستخدم اسمًا مستعارًا، وهذا ما ساعدني كثيرًا وقتها.

توقفت حتى بعد ذلك عن تصفح المواقع التي تحكي عن القتلة المأجورين أو عن طرق القتل المبتكرة، ربما كان ذلك في بداية الألفية.. بداية انتشار الإنترنت في مصر أصلاً.

فتح الباب ودخل كأنه أمر روتيني مارسه مِرارًا، توقف أمامي قائلا بحماس:

- تبدو بصحة أفضل.. ما أخبار اللغز؟

كان الوقت نهارًا.. وضَع ما كان يحمله في الخزانة، وأنا راقد معلقة قدمي اليمنى في جبسها.. قلت بفتور:

- لغز سخيف، لم أفهم قصدك من ورائه.

سحب الكرسي الوحيد بالغرفة وجلس عليه قائلا بهدوء:

- ليس لك في الألغاز الصعبة إذًا.. أنت تعتمد على دقة ملاحظتك لا على إعمال عقلك.

لم أردّ، فسكت لحظة ثم استطرد:

- كنت أحسبك أفضل من الآخرين، لكنك مثلهم.. ربما تتميز في شيء أو شيئين، لكن من قال إن كل شخص لا يتميز عن الآخرين في شيء أو شيئين.

- أنت تتحدث كفيلسوف.

- وكأنك قابلت فلاسفة من قبل.

- لا يمنع أن أسمع عنهم.

دخل الطبيب وخلفه ممرضة النهار، كشف علي وكل هذا الهراء الذي يمارسونه معي طوال اليوم، إلا أنني طلبت من الطبيب طعامًا أفضل مما يقدمونه لي، حتى ولو كان بتكلفة أعلى.. ولكنه نصحني بهراء الأطباء المعروف؛ أن هذا ليس في صالحي، ثم خرج وفي أثره الممرضة.

- سأجلب لك أفضل وجبة في العالم لو شئت، فقط وافق على طلبي.

- أنت لا تغريني بهذه الطريقة، أستطيع الحصول لنفسي على أفضل ما

obeikandl.com

أريد.. حتى لو كان ذلك على جثة الطبيب السمج.
ابتسم ثم قال:
- هل تعرف ما أريده إذًا؟
- أخمنه.. وأصلاً ما الذي يجعلني أقبل لك أي طلب؟ هل نسيت ما بيننا وما حدث لي بسببك، وما كنت ستفعله بي؟
- لا تنسَ أنك قتلتني مرة.. ورغم هذا أنا هنا لأُسَرِّي عنك.
- يا لي من وغد إذًا.
أخذ يقهقه بصوت عالٍ حتى ظننت أن إدارة المستشفى ستطلب النجدة متهمة إياه بإزعاج المرضى، غير أنه لم يطل ضحكاته كثيرًا وقال:
- سنكون ثنائيًّا لا يقهر.. فرص إمساك الشرطة بنا ستقل لأدنى درجة ممكنة.
- بل ستزيد، أنت لا تعرف شيئًا عن الرياضيات ولا المنطق ولا الفلسفة، أنت مجرد شخص غامض لا أكثر.
- أنا لست شخصًا عاديًّا.. أنت تعرف ما أكون عليه.
- حتى هذا جزء من غموضك، كونك قاتلاً هو أمر غير مثبت حتى الآن.
عاد لقهقهته من جديد، فقلت له:
- أحتاج إلى الراحة، هلا وفرتها لي؟
- لك ما شئت.
ثم نهض وهو يستطرد، بينما كنت أسترخي في السرير:
- فكر في العرض، سيكون أفضل ما حدث لك في الحياة.

* * *

استيقظت من جديد، أنام عدة مرات خلال اليوم، يبدو أنني بدأتُ أشعر بملل حقيقي في هذا المستشفى، وربما أتحدث إلى الطبيب ليصرح لي بالخروج، بعد أن يوفروا لي عكازًا مناسبًا أولاً.
وجدتُ بجوار يدي ورقة صغيرة بها ثلاث عبارات قصيرة.. «أعرف من تكون.. وأطلب منك تنفيذ مهمة.. مزق الورقة».. هذا شخص يشاهد الكثير

من الأفلام المترجمة، وهو يحاول أن يوقعني في فخ.. ولكنه غبي؛ لأنه من المفترض أن أُجيبه، وأنا - من المفترض أيضًا - لا أعلم من يكون.. ولكن من سيكون غيره؟!

دخل الطبيب تتبعه ممرضة الليل.. إلخ، وبينما هم بالانصراف طلبت منه أن يأذن لي بالخروج، فقال إنه سيعاود فحصي في الصباح ويقرر حينها.. ثم استوقفتُ الممرضة وسألتها:

- الشخص الذي يزورني، هل انصرف فور خروجه من غرفتي أم بقى في المستشفى قليلاً؟

كنت أفكر في أنه ظل في المستشفى حتى غلبني النعاس ثم دخل ودسّ الورقة عند يدي وانصرف، أجابت:

- سأسأل ممرضة النهار المسئولة عنك.. صباحًا.

وخرجتْ بشكل عادي جدًّا.. مبتسمة، مهرولة، لا تصدر بخطواتها صوتًا على الأرض.. كأنما هي قاتل محترف!

«أين يذهب الناس عندما تتركهم»، حاولت إيجاد الفخ في اللغز.. ثم ضغطتُ على الجرس لتأتي الممرضة، ولما جاءت طلبت منها ورقة وقلمًا.

دوّنتُ الجملة وحاولت إيجاد خدعة ما، ثم حاولت إعادة تركيب الجملة.. فعلت كل شيء حتى توصلت لأن الحل هو أبسط ما يمكن تصوره لسؤال عادي، وبدأت أفكر من جديد منطلقًا من هذا المبدأ.. غير أنني بعد وقت قصير خطرت لي أسئلة تشبه هذا السؤال الغريب..

«ماذا يحدث في البيت عندما أتركه؟».

«لماذا أسمع أصواتًا عندما أكون وحيدًا في المنزل وأفترض أنها آتية من الخارج؟».

«لماذا أرى أشكالاً وخيالات في الظلام أقشعر لها، ومع ذلك أصر أنها مجرد تهيؤات؟!».

obeikandl.com

-٨-

- الفرص لا تأتي سوى مرة واحدة، وهذه الفرصة جاءتك مرارًا.. تحمَّل نتيجة إصرارك إذًا.

- لا تهددني.

- لنرَ.

كانت هذه آخر جملة حوارية لهذا اليوم مع السيد «بوجي»، لم يطل الزيارة هذه المرة.. وبانصرافه شعرت كأن عبئًا ثقيلاً انزاح عن كاهلي، لبعض الوقت فقط.

ثم دخلتْ الممرضة في أثر الطبيب، الذي قررتُ أنني لن أترك له فرصة اتخاذ قرار آخر غير قراري.

* * *

خرجتُ على عكازي بملابس نظيفة اشتراها لي «بوجي»، الطريف أنه تكفل بمصروفات المستشفى، ظن أنه بالتصرفات المهذبة مع الإلحاح سيجبرني أن أرضخ له.. ولكنني ما كنت لآمن لشخص يريد قتلي، فضلاً عن أنني لا آمن لأي شخص على الإطلاق.

استوقفتُ سيارة أجرة بالنقود التي كانت بحوزتي يوم سقطت.. الأمانة شيء نادر هذه الأيام، لكنني وجدت كل قرش من النقود.

بالطبع كان السيد «بوجي» قد أنكر أي علاقة له بالورقة المدسوسة في يدي في المستشفى، وأبدى اندهاشه من ذلك وحذرني من أن هناك من يسترق السمع، مع بعض الحركات التمثيلية اللازمة لإقناعي كقيامه بوضع أذنه على الباب، ثم فتحه بسرعة لمفاجأة الشخص الوهمي الذي يسترق السمع من الخارج.. ثم البحث عن أجهزة تنصت في المصباح وداخل الخزانة، وكل هذه الأمور.

هذا الشخص فقد كل مصداقية له عندي، حتى ولو أقسم أن ١ + ١ = ٢ لما صدقته.

obeikandi.com

أمام المنزل كانت سيارات الشرطة ورجالها يعجُّ بهم المكان، وكنت مرهقًا بعد المجهود الذي بذلته منذ تركت سرير المستشفى حتى وصلت إلى هنا بإصابتي هذه.. فتجاهلتُ كل الموجودين وصعدت لشقتي في صمت، فقط لأجد الباب مفتوحًا، والشقة مليئة برجال الشرطة!

لم أفكر طويلاً، استدرت لأعود أدراجي، لكن حركتي البطيئة وعكازي جذبا الأنظار أخيرًا.. ناداني ضابط وهو يقترب ويسألني:

- هل تبحث عن أحد؟

لم تمر لحظة حتى عرفني، فقال مهللاً كأنما وجد كنزًا مدفونًا طال البحث عنه:

- أنت من نبحث عنه، مرحى.. أين كنت يا رجل؟

لم أجد ما أقول أو أفعل سوى رسم ابتسامة.

* * *

«ستكون أسطورة في يوم ما»..

* * *

- لماذا تقتل؟

قلت بانفعال:

- من سأل البيوت المهدمة، والسيارات المسرعة، والبالوعات المفتوحة، ومشعلي الحروب.. لماذا تقتل؟ من سأل الأعاصير والبحار والبراكين لماذا تقتل؟ من سأل البرد.. الفقر.. الجوع.. المرض، لماذا تقتل؟ من حاسب كل هذه على جرائمها؟ فقط لأن لا أحد يستطيع محاسبتها، هه؟ لكن أنا.. الفرد الضعيف يصنعون له قانونًا كي لا يَقْتُل.. حتى وإن كان من أجل كسب العيش.. الفرد الضعيف يحاسبونه، هه؟

- ما ذكرته لا يحدث بإرادة أحد، إنها إرادة القدر.. لكن ما تفعله هو بإرادتك، وهو أمر ليس من حقك.

- من يمنح الحقوق هنا إذًا؟ أخبر الذي يقوم بالمنح أن لي حق الحياة الكريمة،

obeikandl.com

وحق السعادة وحق الأمان، وحقوقًا أخرى كثيرة لم يلتفت إليها، فقط التفت إلى أن لا حق لي.. جميل جميل، هذا منطق لا أعيه.

- أنت تبرر الأمور الخطأ لتبدو صحيحة بشكل لا أفهمه.

- لأنك لا تريد أن تفهم، الفهم هو رغبة قبل أن يكون مقدرة على الاستيعاب.

- فيلسوف أيضًا.. قاتل، وفيلسوف!

هدأتُ، ثم ابتسمت قائلاً:

- دواعي المهنة.

-....

- اسمع، لماذا لا تعتبر أن ما تظنني أفعله هو من إرادة القدر أيضًا، هذا ينهي المشكلة.

- هذا يخالف القانون.

- نعم نعم.. اسمع، القدَر لم يضع القانون، إنه موضوعٌ بإرادتك أنت، وهذا ضد إرادة القدر.

- هذه هرطقة.

- أبدًا، إنها فلسفة.. حاول أن تجد مبررًا لشيء ما ولسوف تجده، فقط لأن كون الأمور لا تسير كما اتُفق لا يعني أنها خاطئة.

- هل ترى أن نعتبر القتل أمرًا عاديًّا، فيقتل الناس بعضهم ونصبح في غابة؟

- ربما هذا هو ما يريده القدر.

- أن تفنى البشرية؟

- ولم لا؟ لقد انقرضت الديناصورات من قبل، ربما حان الوقت لنوع آخر.

- أنا غير مقتنع.

- من جديد أخبرك، أنت لا تريد.

بعد لحظة صمت قال لي:

- إن لك عقلية رهيبة.. كان يمكن أن تفيد بها الناس دون شر.

- لا يوجد ما يُدعى بالشر، كل ما يحدث هو خير حتمًا.

obeikandl.com

- كيف هذا؟! هل قَتْلُ الناس خير؟
- لو نظرت إلى نصف الكوب المملوء دومًا، فستدرك أنه الخير في كل الأمور.
لم أحسبني قادرًا على مثل هذه المجادلات والحجج القوية، يبدو أن لي مهارات أخرى لم أكتشفها بعد.. قال الضابط:
- سنحتجزك تمهيدًا لعرضك على النيابة صباحًا.
نهضتُ ببساطة أغلق زر «الجاكت» الأوسط، ومددت يدي أتناول عكازي قائلاً:
- سعدت بحوارنا المطول، الذي أجهدني في الواقع.. لكنك لا تملك أي دليل ضدي، وبالتالي لا يحق لك احتجازي.
- لدينا عشرات الأدلة ضدك، كلها تحمل بصماتك.
- ملفقة، سيسهل إثبات ذلك في المعمل الجنائي.
- أنت ضيفنا حتى ذلك الحين إذًا.
- صحتى لا تحتمل.. كما ترى، فأنا أعتمد على عكاز.
- انفرادي إذًا.. هكذا لن يضايقك أحد.
كان يبتسم وهو يتجاوب مع هدوئي الظاهري.. وعرفتُ أن الشخص ما كان ليسمح بسد كل المخارج، هناك واحد يملك مفتاحه.. وسيساومني عليه في آخر لحظة.

* * *

لم تكن المعاملة في قسم الشرطة بذلك السوء، ربما عكازي.. أو هي طبيعة التهمة التي تجعل الآخرين ينكمشون عند رؤيتي، حتى ولو كان هؤلاء الآخرون هم رجال الشرطة..
الأفظع أنني لن أصلح لأكون قاتلاً محترفًا بعد الآن، حتى لو تمت تبرئتي تمامًا.. لقد انكشفتُ.
الحجز الانفرادي كان عبارة عن غرفة ضيقة عطنة يبدو أنهم لا يستخدمونها منذ دهور، وفَّر لي فيها الضابط كرسيًّا خشبيًّا لأنني لا أستطيع الجلوس على

الأرض الرطبة، فضلا عن قدمي المجبَّرة التي لا يمكن ثنيها.
حاولتُ إراحة جسمي على الكرسي وأغمضت عينيَّ، لكن عقلي لم يتوقف عن التفكير..
الشخص..
الضابط..
قدرتي الجديدة على المجادلة..
المستشفى..
الورقة المدسوسة..
الألغاز..
ما الشيء الذي يوصلك من بيتك لعملك دون أن يتحرك؟
ما الشيء الذي تأكل منه مع أنه لا يؤكل؟
أين توجد الأنهار الخالية من المياه؟
كيف لا تبتل عندما..
كيف أخرج من هذا المأزق؟!
أنا لا أترك أي شيء يدينني كقاتل، فما هي الأدلة التي وجدوها في المنزل؟
وهل هي أدلة ملفقة كما أتوقع أم لا؟
هل يحاول الضابط الإيقاع بي بتمويهات لا أصل لها من الحقيقة؟
ما غرض الشخص من إبلاغ الشرطة عني؟ هذا لن يفيده في أن أرضخ له لأنني انكشفت، وبخاصة لو نشرتْ أي جريدة صورتي مع خبر القبض عليّ.
هل ينتقم؟
لماذا لم يقتلني إذًا؟
هل هو ليس قاتلاً كما يدّعي؟

* * *

obeikandl.com

كثير من الأخبار يجهلها العامة، لا تبثها وسائل الإعلام، وأصلاً لا تعرف بها. سرقات البنوك لم تتوقف قط، كل فترة هناك عملية سرقة.. تطور أجهزة الأمن والإنذار يقابلها تطور في وسائل اختراقها، فقط لا يبلغ البنك عن السرقة كي لا تعرف بها الصحف حفاظًا على سمعتها أمام المودعين في ظل المنافسة الشرسة في عالم المال.. نعم.

الشخصيات العامة والمهمة التي يغتالها رجال الأمن وأجهزة المخابرات، فتفسر على أنها حوادث سيارات وهبوط حاد في الدورة الدموية، نعرف حقيقتها كاملة في عالمنا، كأن هناك قناة إعلامية سرية في عالم القتلة.

حتى تحقيقات الشرطة في أي ضحية أجهزتُ عليها، يرجح الضابط أن الفاعل قاتل مأجور، مما يزيد من صعوبة مهمته، فحينها يتوجب عليه البحث عن القاتل، وعن المحرض، وعن الدافع، وعليه في الوقت نفسه ألا يذكر أن هناك قاتلاً مأجورًا يعيث في المدينة ولم يتم القبض عليه حفاظًا على الأمن العام.. فضلاً عن أن القتلة المأجورين الذين يتم القبض عليهم يضعونهم تحت عنوان «مُسَجَّلُ خَطَر».

موظف البنك يستغل سذاجة الصعيدي ويقنعه بالاقتراض مقابل فائدة ٦٪، فيكتشف الصعيدي بعد ذلك أن الفائدة هي ٢٣٪، جريمة لا يمكن إثباتها ولا محاسبة مرتكبها، غير أن الصعيدي كان عليه أن ينتقم لسذاجته، فتنكشف الحقائق.

جرائم قتل واغتصاب وسرقة وخيانة، تتسلى الصحف بتأليف سيناريوهات خاصة بها، ليست كلها حقيقية، والحقيقي منها لا يتجاوز نشر ٣٠٪ من حقيقيته، والباقي عوامل جذب وإثارة لرفع مبيعات الجريدة.. الطريف أن أحدًا لا يتهم هذه الجرائد بالكذب، لا الناس ولا المصادر الرسمية التي تعرف الحقيقة كاملة، وكأن الجميع يستمتعون بحياة مزيفة من تأليف الصحفيين.

بعض الجرائم لا تخطر سوى لعباقرة، لا تفصح عنها الشرطة كي لا يتم

obeikandl.com

تكرارها، خصوصًا أنهم لا يجدون مُنَفِّذَهَا أبدًا.. جريمة كاملة، نعم.. لا بد من الاعتراف بذلك.

كيف أعرف بكل هذا؟

من لا يعرف لا يستحق الحياة.

أنا انتهت حياتي كقاتل.. سأعيش كمحاسب فقط، ببضعة القروش التي أزاحم الآخرين للحصول عليها آخر الشهر أمام موظف الخزينة.. أدائي التمثيلي كواجهة تخفي الحقيقة، ستكون هي الحقيقة نفسها.

كنت أسير بعكازي عندما لمحتُ الأطفال المشردين يتسولون ببيع المناديل.. أو من دون.

فكرة جيدة حقًّا، ولمَ لا؟! لقد تم توجيه هؤلاء الأطفال بشكل خاطئ ليصبحوا متسولين محترفين، بينما بإمكاني أن أخلق منهم قتلة محترفين.. واحدًا وأكثر، نعم.. فكرة موفرة، وتجني ربحًا وتقلل المخاطر.

هؤلاء أكبر من تسعة أعوام، لا بأس.. من الأفضل أن أكون الأسطورة الوحيدة بسني المبكرة تلك.

الشخص؟ نعم لقد حررني، شعرت بالمهانة ولكنه أنقذني من الشرطة.. كما توقعت فقد أعد لكل شيء، ويستحق أن يكون قاتلاً محترفًا لو لم يكن كذلك.

* * *

جاء لزيارتي في الحبس الانفرادي باعتباره محاميّ الخاص، التزوير ليس شيئًا صعبًا منذ دهور، ولربما كان محاميًا بالفعل، فأنا أجهل الكثير عنه.. قال في الغرفة الرطبة:

- الآن إليك اللغز الأصعب.

- ليته يكون الأخير.

- ربما لو متَ الآن يصبح كذلك.

obeikandl.com

....-
- أليست الحيوانات كائنات حية؟
كان سؤالاً غبيًّا بالفعل، ولكنني لا أملك عدم الرد، فقلت:
- هي كذلك.
- هل للحيوانات أرواح كأرواح البشر؟
- للحيوانات أرواح، لكنها ليست كأرواح البشر بالطبع.
- هل النباتات كائنات حية؟
- هي كذلك.
- هل لها أرواح؟
....-
- سؤال صعب بالفعل.
صمت لحظة ثم استطرد:
- لو أن الحيوانات كائنات حية كالنباتات فلا بد للنباتات من أرواح، أو لا بد أن الحيوانات ليس لها أرواح.
- لا بد من وجود مَراجع تجيب عن هذا السؤال.
- لا يوجد، أنت تعرف أن الروح سر عظيم، سر لا يدون في الكتب.
صمتنا وهلة، ثم سألته:
- ماذا الآن؟
- لا شيء، فقط لا بد من لحظة عجز يصل إليها الإنسان في النهاية.
- أتفق معك، لم يكن هناك داعٍ لتثبت لي.
- هل تظن الفراعنة وصلوا إلى سر الروح؟
- الفراعنة كانوا حمقى، يحتفظون بجثث لا تتحلل مع ثروات طائلة الأحياء منهم كانوا أولى بها.. كنت لأقتل ملوكهم بنفسي لأحصل على ثرواتهم تلك.
- القتل لا يجلب سوى القتل.
- ما الموت سوى مغناطيس بطيء الجذب، يشد الإنسان منذ ولادته حتى

obeikandl.com

يلتصق به، فيفنى.. لا يهم إن قتله أحد أو كسرت رقبته لسقوطه من فوق الدرج.

- وهل تعجل أنت بعملية الجذب هذه؟

- أبدًا، كل إنسان يجذبه الموت بدرجة بطء مختلفة، لا دخل لي في شيء.. أنا أعتبر نفسي مثل سلك كهرباء عارٍ، أو سيارة تمردت على أوامر قائدها، أو حتى إعصار مدمر.. طريقتي مجرد سبب.

عاودنا الصمت من جديد وهو يتأملني، وأنا جالس متذمر من رائحة المكان، ثم نهضت أدور بعكازي في الغرفة، فقال لي:

- ماذا عن العرض الذي قدمته لك؟

- أي عرض؟

-....

- حسنًا، أخرجني من هنا وسأنفذ لك ما تريد.

ابتسم قائلاً:

- ولكنك لم تعد تصلح كقاتل مأجور، قدمك المصابة مهما شُفيت فقد حرمتك اللياقة الكاملة.. كما أن وجهك أصبح مكشوفًا، أنت مشتبه به مهما كانت قوة البراءة التي سيمنحها لك أعظم قاضٍ.

- لا بد أن لي نفعًا بالنسبة لك، وإلا ما أتيتَ الآن.

- ما زلتَ تلاحظ، هذا جيدًا.

سكتُ منتظرًا أن يخبرني بعرضه الجديد، غير أنه سلك مسلكًا آخر:

- ماذا تفعل لو أن بإمكانك إنقاذ العالم من خطر داهم سيفنيه تمامًا؟

- لا شيء بالطبع، بل سأساعد في أن يفنى العالم.. ماذا يستحق أن ننقذ العالم من أجله؟ كل هذه الحروب وكل هذا الدمار وكل هؤلاء القتلى والقتلة؟ كل هؤلاء الفقراء وكل هذا المرض؟ لن أنقذ العالم من أجل حفنة من الصفوة ينتظرون أبطالاً يحمونهم ليستمروا في تنعمهم.

- أنت تحملُ فكرًا خاصًا ووجهة نظر إذًا؟

obeikandl.com

- لا يمكن أن تكون قاتلاً محترفًا غبيًّا أو جاهلاً، لكي تكون قاتلاً لا بد أن يكون لديك عقل منظم، ولكي يكون لديك عقل لا بد أن يكون لديك الكثير من الثقافة ومتابعة الأحداث، وبالتالي ستكون لك وجهات نظر في الأمور.
- رائع.. أنت عبقري.
- لا دخل للعبقرية هنا، وإلا فميكانيكي السيارات شخص عبقري إذًا، فهو يجيد ما يفعل.
- يمكنني أن أخرجك من هنا.
ما زال يستخدم طريقته في تشتيتي، الخروج من موضوع والدخول في آخر والعودة.. لا أدري إن كان يستمتع بهذا الأسلوب معي:
- عظيم جدًّا، أخرجني الآن.
- مقابل ماذا؟
- ما تريد.
صمت قليلاً كأنما يستمتع بحيرتي في البحث عن سبب حاجته لي، وأخيرًا قال:
- عملية أخيرة.. عملية كبرى تعوضك عجزك عن القتل من جديد، وتوفر لي كثيرًا من النقود.
- مضمونة؟
- هذا يعتمد على سرعة تنفيذها قبل أن ينكشف أمرك للصحافة.
- أخرجني بأسرع ما يمكن إذًا.
لم يرد، ظل متأملاً وجهي معجبًا بحماستي.. وبخضوعي له أخيرًا.

* * *

ما دام هناك قاتل «محترف»، فهذا يعني أن هناك قاتلاً «غير محترف»، هذا صحيح..
القتلة غير المحترفين هم أشخاص عاديون جدًّا، مثلك أنت بالتحديد، يتم

obeikandl.com

توجيههم دون درايتهم لأن يصبحوا قَتَلَةً ولو لمرة واحدة، والأمر ليس بتلك الصعوبة مطلقًا، وبخاصة مع المنظمات المحترفة.

أنت تذهب لتحليل دمك بأمر من الطبيب الجشع الذي يعلم ألا شيء أصابك سوى بعض المغص جراء تناولك طعامًا مشبوهًا، هنا يأتي دور المنظمة لتستغل جشع الجميع، فيظهر لك المعمل نتائج تحليل إيجابية بأنك مصاب بورم خبيث في أحشائك، وتذهب بنتائجك للطبيب الجشع ليؤكد لك صحة التحاليل، ويتنبأ لك بالموت خلال شهرين.. تسير على قدميك لما يزيد على ساعتين أو ثلاث متأثرًا بمستقبلك الذي شارف على الانتهاء، ومن ثم تقرر إخفاء الأمر عن الجميع واستشارة طبيب آخر ليرسلك إلى معمل تحاليل مختلف يخرج لك النتيجة نفسها.. استنزفوا القروش التي تملكها، تفكر في زوجتك وأهلك وأولادك، يظهر لك الفرَج بعد أن تكون قد دمرتَ حالتك النفسية تمامًا.

يأتي لك شخص يعرض عليك مبلغًا كبيرًا من النقود مقابل عملية قتل واحدة، ترفض.. يلح.. تتردد.. يصر.. توافق بتذبذب.. يُظهر لك بعضًا من النقود.. توافق بثبات.. يخبرك بالخطة وبالشخص المنشود ويغريك بالبطولة التي ستكون عليها بعد أدائك المهمة وكسبك النقود.. فتوافق بإصرار.

غالبًا ستقتل شخصًا في مدينة أخرى سبق تكليفه قتل شخص أعظم شأنًا في مدينة ثالثة ترغب المنظمة في التخلص منه، ولكن العملية بالسهولة التي لا تجعل المنظمة تلجأ فيها لقاتل محترف باهظ التكلفة ويصبح شاهد عيان، ومن ثم يتم التخلص منك أنت شخصيًّا بصورة تبدو طبيعية، خصوصًا أن لك أوراقًا تثبت تدهور حالتك الصحية، صحتك السليمة تمامًا في الأصل!

سلسلة من جرائم القتل في أماكن متفرقة لأسباب مختلفة لا يمكن للشرطة الربط بينها أبدًا، وبالتالي لا يمكنها الوصول للقاتل الحقيقي.

هل يحدث ذلك في مصر؟!

لو أن للمنظمة المحترفة أنشطة في مصر.

لم تكن المهمة صعبة، ولن تعوّقني قدمي المصابة كثيرًا، خصوصًا أننا في دولة نامية، تستمد أمنها من خصائص أفرادها، لا بإمكانات الدول المتقدمة من تجهيزات أمنية.

في غرفة فندق «شيراتون المنتزه» أخذتُ أجهز بندقية «دراجونوف» ذات المنظار المقرِّب، وفَّرها لي الشخص بنفسه، فأنا حاليًّا لا أملك سوى مسدسين «Smith & Wesson» و«Beretta» الذي أفضله أكثر لأنه يشبه مسدسات لعب الأطفال. وبالطبع كاتم صوت، بالإضافة إلى خنجر ومدية.. أدواتي المتواضعة للقتل.

كان السيد «بوجي» قد أخرجني من الحجز الاحتياطي بسهولة، هذا إضافة إلى أن الأدلة التي حاولوا إيقاعي بها كانت ملفقة، لا بصمات لي عليها.. وباب شقتي كان مفتوحًا عندما دخلت الشرطة منزلي، على الأقل هذا ما ورد في الأوراق الرسمية.

أي أن القضية كلها كانت مجهزة لأن لا تثبت عليّ. وأنا - بعد كل ذلك - لا أستبعد أن الضابط الذي لا يحب القتل هو صديق مقرب للسيد «بوجي».

لم يعفِني ما سبق من التقيد برغبة الشخص في عملية أخيرة، وارتحت للفكرة أكثر عندما استنتجت وجود علاقة بينه وبين الضابط، مما يعني حبكة ممتازة.. لكن طبيعتي تأنف من أن آمن لأي شخص مهما كان، لذا كانت المخاطرة بهذه العملية كبيرة.. وإجبارية.

جربتُ المنظار في البندقية التي وضعتها بطريقة تريحني للتصويب، وانتظرتُ الهدف.. سيخرج أحد الأشخاص يحمل حقيبة كبيرة بُنِّيَّةَ اللون، سيكون بها مبلغ قال عنه «بوجي» إنه «مليونا جنيه»، وأن الرجل سيركب سيارة بسائق خاص بعد أربع خطوات من نهاية الدرج بعد بوابة «البنك الأهلي» في أول شارع جمال عبد الناصر، لذا فعلي قتل الهدف قبل الخطوة الأخيرة. سيجتمع حوله الناس بشهامة متوقعة، فيسحب هو الحقيبة قبل أن يلحظ وجودها

obeikandl.com

أحد، ويختفي. خطة بسيطة، مكررة، هو أخبرني أنها مكررة.. حدثت في أمريكا واقتبسوها في فيلم أمريكي.. لكنني أعرف أنها ستنجح.

هو استأجر غرفة باسمه في الفندق، تطل على البنك المواجه، وأنا استأجرت غرفة - مستخدمًا بطاقة إثبات شخصية مزيفة - على الناحية الأخرى من ردهة الفندق في طابق مختلف. في صباح اليوم التالي - الذي هو اليوم المحدد - سأدخل غرفته ويخرج هو تاركًا مفتاحها في الاستقبال بحجة الذهاب إلى البحر، أنهي مهمتي وأرجع لغرفتي مغلقًا باب غرفته ورائي، فلما يكتشف أي شخص أن هناك طلقة رصاص وأنها جاءت من أعلى ومن اتجاه الفندق ويقومون بتحديد الغرفة التي تم التصويب منها، يكون هو خارج الفندق أصلا والغرفة خالية، فيتم اتهام العاملين بالفندق أو أي شخص آخر، لا يهم.

ما الذي لم نعمل حسابه إذًا في هذه الخطة؟ أن يفتح شخص باب الغرفة ويدخل. فالباب ليس موصدًا لأنني سأخرج منه، وحتى لو كان كذلك، فعاملة النظافة هي من دخل، ومعها مفتاح احتياطي على كل حال.. لذلك أنا لا أعمل مع أي شخص، فأنا أفكر لنفسي وأكون مسئولا وحدي عن خطتي.

غير قدمي المصابة وتركيزي في التصويب باتجاه مدخل البنك، لم تكن لعاملة النظافة أن تعيش كل العشرين ثانية التي فوجئتْ بوجودي فيها داخل الغرفة الخالية، ولا سألتني من أكون، وهكذا أصبح تغيير الخطة أمرًا ارتجاليًّا.. وحتميًّا.

أغلقتُ باب الغرفة بعد أن أصبتها برصاصة - اخترقتها بالطبع - وتحاملتُ على قدمي لأضعها على السرير وأغطيها حتى رقبتها، ودماؤها السخيفة تسيل على الملاءات البيضاء.

بحثت عن مكان الرصاصة فوجدتها في الحائط بجوار الباب، لم تستقر خارج الغرفة إذًا وهذا أمر جيد، تركتُ السلاح - الذي لا يحمل بصماتي - وفتحت باب الغرفة وابتعدت قدر الإمكان قبل أن أستقل المصعد لغرفتي.

لم أعرف إن كان يجب أن أسدد حسابي وأترك الفندق حالاً فأكون مشتبهًا

به لاحقًا، أم أبقى ويتم منع خروج أي شخص من الفندق حتى انتهاء التحقيقات؟

لو جاء الضابط الذي احتجزني منذ يومين فستتم إدانتي بالجريمة، خصوصًا أن المحضر السابق ما زالت أوراقه موجودة.

قررت عمل أسرع تصرف ممكن قبل اكتشاف الجريمة، تركتُ مفتاح غرفتي في الاستقبال وخرجت من الفندق إلى أقرب كابينة هاتف، واتصلت بالشرطة لأخبرهم بأنني «شاهدت رجلاً - مدليًا بأوصاف الشخص - يخرج من فندق كذا ملطخًا بالدماء مرتبكًا مهرولاً يستوقف سيارة (تاكسي)، وأرجو أن أكون مخطئًا في ظني».

بالطبع اتخذتُ مسارًا بعيدًا عن اتجاه البنك واستوقفت «تاكسي» وذهبت لتناول الغداء في مطعم على الكورنيش.

كنت أفكر بدخول السينما، ثم تراجعت لأنهم قلائل الذين يدخلون السينما فرادى، كما أنهم لا يتكئون على عكازات.. سأزيد الشبهات حول نفسي لا أقللها.

* * *

شعرت برغبة عجيبة في رؤية الفتاة الشقراء التي رأيتها في الكافيتريا يوم قابلت الشخص لأول مرة، فتركت متابعة أطفال الشارع - مؤقتًا - وتوجهت لتلك الكافيتريا.. وعقلي لم يكف عن التفكير في كيفية التخلص نهائيًا من هذا المأزق الذي أظنني فيه.

لا أعتقد أن الشخص، عند القبض عليه، سيكتفي بالصمت أو لا يذكر اسمي، إنه يعرف كل معلومة عني.. اسمي ومكان سكني وعملي كمحاسب، كل شيء، ولكن هل يستطيع إثبات أي شيء؟

كنت قد وصلت إلى المكان المنشود، دخلت وجاء النادل بعد قليل.. طلبت «كاكاو» من باب التغيير، وتأملت الموجودين فلم ألمح الفتاة الشقراء الوحيدة عند أي طاولة.

obeikandl.com

أي تهمة ستوجه لي يمكن إنكارها بسهولة، خصوصًا أنه لا توجد لي بصمات في أي مكان، وقدمي المصابة تشهد بعجزي عن إيذاء قطة.

كما أن حياتي كمحاسب ستبعد عني الشبهات.. نعم، مهما كانت حنكة الشخص وفساد صديقه الضابط فلن يتمكنا من إثبات أي شيء عليّ. ربما بعض «الشوشرة» على سمعتي، ولكن حياتي كقاتل محترف انتهت للأبد بالفعل.

جاء «الكاكاو»، وزاد دخان سجائر الموجودين في المكان.. كل ما أتمناه أن يحسنوا إدانة الشخص ليعدم أو يعيش فترة طويلة في السجن، لقد آن الوقت للتخلص منه فعليًّا.. لو لم يفعلوا فسأغامر بالإجهاز عليه بنفسي، ولو كعملية اعتزال بصفتي لاعبًا محترفًا، فهو يستحق هذا الشرف.

التصرف الأمثل الآن هو ألا أعود إلى الفندق.

أما آخر ما كنت أتوقعه حقًّا، هو دخول شخص طويل عريض، أنيق، يرتدي حلة سوداء لها قميص أخضر داكن و«كرافت» بدرجة مختلفة من الأخضر الداكن. كثير من العيون تابعتْ دخوله المحل حتى جلس إلى أقرب طاولة شاغرة صادفته، لا بد أنهم يتطلعون إلى شعره المجعد الأشقر القصير.. غير أنه توجه نحوي أنا.

كان مبتسمًا.. مستفزًّا.. مقيتًا.. كان السيد «بوجي».. بنفسه!

* * *

في أي عام تحيون الآن؟ بالنسبة لي الزمن هو يوم واحد لا ينتهي أبدًا، فأنا لا أنام، ولست مستيقظًا.. لا يوجد هنا ليل ونهار، فقط شيء بين ظلمة ونور لا يتلاشى.. لا عليكم، يوم تسمعون الصفير المزعج لجهاز دقات القلب هذا، سأكف عن الثرثرة حتمًا.

لا أذكر آخر شيء حدث لي قبل أن أسقط أرضًا.. أظنني في غيبوبة منذ وقت طويل، لكن..

ما سببها؟!

الألم في كل مكان، لذا لا شيء يساعد على التذكر.. اسمي.. اسمي.. لا أذكره، أعمل محاسبًا في شركة.. نعم أظن هذا.. لا بد أن هناك من يعرف كل شيء عني، فهناك أصوات بالخارج..

أشعر برغبة في النوم..

يتراءى لي وجه صارم..

وآخر متفائل..

ووجه مبتسم..

لماذا النباتات بلا روح؟

لماذا النباتات لها روح؟

شيء من هذا القبيل..

فليصِح المخرج «CUT» الآن، لقد أُرهق عقلي..

وسئمتُ التفكير.

تيييييييييييييييييييييييييييت

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

الجزء الثاني

obeikandl.com

-١-

قفزتْ من تلك الشرفة بالطابق الأول إلى الشارع، وأخذت تركض بكل سرعتها.. رفيعة.. قصيرة.. بيضاء.. شعرها الأشقر ناعم ينتهي عند الرقبة، جميلة من دون أي لمسة من أدوات التجميل.. مذعورة.

لم يكن هناك من يلاحقها أو يتابعها بعينين من تلك الشرفة، ولم تنظر هي وراءها حتى استدارت.. بعد عدة أمتار استدارت في شارع جانبي.. وبعد اختفاء نقرات حذائها وهي تركض، عاد الهدوء للمكان..

وعادت القطط.

* * *

«الحياة مليئة بالغرور الذي يجعلها تخلق رسامين يخلدون محتوياتها في لوحات..

وفلاسفة يتأملون تصرفاتها العنجهية..

ووجوديين يؤمنون بها..

الحياة تسحق الضعفاء وتهب الأقوياء مزيدًا من القوة..

الحياة لها رأيها الخاص في الأشياء، وتمتلك قوتها الخاصة اللازمة لتحقيق مرادها..

لو لم أعمل حسابًا لكيان بهذه القدرات؛ لدهسني هذا الكيان بلا غضاضة..

الحياة مغرورة بما يكفي، وعلي إشباع هذا الغرور..

لذا يولد الكذب..

الكذب شيء رائع.. أنواعه كثيرة وأغراضه لا نهاية لها..

فلا يوجد ما يدعى بثقب الأوزون، مجرد كذبة للحصول على نقود عبر الترويج لسلع يطلقون عليها (صديقة للبيئة)..

ولم يصعد أي شخص إلى القمر، بل لم يخرج أي شخص عن الغلاف الجوي الأرضي العادي قط.. ولكنها وسيلة لعمل إبهار يفرض الهيمنة..

لم تكن هناك محرقة يهود، ليس بتلك المبالغة الدعائية على الأقل.. ولكنها

obeikandl.com

وسيلة لكسب التعاطف..
التاريخ نفسه يحمل كثيرًا من الكذب.. فنحن نصدق ما نقرؤه على أوراق صفراء مهترئة، لمجرد أنه مكتوب على أوراق صفراء مهترئة.. لكن من كتبوا هذا الكلام كذبوا في كثير أو قليل منه..
فقط هم كذبوا بِحِرَفِيَّةٍ تجعل لهذا الكذب أن يدوم طويلاً دون أن ينكشف..
لماذا كذبوا؟!
لأسباب كثيرة.. ربما للتضليل عن حدث جلل..
أو الترويج لشخص هام..
أو بث الأمل في مستقبل أحمق..
وربما لمداراة ماضٍ فاشل..
أي سبب تقترحه سيكون صحيحًا في مناسبة ما..
ولكن أفضل أسباب تزوير التاريخ، هو التغطية على عمليات القتل التي قام بها الحكام لمعارضيهم.. مهما قرأنا فما زال هناك المزيد الخفي لم تذكره السطور..
القتل..
هل تعلم أن نفس الأسباب التي تؤدي إلى القتل، عكسها يؤدي أيضًا إلى القتل..
مثلا: المدمنون يسرقون ويقتلون الناس ليحصلوا على نقود يشترون بها المخدرات، عندما شح الحشيش في أوائل عام ٢٠١٠ الميلادي؛ كان المدمنون يسرقون ويقتلون التجار للحصول على الحشيش أيضًا..
سواء هو متوفر ومتاح، وسواء هو شحيح وغير متاح، في كل الأحوال المدمنون يقتلون..
لماذا يهتم أي شخص لحياة أي شخص آخر؟ دائمًا هناك بديل، فالكون لا يتكون من فردين أو ثلاثة..
دائمًا هناك آخر يمكنه تعويض النقص الذي يسببه تبخر شخص ما من الحياة..

obeikandi.com

الأخ بصديق والصديق بآخر والزوج بغيره والزوجة بأخرى أجمل وأصبى..
لا توجد مشكلة أبدًا.. فقط، عليك بعد محاولاتك الفاشلة وأخطائك المتكررة، وعند أول نجاح تحققه أن تثق بنفسك تمامًا.. ثق بأنك تقف على الحافة وأنك لن تسقط أبدًا، حتى لو دفعك أي شخص لتقع، فأنت لن تتأذى..
بل وربما تسقط على ريش نعام..
ريش صفحات التاريخ الصفراء المهترئة التي ستخلدك.. فتصبح بلا نهاية..
النهاية، هي أن تبدأ السير في الطريق الخطأ..
وأنت ترى الطريق الصواب الآن..
لتنتصر على الحياة ذاتها».

* * *

في مكتبه الفخيم تحت الإضاءة الخافتة، تفحص قامتها القصيرة بنظراته، تأملتْ سترته اللامعة وهي تلهث، والسيجار الموضوع على سطح المكتب الفاره يخرج دخانًا رفيعًا.. قال:
- لم يلحظْكِ.
لم تُبدِ ذَرة استجابة للجملة الخبرية، فاتجه ناحية مكتبه ورفع سيجاره إلى فمه.. ثم قال من بين الدخان:
- بالفعل نحن بحاجة لشخص مثله.
وتوجه ببصره ناحيتها وأمرها:
- انصرفي الآن.. ما زال هناك المزيد لإنجازه.
فاستدارت خارجة من الغرفة، وجلس هو على أريكة جلدية بنية مريحة في استرخاء.. وتأمل.

* * *

obeikandl.com

اليوم الأول لي من دون عكاز.. عرَج ملحوظ، ومع المزيد من العلاج سيصبح غير ملحوظ.. ويأمل الطبيب أن يزول العرج نهائيًّا..

وقفتُ على السطح - من دون ألم - أتأمل كل شيء بأسفل.. الشوارع.. السيارات.. المحال.. المارة.. البيوت.. ثم تأملت الأسطح المقابلة والمحيطة.. تأملت السماء وكان الوقت عصرًا..

أخرجت بندقيتي وقمت بتركيب أجزائها وتلقيمها الرصاصات.. سأضطر إلى القيام بعملية الاغتيال هذه من الوضع واقفًا، لأن السور المحيط بالسطح عالٍ أكثر مما ينبغي، ولن يُجدي معه استخدام حامل السلاح.. ورغم خطورة القيام بعملية كهذه من الوضع واقفًا، فإنني مضطر..

عمومًا هناك بعض التجهيزات المعدّة لهذا الأمر..

على ناصية الشارع كان عدد من الأطفال المشردين يتسامجون على سائقي السيارات بمحاولة التظاهر بمسح زجاج السيارات، أو بيعهم عبوات مناديل الجيب المصنوعة تحت السلم من مخلفات مجهولة.. هنا تذكرت مشروعي القومي الذي قررته عند الاعتزال.. لكن نظرت في الساعة، وسحبت نفسًا عميقًا وأنا أتابع السيارات القادمة لتمر أسفل المبنى المقابل.. سيارة بعينها لا بد أن ألحظها وأتعامل معها.. توقيت دقيق، تصرف سريع، نسبة الخطأ أقرب ما تكون إلى الصفر..

سأنهي العمل وأنزل طابقين، في تلك الشقة المستأجرة منذ فترة.. ليس لي اختلاط بالسكان، ولا يعرف البوّاب الكثير عني.. أنا شخصية غامضة ولكنها غير مريبة، وهذا أهم ما يجب أن يكون في حياة أي قاتل محترف..

سيأتي شخصان عبر الأسطح المجاورة يزيلان البندقية التي سأخلفها ورائي، ثم يتبعاني إلى شقتي.. ليلتين يقضيانهما في هدوء حتى تنتهي الشرطة من عملها في المنطقة، ولو حدث تفتيش للشقق سيسهل الادعاء أنهما صديقان في زيارة..

كنت قد عرفت أن تأجيري هذه الشقة لم يكن من قبيل الصدفة.. السمسار

الذي اخترته بإرادتي وأوكلت له مهمة إيجاد شقة لي، سهل عليهم معرفته والتوصل إليه ورشوته لإقناعي بهذه الشقة بالذات..
كانوا يخططون لهذه العملية قبل حتى أن يحصلوا على موافقتي..
كانوا يثقون بأنفسهم وقدراتهم تمامًا..
الآن السيارة تدخل الشارع حسب التوقيت المحدد..
الهدف يقترب بسهولة..
كم مرة قلت إنه على كل شخص ألا يعيش حياة روتينية يسير كل شيء فيها بدقة!
دقة في المواعيد، ودقة في أماكن الوجود، ودقة في الالتزام بكل هذا..
صوبتُ على سقف السيارة باتجاه الجالس على الأريكة الخلفية عكس موقع جلوس السائق..
لم يتبق سوى الضغط على الزناد.. فقط.

obeikandl.com

«تيييييييييييييييييييييييييييييييييت»

ذلك الجهاز السخيف يعلن أني مت، رغم أنني لست كذلك.. فها أنا ما زلت أثرثر معكم..

الطريف أن أحدًا لم يجذبه صوت الـ«تيييييت» السخيف، لذا قمت بضغط جرس استدعاء الممرضة كي تفصل قابس الكهرباء عن الجهاز الأحمق.

هرعت الممرضة على أثر الجرس وسماعها الصوت المزعج، ثم تفاجأت بأني حيّ.. مبتسم.. أطلب منها فصل القابس.. فنظرتْ إلى الجهاز بدهشة وشدت السلك، ووضعت يدها على جبيني قبل أن تقول:

- سأستدعي الطبيب.

- هل سأموت؟

ضحكتْ ثم قالت:

- أنت قتلت الجهاز، يبدو أنك لن تموت الآن.

ابتسمتُ وهي تخرج لاستدعاء الطبيب.

درت بنظري في الحجرة، بجواري سرير شاغر.. هذه من الغرف التي تحمل مريضين في الوقت ذاته.. يسمعون أنين بعضهما ويموت أحدهما تشاؤمًا من موت شريكه..

نظرية فاشلة في عالم الطب أن تجمع أكثر من مريض.. أكثر من ألم.. أكثر من عذاب.. في وقت واحد، ولكنها تصلح في عالم السياسة.. أو عالم القتل!

أنتم تعرفونني بالطبع.. قاتل مأجور يتظاهر بأنه محاسب.. منذ فترة أمارس هذه المهنة - القتل - وحتى أموت سأفعل.. لا أظن أنه ستأتي لحظة يستيقظ فيها ضميري.. أو للدقة، لا أتمنى في لحظة أن يستيقظ ضميري.. فهذا شيء أجيده وأتكسب منه ويصعب التوقف عنه.. المشكلة أن هناك الكثير من الأشياء التي قد تمنعني من ممارسة هذا العمل، غير مسألة الضمير تلك.. كأن ينكشف وجهي للجميع فأصبح ورقة محروقة في عالم سري جدًّا، أو كأن

obeikandl.com

أصاب إصابة تعوقني عن الاستمرار في المهنة.. وهذه أشياء سيئة بلا شك.
دخل الطبيب مبتسمًا يقول مداعبًا:
- تقول الممرضة إنك قتلت جهاز كشف الحياة.
- لا بد أنه قد عانى الكثير، ولا أظنه مات تمامًا على أي حال، ربما صدمة كهربية أو تنفسي صناعي يعيدانه إلى العمل.. فقط تحتاجون إلى طبيب كهربائي.
ابتسم الطبيب وهو ممسك برسغي وينظر في ساعته، فقلت:
- تأكد أن عقرب الثواني سيموت هو الآخر لو استمررت ممسكًا بيدي طويلاً.
ظل على ابتسامته وقد ترك معصمي ثم قال:
- حالتك جيدة.. بعض الفحوص وقد نسمح لك بالخروج.
- سيكون أمرًا رائعًا.. فأنا لا أحب جو المستشفيات والمرضى.
- هذه نزعة نفسية معروفة تدعى...
- أعرف أعرف.. فقط أريد الخروج في أسرع وقت ممكن.. تلك الحسناء يمكنها إرشادي لإجراء الفحوص.
ابتسمت الممرضة خجلاً فأبلغها الطبيب بعض التعليمات ثم خرج، وبدأتُ أستعد لعمل كل ما يلزم كي أخرج من هذا المكان..
هناك الكثير مما فاتني، ولا بد أن أعرف ما آلت إليه الحياة في أثناء غيابي.

* * *

من الرائع أن تمد البنوك ساعات عملها إلى السادسة.. فهذا يعني قدرتي على سحب مبلغ من مدخراتي في الرابعة والنصف، وبخاصة بعد خروجي من المستشفى مفلسًا مقررًا عدم الرجوع إلى المنزل بتلك السهولة.
حياتي مؤخرًا أصبحت الدخول إلى المستشفى والخروج منه.. في المرة السابقة وجدتُ الشرطة تملأ منزلي، هذه المرة لن أكرر الخطأ نفسه.. لا بد من

تخطيط مسبق لكل شيء، خصوصًا أن بعض الأمور ما زالت معلقة.
اتجهت إلى البنك، تعاملت مع الموظف الذي لم يتمكن من مساعدتي، فقابلت المدير.. أنجز كل شيء بسلطاته.. خرجت متجهًا إلى أقرب فندق صادفني.. حجزت غرفة واستلقيت على الفراش..
ليت الحياة تسير بنفس بساطة الحكي عنها.
غفوت بالتأكيد؛ لأنني انتفضت على دقات خفيفة على باب الفندق.. نهضت متكاسلاً.. أفتح لأجد عامل الفندق يحضر طعامًا على عربة صغيرة ويبتسم قائلاً:
- الغداء يا فندم.
لا بد أنني أنفقت مبلغًا طائلاً في حجز الغرفة.. في البنك أقنعوني بما يدعى «فيزا كارد» وهو شيء كنت أبغض التعامل معه، لكن المدير شجعني على استخراجه وقام بعمل ذلك بشكل فوري، فأحببت تجربة استخدامه، وكان أول ما استدعى ذلك هو الحجز في هذا الفندق.
أخذ موظف الاستقبال يسألني أشياء كثيرة وأنا أجيبه بـ«نعم» متتالية، لا شك أنه كان في قمة سعادته وهو يورطني في أشياء لم أفهمها.. في أي شيء بالضبط؟ كم ليلة حجزت؟ كم سعر الغرفة في الليلة؟ كم دفعت؟
الشيء الوحيد الذي أدركه الآن هو أنني حجزت هذه الغرفة «شاملة تحقيق أحلامي قبل أن أحلمها» مما يجعل بإمكاني الحصول على خمور، غير أنني لا أتناولها.. وهذا يعد إهدارًا للموارد في ظل عدم ثقة فعلية في مصدر إيرادات متاح.
رغم كل شيء أنا مُحاسب، وهذه الأمور تمر عليّ.
كم عدد نجمات هذا الفندق؟ ما اسمه؟ أنا بحاجة لمزيد من النوم الآمن بالتأكيد.
- من فضلك، لا أريد أي إزعاج على أي مستوى.
- أمرك يا فندم.

هكذا رد العامل الذي أوصلني للغرفة وهو متصلب مكانه، فسألته:
- هل هناك شيء؟
- كل عام وأنت بخير.
كانت هذه كلمة السر المتعارف عليها إقليميًّا، فوضعت يدي في جيبي وأخرجت ورقة نقدية أعطيتها له.. غالبًا ستكون أكثر من ٢٠ جنيهًا، لا بأس، المهم أن أنام الآن.. أنام كثيرًا.
وضع العامل الورقة في جيبه ونقل علامة «عدم الإزعاج» إلى مقبض الغرفة من الخارج، وانصرف..
خلعت ملابسي ودخلت الحمام.. تحممت وحلقت وارتديت «بُرنس» الفندق واستلقيت على السرير.. عندما أستيقظ سأحضر ملابس جديدة.. المهم فعلاً أن أنام.. غير أن الأفكار لم تفلت عقلي بعد..
فعليَّ إكمال مشوار «ما بعد التقاعد».. حانت لحظة إنشاء جيل جديد من القتلة المحترفين.. فالزمن القادم هو زمنهم.. زمن القتل..
إنسان المستقبل سيحب القتل.. لقد مر أولا بمرحلة أن يكون مضطرًا للقتل.. ثم بدأ يتخذه ذريعة لأشياء كثيرة مختلفة يريد تحقيقها.. يحب زوجة أحدهم فيقتله لينالها، أو يرغب في سرقة نقود أحدهم فيقتله ليحصل عليها، أو يقتل شخصًا لصالح آخر ويحصل على أجر المهمة.. وهكذا حتى يصل إلى مرحلة الاستمتاع بالقتل..
فيمارس القتل للقتل..
للشعور بمتعة القتل..
لذة القتل!
أكثر من أربعة ملايين مصري يحيون تحت الحد الأدنى للمستوى الإنساني، وربما الحيواني أيضًا.. فيموتون جوعًا، أو جراء مشاجرة غاشمة، أو يقتل أحدهم آخر ليحصل على جنيه لمحه في جيبه.. وهذا الرقم – مليون – يتجدد تلقائيًّا كلما نقص.. فلن يضير أحدًا أن أتوسم خيرًا في واحد من هؤلاء

وتدريبه على القتل.. قتل أولئك الذين ينعمون في أجهزة التكييف ويدخنون السيجار وينفقون الملايين بلا حساب، فقط لأن واحدًا آخر ممن ينعمون في التكييف ويدخنون السيجار وينفقون الملايين بلا حساب غير راضٍ عنه.. واحد منهم سيدفع لقتل الآخر، وأنا المستفيد الأول في هذا؛ فلو لم أنفذ هذه العملية لقام بها غيري.

لو أنك تملك ثمانين مليون جنيه وأنفقت منها جنيهًا واحدًا، فلن تعتبر أن رصيدك أصبح ٧٩٩٩٩٩٩٩، ستقول إن رصيدك ثمانون مليونًا، كأن لم ينقص منه ذلك الرقم الهزيل عديم الذكر.. كذلك عندما تقتل مصريًّا فيظل متبقيًّا لديك ثمانون مليونًا آخرون، لا ضير في أن فقدت واحدًا على الإطلاق.. مهما كانت قيمته أو أهميته، هو في النهاية مجرد رقم..

رقم يتجدد..

بل يتضاعف.

أظنها لحظة فاصلة بين اليقظة والنوم، تلك التي تخلق تداعي الأفكار بمنطقية تعجز عنها في حالتك الطبيعية.

* * *

للقتل متعته الخاصة؛ لأن به شيئًا يخالف الطبيعة.. عندما يؤذيك شخص فهو بلا شك أقوى منك.. عندما يقهرك شخص فهو أعظم منك.. لكن عندما تقتلك رصاصة، عندما يخمد جسدك الذي كبر وتغذى وأرهق وارتاح عبر سنين طويلة.. عندما تقتلع الرصاصة روحك الغالية التي هي محرك الجسد الرئيسي وسر الحياة.. تلك الرصاصة التي لا تساوي جنيهين في أرخص الأنواع، فهذا تمرد على الطبيعة.. على أسوأ ما في الطبيعة.

ورغم ذلك، فليس كل الموت سيئًا.. فذلك الشخص الذي يستيقظ كل صباح ليذهب إلى عمله ويبحث عن زوجة مناسبة ويسير على قدميه في الشارع

كوسيلة ترفيه قصوى.. من يهتم لأمره ويخشى عليه من الخطر؟
فقط عند جني الضرائب يبحثون عنه ويحذرونه من التهرب أو التلاعب..
وعند حدوث حرب يبحثون عنه لتجنيده إجباريًّا ويحذرونه من التهرب أو التلاعب.. أما عندما يمرض، عندما يصيبه واحد من الفيروسات القاتلة التي نشرتها شركات الأدوية النهمة.. أو عندما يفقد مصدر رزقه أو يصيبه عجز.. لا أحد يبحث عنه، بل يتم التعامل معه كأنه غاز «فريون».. مجرد وجود خفي وضيع القيمة.. أفلا يستحق الموت من باب الرحمة على الأقل؟!
الكثير من فلسفة القتل تجعل للقتل شيئًا له معنى رائع.. تجعل القتل أمرًا منطقيًّا بحق، مع الوقت يقبله المجتمع ويألفه، نفس المجتمع الذي يحتاج إلى ممارسة فعل «القتل» ولكن لا يقبله..
الاعتماد الحقيقي هنا يكون على الزمن.. الوقت اللازم لتغلغل مثل هذا الفعل في نسيج المجتمع..
في النظريات التسويقية، هناك طريقة فعالة لبيع المنتج، أيًّا كان هذا المنتج.. الطريقة هي إقناع المستهلك/ العميل بحاجته الماسة إلى هذا المنتج، حتى لو لم يكن بحاجة فعلية إليه..
والقتل هنا هو المنتج..
وأنا المسوِّق..
ولكن في هذه الحالة سأحتاج إلى أعمار أخرى فوق عمري لأقنع المجتمع بالمنتَّج.. لذا لا بد من كيان تسويقي أكبر مني يستطيع إنجاز هذه المهمة..
شيء ما يدق..
شخص ما يلاحقني..
مكان ما ضيق..
نهضت فزعًا من النوم.. لا بد أنني كنتي أحلم بأفكاري وأمنطقها..
عقلي بدأ نوعًا جديدًا من القدرات، هذا يعني - غالبًا - أن جسدي لم يعد كسابق كفاءته في اللياقة والقدرة على القتل بدقة ومهارة..

لقد انتقلت إمكانات جسدي إلى ذهني..
فأنا شخص مصاب بشبه عجز في قدمه الآن..
نهضت فزعًا مرة أخرى، إذ يبدو أنني أغفو وأحلم بأفكار وأستيقظ فأغفو من جديد..
جسدي بحاجة إلى الراحة، أما عقلي فلن يحصل على راحة بهذه القدرة الجديدة التي تجعله يفكر ويفسلف ويمنطق الأمور حتى وأنا نائم..
سحقًا!

obeikandl.com

كانت تمسك بكأس لها ساق طويلة، وبداخلها سائل أحمر مغرٍ.. قصيرة بيضاء، شعرها الأشقر ناعم ينتهي عند الرقبة، جميلة من دون أي لمسة من أدوات التجميل.. واثقة.

سألتني:

- ألست «زينهم»؟

- كلا.

أكملتْ بالثقة ذاتها:

- من إذًا؟

- أنا كل الأسماء.. وأنا اللااسم.. لا تنشغلي بهذه الأمور السطحية، فأنا هو أنا على أي حال.

- أنت إذًا قاتل محترف بلا اسم.

ذكرتْني بموقف قديم، حين صارحني الشخص بكل ما يعرفه عني بعد مماطلة، غير أن هذه المرة دخلتْ الفتاة في لب الموضوع مباشرة.. سألتها:

- كيف عرفتِ حقيقة أمري؟

- الحاسة التي تخلقها طبيعة المهنة في الفرد.. الحلاق يجذب انتباهه تصفيفات شعر الناس.. صانع الأحذية يلفت نظره ما ينتعله البشر في أقدامهم.. عندما تقابل بائع ملابس في الترام، فهو يخبرك بأن رابطة العنق لا تتلاءم مع لون القميص في هذه البدلة.. كل منهم يحدد طبيعة شخصيتك ومستواك الاجتماعي من خلال حرفته، وأنا عرفت أنك قاتل محترف.. بنفس الطريقة هذه.

- هراء ما تقولين.. أن تستخفي بعقلي لأكثر إهانة من أي شيء آخر.. أنتِ لديك معلومات مؤكدة، ثقتك بنفسك هذه تؤكد لي أنكِ تعرفين كل شيء تحتاجين معرفته، كما أنكِ لا تبدين قاتلة محترفة على الإطلاق.

obeikandl.com

أخذت تتأملني من أعلى إلى أسفل وأنا مستند على عكازي، ثم أخذت تدور حولي قبل أن تجلس وتدعوني للجلوس، ثم قالت:

- أريدك في أمر يتعلق بمهنتك.. ولكن علينا التعارف أولاً.

- موافق، كيف عرفتِ بي وبما أمتهن.. أعتقد هذه بداية جيدة لتعارف لائق.

- أنت على حق، ولكن لا أستطيع الإفصاح عن مصادري بهذه السرعة والسهولة، ما زلت بحاجة لمزيد من المعرفة.

تماطل فلم أعلق.. فاستطردتْ:

- هل أنت متزوج؟

- أنا لم أتزوج قط.

- ولماذا لم تتزوج قط؟

- طبيعة مهنتي تجعل حياتي في خطر.. يجب ألا أعرض آخرين مقربين مني إلى خطر، ولا أن أعطي الفرصة لأي شخص أن يقترب مني فيعرف حقيقة مهنتي.

- مبررات رائعة ومنطقية، غير أنني لا أصدقها.

ابتسمتُ ودرت ناحيتها قائلاً:

- لا أعرف كيف يمكن الاعتناء بأي شخص أو أي شيء.. لم أكتسب تلك المهارة قط، حتى إنها لم تمارس عليَّ بشكل طبيعي.

سألتني متجاهلة تعليقي بدورها:

- ألم تحب يومًا؟

- حب! هذه سقطات درامية تصلح للسينما، أما الواقع فالأمر فيه يختلف.. ربما يشبع أمثالي غريزتهم الذكورية بطريقة أو بأخرى.. لكن حب وارتباط ومثل هذه الأمور..! المرأة كائن يرفع من شأن الرجل (وراء كل رجل عظيم امرأة)، أو يسقطه (فتش عن المرأة)، وبما أنني لا أصلح للرفع من شأني (ليس له معنى أن أكون أفضل قاتل محترف في العالم مثلا)، فبالتأكيد أي امرأة في حياتي ستسقطني.. لذا فلم أرَ داعيًا لوجود امرأة في حياتي.

obeikandl.com

- أنت تعاني فراغًا هرائيًّا كبيرًا.
هززت كتفي قائلاً:
- الأمر لا يضيرني في شيء.. ليكن ما تقولين.
- من فضلك، لا تهن ذكائي.. أخبرني الحقيقة، أنت تخفي أنك كنت متزوجًا لسبب ما، أظنها قصتك.
نظرتُ إليها دون فهم.. فأوضحتْ:
- كل قاتل مأجور له قصة جعلت منه قاتلاً مأجورًا.. فما البداية؟ ما قصتك؟
- كل شخص في هذه الحياة وراءه قصة، سواء كانت جيدة أو سخيفة، جعلت منه الشخص الذي عليه.
ثم شردتُ لحظة، قلت بعدها بصوت عميق:
- عن بدايتي؟ في العاشرة من عمري بدأتُ بتدخين السجائر، ثم شد ذيول القطط، إلى أن أصبحت مولعًا بتعذيبها.. ثم قتلها، هكذا تبدأ الأمور مع القتلة والسفاحين، بالقطط.. ثم التعرف إلى الفتيات الجميلات، وقتلهن في الظلام بجوار صناديق القمامة.. حياة بائسة أليس كذلك؟ ثم تجاوزت العاشرة، وقررت أنني قد صرت ناضجًا بما يكفي، وعليَّ امتهان القتل، لا أخذه تسلية أو هواية فقط.
كانت تحدق في بعمق، ولما سكتُ استحثتني لسرد المزيد، فرسمتُ ابتسامة ساخرة على شفتي، أدركتْ معها أنني أتلاعب بها.. طفل في العاشرة يدخن السجائر ويقتل القطط والفتيات! أدركتْ أنها حمقاء، فابتسمت مداراة لذلك، وطلبتْ من جديد:
- حقًّا أخبرني عن بدايتك، ما الذي صنع منك قاتلاً محترفًا.. ماذا كان الدافع؟
- قصتي طويلة.. تحتاج إلى وقت.
- فلتحكها على أجزاء إذًا.. المسلسلات التركي علمتني الكثير.
ابتسمتْ، فابتسمتُ.. وشرعتُ أحكي.

يقولون إن «الفيزا كارد» تسهل عملية امتلاك النقود، وأنها تجنبك الخطر الشخصي للتعرض للسرقة، كما أنها تجنبك فقد هذه النقود.. أو في حال أنك نسيت النقود في المنزل، أو أنفقتها كلها وما زلت بحاجة لمزيد من الشراء..
يمكنك أن تشتري عن طريق تمرير هذه البطاقة في جهاز يخبر البائع أنك سددت الثمن بالفعل..
كذلك تمكنك من التعرف على رصيدك في البنك.. عندما يضيف لك عميل نقودًا، يسهل من أي ماكينة أن تعرف ما إن تمت الإضافة أم لا.. وبأي قدر؟
أيضا تمكنك هذه البطاقة من سحب مبلغ دون أن يكون لديك رصيد في حسابك، مقابل فائدة تسددها مع أصل المبلغ للبنك مرة أخرى..
تلك القطعة البلاستيكية تجعل الحياة أسهل.. ولقصة اختراعها حكاية.. حكاية أعطانيها مدير البنك في ورقة مطبوعة، اعتراني الفضول وأسهم الفراغ في أن أقرأها..
«كانت مشكلة (جون شبرد - بارون) أنه لا يستطيع الحصول على النقود بسبب عطلة السبت والأحد، إضافة إلى أنه كانت هناك إجازة لمناسبة معينة ذلك الوقت من السنة، وبسبب الحاجة الملحة للمال في أيام إجازة البنك تبلورت عند جون الفكرة التي كان عنوانها: بنك مفتوح ٢٤ ساعة ٧ أيام في الأسبوع.
ذهب جون ليلتقي بمدير البنك الذي يعمل به (باركليز) لعرض فكرته الجديدة، عندما سمع المدير الفكرة طلب من جون أن يحولها إلى آلة سهلة الاستعمال، وبالتالي فإنه سيشتري منه هذه الآلة الغريبة فورًا.
وانشغل جون مدة عام كامل يحاول اختراع هذه الماكينة حتى توصل في النهاية إلى نموذج أول ماكينة صراف آلي أعلن عنها عام ١٩٦٧.
ثم قام بنك (باركليز) بافتتاح البنك الآلي المفتوح على مدار الساعة. وتوقع الكثيرون فشل هذا الاختراع، إلا أنه الآن يعد من أكثر الاختراعات انتشارًا، حيث إن الإحصاءات تقول بأن في العالم أكثر من مليون ونصف المليون

ماكينة. وقد تم الاحتفال في شهر فبراير في ولاية فلوريدا عام ٢٠٠٧ بمرور ٤٠ عامًا على هذا الاختراع، حيث كان (جون شبرد – بارون) ضيف الشرف الذي جاوز سن الـ٨٠.*

وفي ٢٠٠٥ تم منح (جون شبرد - بارون) وسام (OBE)** البريطاني، كما أضيف إلى قائمة الشرف لأنه أضاف إلى العالم الكثير بسبب اختراعه المهم».

الـ«فيزا كارد» تسهل الحياة على الأثرياء، ولكنها لا تفيد الفقراء على الإطلاق..

هي فقط عنصر جديد يثير حفيظة الفقراء ضد الأغنياء..

ورغم ذلك لا يمكن القضاء على الفقر، فهو من سنن الحياة اللازمة.. ولكن يمكن إتاحة الحياة الكريمة لكل الناس..

يا لي من متحذلق!!

obeikandl.com

-٤-

«قطار كهربائي قادم من الجنوب إلى الشمال، والرياح تسري من الشرق إلى الغرب.. فما اتجاه دخان هذا القطار؟».

* * *

كانت آذان مصغية بينما أحكي:

- ألا تظنينني كنت شخصًا عاديًّا في الحياة.. يحب مطالعة الجرائد في الصباح مع كوب «نسكافيه».. يهوى الزرع والورود الزاهية.. يسعد بشقاوة الأطفال في بئر السلم.. يقضي سهرته أمام فيلم أجنبي مثير.. يستمتع بالسير في شوارع هذه المدينة الساحرة.. يجرب حظه كأعزب في صنع أكلات غريبة وعصائر «كوكتيل» عبارة عن مجموعة أي شيء مضروبة في الخلاط مضافًا إليها قليل من السكر.. شخص يدندن في الحمام ويرفع صوت التليفزيون في أثناء محاولته الفاشلة في طبخ أكلة.. يشعل البخور يوم الجمعة ويشغل الراديو على إذاعة القرآن.. يقضي ثلاث ساعات في «السوبر ماركت» يقرأ كل مكون على كل عبوة لا يعرف محتواها لتمضية وقت الوحدة!

التقطتُ أنفاسي وهي تتابعني بعينين فضوليتين حتى أكملتُ:

- فترة طويلة مرت وأنا أحلم بتلك اللحظة التي رأيتهما فيها على السرير، ثم أغلقت الباب.. وينتهي الحلم، فقط ليتكرر من جديد.. مرة، ومرة، ومرة.. يتكرر عدة مرات خلال النوم، كل مرة أنام فيها.. هل تدركين كيف تصبح حالة شخص يحلم بنفس المشهد الذي طعنه في الصميم؟ يتكرر الحلم، ليتكرر الطعن.. نفس الألم كأنه مادي.. واقعي.. وبنفس الدرجة من القوة..

ثم وجهتُ نظري ناحيتها وتابعت:

- عندما تشاهدين في السينما شخصًا مصابًا بمرض سيموت على أثره خلال ثلاثة أشهر فأنتِ تتأثرين حتى ينتهي الفيلم.. سواء بموت البطل أو شفائه..

ربما تسمعين من شخص سمع عن حالة مثل هذه على أرض الواقع.. أنتِ لم تري هذه الحالة بنفسك، ولا تتوقعين أن تكون هذه الحالة قريبة منكِ.. أن يصاب بها شخص تعرفينه.. وبالأحرى لا تتوقعين إطلاقًا أن تكونين أنتِ ذلك الشخص المصاب.. لأن وقتها سيتغير نمط حياتك.. وأسلوب تفكيرك.. وتعيدين ترتيب أولوياتك.. فضلاً عن الشعور بصدمة لا مثيل لها..

رن جرس «موبايلها»، فتوقفتُ عن الحكي ونظرت هي إلى الرقم وقالت:

- مؤثرة قصتك.

- لم تنتهِ بعد.

- لا يهم.

وأجابت محدثها وهي توليني ظهرها متكلمة بصوت خافت.

لأول مرة أتأمل جسدها الضئيل.. لاحظت أشياء لم ألحظها في الوهلة الأولى، لم أعد ألاحظ كما كنت.. على الأقل ليس بنفس الكفاءة..

أين رأيت هذا الوجه من قبل؟ هذا الشعر الأصفر القصير!

أنهت مكالمتها السرية والتفتت ناحيتي وهي تضغط زر «الموبايل»، ثم سألت بابتسامة لم أستطع تفسيرها:

- إلى أين وصلنا؟

تجاهلتُ سؤالها وقلت:

- لا يبدو عليكِ أنكِ قاتلة محترفة، أو حتى شريرة من أي نوع.. تكوين جسدك ونعومة يديك تدلان على قلة اللياقة، بل والرفاهية المطلقة.

نظرت إليَّ طويلاً في صمت وأنا أحدِّق فيها.. لم ينهِ الموقف - بعد وقت - غير اتصال جديد ورد إليها على «موبايلها»، فنظرت إلى الرقم وولتني ظهرها لتجيب محدثها بذات الخفوت من جديد..

دخلتُ الحمام، ثم عدت لأجلس على مقعد في الصالة وهي - كما يبدو - توشك على إنهاء المكالمة.. ولما فعلت وهي تدور ناحيتي، ابتسمت قائلة:

- الرجل يريد مقابلتك.

obeikandl.com

ابتسمتُ متذكرًا كل أفلام التشويق التي شاهدتها في حياتي.. وتداعى إلى أفكاري سؤال طريف..

«هل الأشخاص في الواقع يقلدون الأفلام؟ أم أن الممثلين هم من ينقلون الواقع؟»..

سألتها بسذاجة:

- أي رجل؟

- الرجل الكبير.. المدير.

لم أجب، فاستطردتْ:

- هناك منظمة، شريفة بالمناسبة، ليست عصابة ولا «مافيا» ولا مخابراتية، وهي ترى أنها بحاجة إلى قدراتك في تحقيق أهدافها.. لذا أرسلني زعيمها كي تذهب في مقابلته ويستفيد من إمكاناتك.

- بما أنني لم أفهم شيئًا، فسأكتفي بأخبارك بأن: من يريدني فليأتني.

- الرجل لا يمانع في الحضور إليك، غير أنه مشغول حقًّا.. والأمر لا يحتمل التأخير حتى يفرغ لمقابلتك.

حقًّا لم أفهم شيئًا مما قالته، حاولت التفكير في كلامها وحاولت إيجاد صيغ ملائمة لاستفسارات تسهل الإجابة عنها لأعرف ما تريده مني.. أو ما يريده ذلك الزعيم.. قلت:

- اشرحي لي ما قلتِ مرة أخرى، لم أفهم شيئًا عن موضوع المنظمة الشريفة والمدير وقدراتي هذه..

نظرتْ إلي متوجسة، قبل أن تحسم أمرها وتقول مفسرة:

- هناك منظمة.. تقوم بأعمال إنسانية لخدمة المجتمع.. تحتاج قدراتك في القتل والاغتيال.. لتحقيق أهدافها السامية في خدمة الوطن.. هل أوضحت لك كما ينبغي الآن؟

- ماذا عن الزعيم؟

- أليس لكل منظمة رئيس؟ أو كبير يقودها ويعتمد أعمالها؟ في منظمتنا

obeikandl.com

الشريفة نطلق على القائد أو الرئيس كلمة «مدير».. هل هناك مشكلة في هذا بالنسبة لك؟

كنت قد بدأت أستوعب قليلاً من الأمر، تأملت شعرها وأنا أجيب:

- لا توجد أدنى مشكلة.. الرجل مشغول لدرجة أنه لن يأتي لمقابلتي، ويحتاجني لأذهب إليه، أليس كذلك؟

- بلى، هو كذلك.

- أي أن أكون في مكان يعرفه جيدًا وله الكثير من الرجال والأعوان داخل وحول هذا المكان.. صح؟

نظرت إلي بغير فهم، فأكملت موضحًا:

- أي أنني سأكون عند شخص لا أعرفه وسط قوته ونفوذه، يستطيع خطفي وتعذيبي وقتلي كما يشاء، لمجرد أنني أحمق ذهبت إليه بملء إرادتي على قدمي.. صح؟

هنا فهمتْ ما أقصده، فابتسمت قائلة:

- لك كل الحق في الشك والريبة.. لكن صدقني الأمر ليس كذلك على الإطلاق، المنظمة بحاجة إليك حقًّا، ولن تؤذيك بأي شكل من الأشكال.

- أصدقك!! هذا باعتبار أننا أصدقاء منذ الأزل، أو أنكِ أمي التي رعتني وتهتم لأمري!! منطق غريب هذا الذي تتحدثين به.

اهتز المكان لبضع ثوانٍ، نظرتْ هي إلي بتعجب بينما ارتعبت أنا للحظة.. ثم أدركتُ أنه زلزال خفيف، وأثار هذا المزيد من قلقي تجاه الفتاة.. وتجاه الأمر ككل. قلت:

- زلزال خفيف.. وهو علامة سيئة بالمناسبة.

- هل تعتقد في مثل هذه الأمور؟

- كلا، ولكن المصادفة لا تكون بهذه الدقة في غير الروايات.

تأملتني وهلة ثم سألتني وهي تحمل حقيبتها وتضع بداخلها «الموبايل»:

- بمناسبة الروايات، هل تقرأ روايات؟

obeikandl.com

- أحيانًا.. وبخاصة الروايات البوليسية، وكذا أشاهد الأفلام البوليسية.
- عظيم.. أنت على درجة ما من الثقافة..
اتجهت نحو الباب مستطردة:
- وهكذا يسهل علينا التعامل معك.
ثم فتحتْ الباب وخرجت دون إضافة المزيد..
وردت إلي رسالة على جهاز «الموبايل» من رقم غريب، قرأتُ نصها:
«قطار كهربائي قادم من الجنوب إلى الشمال، والرياح تسري من الشرق إلى الغرب.. فما اتجاه دخان هذا القطار؟»..
لتضيف المزيد من الحيرة بداخلي!

* * *

obeikandl.com

-٥-

كنت في مواجهة شخص أنيق حليق قصير الشعر، يبدو أنه في منتصف الأربعينات من عمره، وله وجه مألوف.. كأنما رأيت هذا الوجه من قبل!

أما المكان فمكتب فخم داخل شركة في منطقة «لـوران» بها الكثير من الموظفين.. يمكنني من هذا الارتفاع رؤية البحر عبر النافذة خلف الرجل..

بينما الفتاة التي اصطحبتني ظلت واقفة خلفي عند الباب.

استقبلني الرجل بابتسامة وحفاوة بالغة كأنما أنا رئيس دولة ما مهمة، وقال مُرحبًا:

- مرحبًا بك في مقري المتواضع، واحد من أفراد منظمتنا الشريفة.

ابتسمت بسخرية رادًّا عليه:

- هل تعني أنني أصبحت عضوًا من دون تسديد أي اشتراكات؟

لم يتخلَ عن ابتسامته وهو يقول متجاهلاً تعليقي:

- حقًّا لم نستطع معرفة اسمك الحقيقي.. لك الكثير من الهويات والكثير من شهادات الميلاد وجوازات السفر.. أنت رجل يستحيل إيجاده عبر «جوجل»*.

ضحكت الفتاة قصيرة الشعر، بينما كنت أرد على الرجل قائلاً:

- أنت تعلم التلميذ المشاغب يتردد اسمه كثيرًا للنهر والعقاب.. والتلميذ المتفوق يتردد اسمه كثيرًا للتباهي والتفاخر.. أما أمثالي من غير المتميزين فلا يذكرهم أحد، ولا يلتفت إليهم شخص، وبخاصة عندما أكون منطويًا مقتضب الحديث، الكلام قاصر على الردود لا المبادرة.. على رد الفعل، لا الفعل..

قال:

- لكنك متميز في مجالك.. لست مشاغبًا، وإن كنت منطويًا بالفعل.

- يبدو أنك تعلم عني الكثير حقًّا.

- كل ما نحتاج معرفته لا أكثر.

- طلباتك؟

obeikandl.com

ابتسم، ربما لطريقتي في الحوار، ثم قال:
- أنت شخص اعتاد أن يكون انطوائيًا.. اعتاد الوحدة.
- الوحدة أمر طيب.. أتسلى بالتليفزيون والكتب، وأحيانًا أخرج إلى الشرفة.. لكن بحذر.
- أليست هذه حياة سخيفة التي تحياها؟!
- ربما لا يمكن لشخص مثلك أن يحيا بطريقة كهذه، فهو يراها سخيفة، ولكنني متأقلم مع حياة كهذه.
عقد ذراعيه وقال دون أن يتخلى عن ابتسامته:
- متى تتوقف عن القتل؟
كان جريئًا مباشرًا، فاستحق أن أكون واضحًا معه:
- عندما لا أصبح قادرًا عليه.
صمت متطلعًا للمزيد، فاستطردتُ ملوّحًا بالعكاز:
- عندما أشيخ.. أو أعجز تمامًا.. أو أصاب بشلل رعاش.. أو يتحتم علي دخول الحمام عشر مرات في الساعة.
- ألن تدرب آخرين حينها؟
- لن أكون في حاجة لذلك.. أنا أعمل الآن من أجل تلك اللحظة التي لن أتمكن من العمل فيها.. وأدخر كل ما أستطيع كي لا أضطر إلى مد اليد، أو أنتظر عطف الآخرين وشفقتهم.
ألقيت نظرة على الفتاة الواقفة وأنا أفكر كيف علم بنيّتي لتدريب أطفال الشوارع على القتل، لا يعقل أن يكون الأمر صدفة، المصادفات ليست بهذه الدقة.. وبدأت أتجه إلى أريكة بدت مريحة لأجلس عليها.. أما الرجل فما زال عاقدًا ذراعيه.. سألته:
- أخبرني الآن عن نفسك.. من تكون؟
نظر بدوره إلى الفتاة وفك ذراعيه متجهًا نحو كرسي وثير مقابل للأريكة.. وقال:

obeikandl.com

- أنا فرد ضمن منظومة دولية تفعل نفس الشيء في كل الدول المؤثرة على سير الحياة في العالم العربي.

استطردت:

- لماذا تدير هذه الأمور من الإسكندرية لا من القاهرة؟

- اليود يسبب الانتعاش، ويفتح الذهن.. كما أن العيون في مدينة واسعة كهذه - تحقق لك الكثير من الأغراض - أقل منها في العاصمة.

كان واضحًا عليه طوال الوقت أنه يحاول دراسة ردود أفعالي، وتأثير كلماته عليّ.. غير أنني لا أبدي قدرًا كبيرًا مما يتوقع، لذا فألمح عليه - من حين لآخر - نظرة إحباط..

تابع قائلاً:

- الإسكندرية ليست بأهمية القاهرة مكشوفة طوال الوقت، وليست في صغر مدن الدلتا، تلك التي لا يتوارى فيها الخبر أكثر من ثلاث دقائق، وليست منفية مثل مناطق الجنوب.. هي المدينة المناسبة تمامًا لما نريد.

- ما مصادر تمويلكم تحديدًا؟!

- مصادر تمويلنا متعددة ومن مختلف البلدان.. غير أن نشاطنا لا يعد إرهابيًا، لذا فنحن غير لافتين للأنظار.

كان الرجل يجيب بصراحة ووضوح يجعلاني أشك في كل ما يقوله.. هل هناك من يفصح عن كل هذه التفاصيل بتلك البساطة؟! سألته:

- وما طبيعة ذلك النشاط بالضبط؟!

- لنا الكثير من الأشخاص في كل المجالات.. السياسة، الأدب، الفنون، البورصة، رجال الأعمال، الشرطة، المسجلين خطر، الشحاذين، رجال الدين.. كل مجال لنا فيه أشخاص لهم تأثيرهم وأهميتهم.. يؤثرون بعلاقاتهم على الآخرين لتحقيق ما نريد.

- وما ذلك الذي تريدون؟!

نهض من مكانه وأجاب ببساطته المستفزة:

obeikandi.com

- الاستقرار في العالم.. والنهوض بالدول العربية، على رأسها «مصر».
- مصر؟ ولم «مصر» تحديدًا؟!
- موقعها الجغرافي والسياسي يجعلانها قائد سفينة.. وبقية الدول العربية طاقمها الذي يحذو حذوها ويضعها نموذجًا ومثلا أعلى.
سألت بدهشة حقيقية:
- مصر؟!
- هل ترى أنها لا تستحق مكانة كهذه؟
قلت بحَيرة:
- ربما كان حكيك صحيحًا لو كنا في زمن «عبد الناصر»، لكن الوضع الحالي لهذه الدولة أسوأ ما يكون.. على الأقل وفق ما ألمسه من تطورات سلبية في شتى المجالات.
ابتسم وقال:
- لهذا نحاول النهوض بها كما أخبرتك.
- منذ متى تعملون على ذلك؟
- عشر سنوات تقريبًا، منذ مطلع الألفية الجديدة.
ابتسمت قائلاً بسخرية:
- أثبتم فشلكم إذًا، هذا البلد في انهيار متواصل منذ ذلك الحين لو أنك لم تلاحظ.
رد ببساطته:
- نحن نعتمد على خطط طويلة المدى، ويبدو أن خطتنا السابقة باءت بالفشل رغم الكثير من المحاولات.
- فقررتم استخدام القتل خطة بديلة وحلاً أسهل.. أليس كذلك؟
لم يرد هذه المرة وأنا لم أحرك ساكنًا مستمرًّا في التطلع إليه، إلى عينيه تحديدًا.. رغبت في أن يشعر بالندية بيني وبينه، وأنني لست مجرد أداة في يده.. أو قد تصبح في يده.

obeikandl.com

سألني بهدوء:
- هل تعلم ما موقعي في هذه المنظمة بالضبط؟
أجبت ببساطة:
- أنت الشخص..
لم يبدِ أي رد فعل، فأكملت:
- الشخص الذي يظهر في الأفلام والروايات.. أنت الواجهة، بينما هناك الرجل الخفي، أو مستر «إكس» الذي يدير كل شيء من مكان مظلم، هو «رئيس العصابة» وأنت «المرمطون».. معذرة.
قهقه كثيرًا كأنما قلت دعابة مبتكرة، وسعل قليلاً ثم قال بسعادة:
- أضحكتني بحق.. منذ فترة طويلة لم يتعامل معي أي شخص بهذه العفوية والصراحة.
لم أعلق، فاستطرد موضحًا:
- عامة من حقك معرفة بعض الأمور لأنك ستعمل معنا على نور.. الشفافية هي مبدأ المنظمة ككل، هي الأسلوب الناجح لإدارة أي منظمة على الإطلاق.
صمت قليلا، فانتظرته يكمل حتى استطرد:
- نحن لسنا عصابة.. وأنا نفسي الرجل الخفي أو مستر «إكس» الذي يقود كل شيء من مكان مظلم.. ولست «المرمطون».
ثم ضحك ضحكة قصيرة قبل أن يضيف:
- مهارتك في القتل.. نرغب في استخدامها بشكل إيجابي لنفع المجتمع لا الإضرار به، وستحصل على مقابل مادي بالطبع.. لن نهدر حقك.
- لا أوافق.
اندهش.. هذه المرة رأيت تعبيرًا جديدًا على وجهه، ربما لتلقائيتي في الرد غير المتوقع.
لماذا أتيتُ إذًا ما دمت سأرفض! لأنهم لم يخبروني صراحة سبب رغبة هذا الرجل في مقابلتي، وإن كنت بالذكاء الكافي للتوقع.

obeikandl.com

استرد قدرته على إبداء تعبيرات وجهه الجامدة وقال:
- أنت تعرف أن السيجار يحتاج لوقت أطول وغاز أكثر لعملية الإشعال من السيجارة العادية.
بقيت على متابعتي لحديثه وهو يكمل:
- كذلك أنت.. تحتاج إلى فترة إقناع أطول ونقود للإغراء أكثر من القاتل العادي.
- هل تظن أن القتلة المأجورين لا مبادئ لهم؟
لم يجب.. للدقة، لم يعرف بماذا يجيب.. هكذا بدا لي، فتابعت:
- ليس جميعهم على أي حال.. الأمر كما هو لدى أي فئة من المجتمع، هناك من لهم مبادئ وهناك من لهم حد أدنى من المبادئ.. وهناك من لا مبادئ لهم على الإطلاق..
صمتُّ لحظة ثم استطردت مبتسمًا وهو يتأملني:
- أنا من النوع الأخير بالمناسبة.
عاود الجلوس من جديد بينما الفتاة لا تزال على ثباتها عند الباب.. قال:
- اسمعني.. لا بد من الوصول إلى الصفر لكي نبدأ النهوض من جديد.. سنقوم بعدد من الاغتيالات لعناصر فاسدة تؤثر سلبًا في المجتمع المحلي والدولي، لنصل إلى مرحلة الصفر.. ما رأيك؟
- رأيي لا يهم في شيء، ما يهم هو مدى التجهيزات التي ستوفرها لي.. والنقود التي سأحصل عليها.
تطلع فيَّ صامتًا مبتسمًا كأنما حقق نصرًا قبل أن يقول:
- كل ما تريد سيكون متاحًا.
سألته:
- من يمولك؟
اتسعت حدقتاه ثم ابتسم قائلاً:
- أناس يهمهم مصلحة هذا البلد.

obeikandl.com

- من الداخل أم الخارج؟
سألني:
- ماذا تسمي مصريًّا مغتربًا؟ هل هو من الداخل أم الخارج؟
- لتكن أي جهة إذًا، المهم ما سأحصل عليه.
- هذا تفكير صائب.
صمت لحظة ثم نهض مستطردًا:
- هل تعلم أن الله لا يخلق شيئًا عبثًا.. لكل كائن أهميته في الحياة، فقط ربما لا ندرك بعقولنا القاصرة تلك الأهمية.
- أنا إذًا شيء له أهميته في الحياة، وأنت أدركت تلك الأهمية، وتحاول الاستفادة منها.
ابتسم من جديد، دون رد..
أنا أدرك أن التصفية الجسدية عملية فائقة السهولة..
أقل تكلفة وأسرع تأثيرًا..
ولكنها أكثر مخاطرة..
قلت له مؤكدًا:
- لا شيء بلا مقابل.. كما اتفقنا.
فأومأ برأسه موافقًا.

obeikandl.com

-٦-

ضغطتُ الزناد، وانطلقت الرصاصة لتصيب هدفها..

لم أرَ الهدف القابع أسفل سقف السيارة بزاوية السائق، ولكن المعطيات الموجودة لديَّ تفيد بأن الهدف موجود في هذا المكان، في هذا التوقيت، حتمًا..

تركت البندقية وأنا أخفض قامتي لأسير باتجاه مخرج السطح ناحية المصعد الذي كان في انتظاري، والذي استخدمته للهبوط طابقين ودخول شقتي دون غلق الباب بالكامل.. هذه الشقة التي وجهني إليها أعضاء المنظمة دون أن أدري، بعد شقتي السابقة في الطابق الأول، نظرًا لحالة قدمي الحالية.. تركتها لمشاكل في رفع الإيجار بشكل مبالغ فيه، وعلى الرغم من موافقتي في النهاية على المبلغ الجديد.. فإن المالك افتعل مشاجرة جعلتني أقرر ترك المنزل والبحث عن آخر، حين وجدت بطاقة السمسار أسفل طاولة التليفون..

كل ذلك كان بتحريك من المنظمة، هذا ما أيقنته لاحقًا.

كنت مرتديًا ملابسي المنزلية، فهذه لن تجذب أي انتباه ناحيتي إذا ما شوهدت خارج الشقة في أثناء الصعود أو النزول؛ لأنني ما زلت بداخل المبنى ذاته الذي أقطن به.

تجمهر الناس في الشارع، وارتفع الصخب والضجيج.. خرجت من الشرفة متكئًا على عكازي لأستطلع الأمر كأي مواطن مصري فضولي، فشاهدت التجمع، وحاولت سؤال شخص ما في شرفة قريبة عن «ماذا حدث» ليجيب بأي كلمات غير مفيدة تنمُّ عن استنتاجاته الشخصية لا عن الوقائع الفعلية والأحداث الحقيقية..

انسحبت إلى الداخل وبدأت في تجهيز وجبة خفيفة.. في هذه اللحظة دخل الزميلين وأغلقا وراءهما باب الشقة، وبدأنا نعدّ المائدة للأكل.

* * *

«لا يمكنك الاعتماد عليَّ في هذا الأمر.. أنا بالكاد أستطيع القراءة، ولا أستطيع

الكتابة.. أنام في أي ركن مظلم لا تراني فيه دورية شرطة.. آكل من القمامة وأتساخف على الناس كي يعطوني قرشًا.. أنا طفل شوارع».

هكذا قال بثقة، هو طفل شوارع فلا تنتظر منه أن يكون ذا صفة أخرى أبدًا.. قلت له مشجعًا:

- أنت مثقف، حتى إنك تعرف ما يطلقه عليك الناس.

- نحن نشاهد المسلسلات، ونعرف ما تطلقون علينا.. ولكننا لا نهتم، نحن أطفال شوارع بالفعل.. الشارع هو بيتي.

- سيكون لك بيت حقيقي يختلف عن الشارع.. بيت له جدران وسقف، ستتغير حياتك وستصبح شخصًا أفضل.. فقط إذا أردت ذلك.

- ولِمَ ترني أستحق اهتمامك هذا؟ لماذا أنا بالتحديد؟!

تنهدت ثم أجبته:

- هذا من الأسئلة المصيرية التي لا يعلم إجابتها أي شخص.. اختارك القدر، لا أنا.. القدر يراك مناسبًا لما أدخره لك حقًّا.

أبطلت له كل أحاجيه على ما يبدو.. فأخذ يفكر وهو ينظر إلى عينيّ، بفضول ربما.. قلت من جديد:

- الصبر في هذه المهنة ليس شرطًا أن يكون من سمات القاتل، بل هو من متطلبات مهنته.. مهنة القتل!

- أليس القتل أمرًا سيئًا؟

- ليس عندما تأخذ عليه أجرًا يجعلك تعيش في مكان ليس الشارع، وتأكل طعامًا ليس من القمامة، وتصادق أشخاصًا ليسوا من الشحاذين.. ما رأيك؟

بدا لي أنه أصبح مستعدًّا للانقياد.. كنا في مطعم شعبي يأكل فيه فولاً و«طعمية»، المرحلة التالية كانت النظافة.. والكباب.

انتقلت به إلى منزل مستأجر آخر غير الذي أقطن فيه، ووجهت الصبي إلى الحمام، فتحت الصنبور لتنهمر المياه، وجهزت له ملابس تناسب مقاس جسده تقريبًا.. وقلت له:

obeikandl.com

- ستكون كهذي الماء.. ضروريًّا لاستمرار الحياة.. ولا تتسم بالفشل.

* * *

كان يتناول الكباب بينما أجهز له عددًا من الأسلحة البسيطة، إذ يجب أن يمسك بها ويعتاد عليها ليتمكن من التعامل معها كما ينبغي..

سكين.. مطواه.. مسدسي الفضي المفضل (Smith & Wesson)..

في الشارع كان ولدٌ لمحت فيه بذرة نباهة تميزه عن نظرائه.. انتقيته من بين أقرانه لطريقته المميزة في التعامل مع الناس ومع زملائه في المهنة.. ليس شحاذًا تقليديًّا يمد يده بعبوة المناديل أو يتسامج بفوطة متسخة على زجاج السيارات.. ولا يمد إصبعه في حلقه ليخبرك بأنه جائع.. بل كانت له طريقة مميزة تجعل الزبون إذا لم يخرج نقودًا يعطيها له، فلا ينهره أو يعنفه.. بل يبتعد دون تأفف.

قلت له وقد أشرف على الانتهاء من تناول الطعام:

- لكي تصل إلى حل أي مشكلة، عليك التفكير فيها جيدًا بعمق.. ضع عناصرها وأسبابها وحلل ذلك كله، ثم ناقش الأمر بصوت مسموع مع شخص تثق به، أو حتى مع نفسك ولو أمام المرآة.. الصوت العالي يأتي في النهاية بالحل.

كنت أعلم أن الموضوع أكبر من عمر الصبي، أنا أقول كلامًا يفوق استيعاب عمر ١٣ عامًا.. ولكنك لن تحصل على عقل ناضج دون أن تغذيه بكلام ناضج يفكر فيه ويحاول تفهمه..

قال برمق أخير في أمل العودة إلى الشارع:

- سأفتقد المهنة.. وسأفتقد أصدقائي هناك.

ربتُّ على كتفه، وقلت مشجعًا:

- ستكون لك مهنة أفضل.. بنقود أفضل.. وأصدقاء أفضل..

صمتُّ لحظة كي أرى تأثير كلماتي عليه، ثم استطردت لأطرق على الحديد وهو ساخن:

- أنت تمثل البدائية.. الغريزة بنقائها الفطري.. إنها بداخلك حتى لو أنكرت

obeikandi.com

ذلك أو ادّعيت غيره أو تظاهرت بعكسه..
عليك أن تبحث بداخلك جيدًا، ستجد أشياء كثيرة.. استخدم ما تراه مفيدًا ونَمِّه، وتخلص مما لا ينفعك أو جنِّبه.. تحكّم فيما يعتمل بنفسك، ولا تترك ما يعتمل بنفسك يتحكم فيك.. ستأكلك مشاعرك تجاه زملائك لو لم تسيطر عليها، أنت مقدِم على مرحلة جديدة في حياتك لا قِبل لهم بها.. ستكون أفضل وأغنى وأذكى منهم، لو بقيت معهم فستظل مجرد طفل شوارع يتسول من الناس.. شخص غير متميز كالملايين الذين تراهم في الشوارع.. أنا سأجعل منك شخصًا متميزًا يختلف عن الآخرين.. شخصًا أفضل.
المزيد من الكلام الذي يفوق عمر الولد، غير أنني لا بد أن أتعامل معه بهذه الطريقة ليشعر بالتميز، ويشعر بأن أقرانه ليسوا أهلاً لصداقته، ولأنه يتحتم علي منحه أكبر جرعة في أقل وقت ممكن..
قلت لمزيد من الطرق على الحديد الساخن:
- انظر إلى هذه الأسلحة البسيطة، هذه ستجعل منك شخصًا أفضل.. هل يستطيع أحد من رفاقك استخدام المسدس؟
لم أنتظر رده وأنا أعرض المسدس له وكيفية الإمساك به، فقلت مستطردًا:
- في أثناء القيام بمهمة، لا تتخلَ عن سلاحك أبدًا.. تحت أي ظرف، ولأي سبب.. هذا درسك الأول في المهنة، لا بد أن تفهمه وتتذكره جيدًا.
بدت في عينيه لمعة شهوة، هذا يعني أن اختياري هذا الصبي كان موفقًا.. بدأ يتلمس المطواة ويتحسس نصلها بينما عيناه على المسدس.. ستصل شهوته ذروتها بعد المزيد من التعامل مع الأسلحة، وستكون هذه الذروة بذرة لشهوة القتل نفسها.. التي لا تفوقها متعة!

قلت له مؤكدًا:

- لا شيء بلا مقابل.. كما اتفقنا.

فأومأ برأسه موافقًا.

نهضت لأنصرف، غير أنه استوقفني قائلاً:

- لم تخبرني بحل اللغز بعد.

استدرت إليه متسائلاً بنظراتي، فقال موضحًا:

- ذلك القطار الكهربائي المتجه من الجنوب إلى الشمال!

تذكرت الرسالة التي وصلتني من رقم مجهول.. لا بد أنه صاحب الرقم إذًا، أو ربما هي تلك الفتاة الواقفة عند الباب كتمثال منذ جئت هنا.

تساءلت:

- ولكنك لست «بوجي».

ضحك كثيرًا قبل أن يقول:

- أنت قتلته مرتين، فكيف يرسل لك المزيد من الألغاز بعد ذلك؟!

إذًا هو يعرف عمن أتحدث، لكني قتلته مرة واحدة فقط!! رغم ذلك تجاوزت الأمر وتساءلت من جديد:

- ماذا عن ذلك القطار؟!

فتح ذراعيه باسطًا كفيه كأنما لا يجد ما يقوله لأن الأمر مفهوم لا يحتاج كلمات.. في الحقيقة كنت أتخابث دون داعٍ، لكني أجبته على كل حال:

- القطار الكهربائي لا دخان له.

ابتسم بسعادة بدت لي أكثر من تلك التي شعر بها عند موافقتي على التعاون معهم.. ثم قال:

- نتكلم عن المهمة الأولى إذًا.

- ليكن.

جلب ملفًا كان موضوعًا على سطح مكتبه بجوار جهاز «لاب توب» ماركة

obeikandl.com

«توشيبا»، وناولنيه قائلاً:
- علمت أنك تهوى قراءة الروايات.
فتحت الملف ونظرتُ إلى الفتاة قائلاً:
- الأخبار تنتشر بسرعة في هذا البلد كما نعلم.
ثم اطلعتُ على الملف فوجدت صورة أحد الأدباء المشاهير بجوار بياناته الشخصية.. الطريف أن قائمة بمؤلفاته كانت في الملف أيضًا.. فسألت:
- هل هذا هو الهدف؟
- نعم هو.
- هل تريدني أن أقتل منافسًا لك؟
تذكرت الآن وجه الرجل الأنيق الحليق هذا أين شاهدته من قبل.. وهو أجاب:
- الأمر ليس له علاقة بالتنافس.. مسألة الأدب بالنسبة له مجرد واجهة يخفي وراءها علاقاته المتنوعة وتحركاته المريبة خلف ساتر طبيعي ليؤدي عمله الشرير بحرية.
ابتسمت قائلاً بسخرية:
- ألا تتخذ الأدب ساترًا لك أنت الآخر؟
ابتسم هو الآخر ثم رد قائلاً:
- بلى، ولكنني أديب بالفعل.. أي أنني أجيد الكتابة، لا أدّعي الموهبة مثله.. وكذلك أنا أقوم بأعمال خير تنفع الناس، بعكسه.
- وما الحاجة إلى قائمة مؤلفاته؟
ابتسم وأجاب:
- ربما تحتاج إلى معرفة أسلوب تفكيره فتقرأ له.
- لا أقرأ مؤلفات كل من أقوم بقتلهم، ولا يهمني معرفة كيف يفكرون.. فقط يهمني معرفة روتين حياتهم اليومي لا أكثر.
قال ببساطة:

obeikandl.com

- لقد جمعنا كل ما نعرفه عن الرجل في ملف واحد ووضعناه بين يديك.. والباقي لك.

استمررت في مطالعة محتويات الملف حتى وجدت ورقتين تحويان روتين حياته اليومية بالفعل.. قلت:

- ليكن.. سأنفذ المهمة.

- ألا تريد معرفة سبب قتل رجل مشهور كهذا؟

- لا يهم.. سأعدّ خطة وأخبركم بتكاليفها وأجري فيها، اتفقنا؟

أومأ برأسه، فأدرت ظهري وألقيت نظرة على الفتاة التمثال التي كانت تبتسم بدورها وانصرفتُ من المكان، فتبعتني الفتاة.

لم أدر إن كان لديها أوامر بمراقبتي أم أنها ستوصلني لخارج المبنى كله أو توصلني إلى منزلي المستأجر أو أي شيء آخر.. فقط ظلت تسير ورائي أسمع خطواتها حتى المصعد، دخلت معي وضغطت الزر وتطلعت إلى عيني.. ثم قالت ببساطة:

- لم تخبرني بقية قصتك.

- أي قصة؟

- السبب الذي جعل منك قاتلاً محترفًا.

ابتسمت معجبًا.. ربما بإصرارها على معرفة الحكاية، أو ربما لأنها تحاول أن تشتت تفكيري عن اللقاء مع رئيسها.. وربما أي شيء آخر. قلت:

- ربما لو جلسنا في مكان هادئ نتناول غداء ونحتسي مشروبًا.. ما رأيك؟

- هل هذه دعوة منك؟

- الحساب عليكِ.

واتسعت ابتسامتها موافقة.

* * *

obeikandl.com

«الخيانة أمر تاريخي، حكام خانوا شعوبهم.. والكثير من عظماء الشأن خانوا أقرب الناس إليهم..

من قتل كليبر؟ ماذا كانت آخر كلمات يوليوس قيصر؟».

انتقينا طاولة بعيدة نسبيًّا عن باقي الطاولات، وجلسنا، فأكملتُ:

«من العادي أن تخون زوجة زوجها، من العادي أن يحدث ذلك في بداية حياتهم الزوجية - التي لا شك انتهت ولم يبقَ عليها سوى إتمام الإجراءات - ولكن ليس من العادي أن يحدث هذا لي، هذه أمور تحدث في الأفلام، تحدث على صفحات الجرائد، وتحدث للآخرين فقط.. لم أتقبل أن شيئًا كهذا يحدث لي فعلا»..

أوقفتُ حديثي عند اقتراب أحد «الجرسونات» مبتسمًا واضعًا قائمة طعام أمام كل منا.. فابتسمت له مشجعًا، وابتعد لأكمل حديثي لها..

«لم يكن زواجًا عن حب، كان زواجًا بطريقة أقرب لطرق ١٩٣٠م.. ولم أرَ ضيرًا في ذلك ما دام توافر القبول والرضا..

لماذا ترضى بي واحدة قررت أن تخون؟!

شخصيتي كانت تصلح لذلك، شخصية تصلح لأكون الواجهة التي تخفي الزوجة وراءها نشاطها المنحرف..

شخصية أحمق..

مجرد أحمق..

أحمق له مركزه ووضعه المادي والاجتماعي.. أحمق مسالم، هادئ لا يسيء لأحد ولا يكيد المكائد..

أحمق يحترمه الآخرون ويثقون بآرائه باعتباره يملك بعض ثقافة يفتقرون إليها في الوسط المحيط به..

استمر عقلي في التفكير بكل شيء.. كل ما يتعلق بالمشهد الذي رأيته لثوانٍ قليلة.. مشهد الخيانة..

الكثير من الأسئلة كنت بحاجة لإجابات، ولكن كنت أشعر بالاشمئزاز من

obeikandi.com

اضطراري لرؤية المجيبة..
فلأمُت بذهن لا يتوقف إذًا».
عاد الساقي من جديد مستعدًّا لمعرفة طلباتنا.. فطلبتُ «سكالوب بانيه» وهي طلبت شيئًا من تلك الأشياء عسيرة الفهم، أنا اعتدت أن أطلب «سكالوب بانيه» لأنه طلب فاخر سهل أفهمه، يظهرني بمظهر العارف بكل الأمور..
«ذلك الوجع وذهن لا يتوقف، كادا يقتلاني في كل لحظة عدة مرات.. ظللت أبحث عن وسيلة للتخلص من كل ذلك، وسيلة شرعية.. قررت أن أتحول لشخص آخر بسبب ما حدث.
(تفريغ المشاعر)..
قررت كتابة المذكرات! تلك الوسيلة العبقرية التي تجمع بين تفريغ المشاعر وتأريخ الأحداث.. حتى لو كانت أحداثًا لحياة غير مهمة، فالحياة نفسها مهمة.. وحياتي كانت تستحق، على الأقل بالنسبة لي.
بعد وقت، اكتشفت أن فكرة كتابة المذكرات غير مجدية.. لم تشبعني ولم تنسني ألم الطعنة التي تلقيتها، فبدأت التفكير في بديل.. أخذت وقتًا طويلاً حتى وصلت إلى فكرة الانتقام..
ثم أخذت أفكر في وسيلة الانتقام نفسها، هل أخونها كما خانتني؟
هي لم تعد زوجتي، فالأمر لم يعد يعنيها..
القتل إذًا.. أفضل وسيلة ملائمة..
قمت بعمل تحرياتي الخاصة بشأن الرجل الذي لم ألمحه لحظتين.. وكانت قد توقفت عن لقائه، ولكن الأمر لم يكن مهمًّا لي، فقد اتخذت قراري، وأعددت خطتي..
قتلته ثم قتلتها..
وبدأت الفكرة تستهويني لأستمر فيها»..
حضر نادل آخر يحمل صينية الطعام، وبدأ ينقل محتوياتها إلى الطاولة.. ولما

انتهى ابتسمت له هو الآخر مشجعًا، بينما هي كان وجهها متصلبًا لا يبدي أي رد فعل.. فقلت موضحًا:

- فكرة القتل في حد ذاتها.

وأمسكتُ الشوكة بيدي اليسرى، والسكين بالأخرى.

obeikandl.com

-٨-

لم أعرف أين أخفى الرجلان السلاح، فلكل شخص هنا دوره.. ولكن أغلب الظن في إحدى شقق المبنى، إذ لا يتسع الوقت لمكان أبعد..

«أحسنت الأداء.. لقد مات الهدف».

كذا قال الرجل الكبير معجبًا بأدائي.. على الرغم من أن اغتيال شخصية أدبية لم يكن بذلك الصعوبة أصلاً، روائي كتب عن أحداث حقيقية بأسماء شبه حقيقية.. لا أعرف حقًّا من أين يأتي الأدباء بمعلومات حقيقية خطرة لم تنشر في الجرائد!! لا بد أن هناك شبكة معلومات سرية تشبه التي نعرف بها - نحن القتلة - أخبارًا خفية لم يصرح لها بالنشر.

قلت:

- لقد كان شخصية مرموقة.

- إنهم يقولون «أي كلام».. يتفوهون بالهراء فيتلقون التهاني، ويحصدون النجاح.

- هذه غيرة أدبية.

ابتسم قائلاً:

- أنا مجرد أديب.

- بل أنت أحد الأدباء الذي يحصدون جوائز مهمة ويبيعون رواياتهم بمعدل مرتفع.. والاسم مألوف جدًّا.

وجهه المألوف كان على ظهر واحد من أغلفة مؤلفاته.. قال:

- الحياة السيئة خلقت مني أديبًا عظيمًا.. لو كانت الحياة رائعة، وأنا لا شيء.. أما كان ذلك أفضل؟!

- ماذا تعني؟

- كنت سأصبح شخصًا عاديًّا لا يرهق عقله بالتفكير ولا ضميره بالبحث عن الحقيقة، ولا يضيع وقته في سبيل راحة البشرية واستقرارها.

كنت أعلم أن هؤلاء المبدعين مجانين حقًّا.. ولديهم قدر لا بأس به من

obeikandl.com

النرجسية، يظنون أن بإمكانهم تحقيق كل الخير الذي يجب أن يكون عليه العالم.. أو أن عليهم - على الأقل - محاولة ذلك.

قال:

- ما رأيك في تجربة سلاح جديد.. سلاح حديث.

- أشكرك بشدة، أنا سعيد بأسلحتي التي أستخدمها.

يبدو أن الرجلين اللذين ساعداني في المهمة قد أخبراه بنوع البندقية المستخدمة، وأنها لم ترُق له.. ولكن ما شأنه بها أن تروق أو لا تروق له، إن كل ما يلزمه في النهاية هو النتيجة.

قال محاولا إغرائي:

- سنعطيك بندقية أكثر تطورًا من التي اعتدت استخدامها..

- معذرة، أنا مرتاح مع بندقيتي الخاصة.. شكرًا على العرض.

ابتسم قائلاً:

- هناك أسلحة أكثر تطورًا من بندقيتك، وستفيدك أكثر.

رددت بإصرار:

- شكرًا.

- على الأقل دعني أستعرض معك بعض النماذج.

لم أود أن أبدو سخيفًا أكثر، فوافقت على مضض.. اصطحبني إلى غرفة جانبية مملوءة بالأسلحة المختلفة بحق.. مسدسات وبنادق وقنابل يدوية ومتفجرات مختلفة وخناجر.. سألته:

- هل هذه أحدث أسلحة في العالم؟

اتجه بي ناحية جزء خاص في مكتبه بالبنادق وهو يجيب:

- هذه أحدث أسلحة متاحة لي في العالم.. أنت تعرف أمريكا والصين وألمانيا وروسيا واليابان، لا يكفون عن الأبحاث والتطوير والصناعة، هناك سلاح جديد كل يوم.. ولكنه يظل سريًّا لفترة قبل أن يسمح بتداوله.

كان هناك الكثير من الأسلحة النارية والبيضاء ونماذج لقنابل يدوية، بعض

obeikandl.com

الأسلحة البيضاء من تلك المستخدمة للزينة في اليمن وقطر ودول الخليج عامة، وبخاصة قبائل البدو منهم.. وكان هناك بعض المسدسات التقليدية مثل «بريتا» (Britta) و«كولت» (C٠lt)*.. بعض المسدسات لها الشكل التقليدي، وأخرى مذهبة أو مزركشة بشكل باهر.. ثم قام بانتقاء بندقية ورفعها من مكانها قائلاً:

- هذه بندقية «M١١٠»، أحدث سلاح للقناصة.. وهي صناعة أمريكية موديل ٢٠٠٩.. تتميز بأنها لا تومض عند الإطلاق ليسهل استخدامها ليلا دون أن ينكشف أمرك، وكذلك فيها أشعة تحت حمراء تخترق العتمة والضباب كأنها إضاءة «زينون» (Xenon).

كانت البندقية بيضاء اللون، وهو لون غير معتاد في الأسلحة.. يمكنك مشاهدة سلاح أسود أو بني أو ذهبي أو فضي، أما الأبيض فلون مميز حقًّا.. ولكنني ما زلت أظن أن الأسود هو الأفضل ليلاً.

- أليس اللون الأسود أفضل للقناص ليلاً، كي لا يجذب اللون الأبيض الانتباه؟

- من صنعوه اعتمدوا على أن يضيفوا له مميزات الاستخدام الليلي، لا أظنهم تجاهلوا نقطة كهذه..

ثم فتح درجًا وأخرج منه جرابًا على هيئة شرائح مطاطية متصلة، وقال:

- هذا غطاء خاص بالبندقية للاستخدام الليلي.. أنت تعرف أن الاختراعات الحديثة في كل المجالات أصبحت تهتم بالمظهر أيضا لا الجودة والكفاءة فقط.. لذا اللون الأبيض يعطي أناقة للاستخدام النهاري دون أن يجذب الانتباه.. والغطاء الأسود لأمان الاستخدام الليلي.

أظن أنه تلقى دورات في آخر صيحات الأسلحة.. وكنت معجبًا بالسلاح حقًّا، ولكن سأحتاج إلى كثير من الوقت كي أعتاد عليه.

* * *

نهضت لأغسل يدي، وعند عودتي.. لاحظت أنني قد شاهدت هذه الفتاة الشقراء القصيرة من قبل في نفس الظروف.. داخل مطعم.. يا إلهي، كيف

obeikandl.com

لم أنتبه من قبل؟!
عند أول مقابلة لي مع السيد «بوجي» كانت هذه الفتاة موجودة في مكان اللقاء.. ثم رأيتها مرة أخرى في المطعم ذاته، وبحثت عنها في مرة ثالثة، غير أنها لم تكن موجودة..
كان «بوجي» قد مات حينها..
مات للمرة الثانية..
ثم ظهرتْ هنا من جديد، كل شيء يبدو أنه معد مسبقًا..
«نحن نعتمد على خطط طويلة المدى، ويبدو أن خطتنا السابقة باءت بالفشل رغم الكثير من المحاولات»..
فكرة الألغاز والرسائل الواردة من أرقام مجهولة..
المدير الذي هو ليس بواجهة ويقتل من أجل مصلحة المجتمع..
الآن فهمت..
هذه الفتاة.!
محاولات «بوجي» قتلي*..
كنت دوما ضد فكرة المؤامرات، ولكن هذه المرة أنا فريسة مؤامرة لا تحتاج سوى لنَفَسٍ طويل، ويبدو أنها قد نجحت. جلستُ مرة أخرى ريثما يحضر النادل شيك الحساب، وأخذت أتأمل وجهها بدقة.. ابتسمتْ خجلا كرد فعل طبيعية لفتاة هناك من يحملق فيها، وسألتني لتشتت انتباهي عن وجهها:
- أهذه أول مرة تراني فيها؟
- أول مرة من هذا القرب.. من الأمام.. قبل ذلك اعتدت رؤيتك من جانب وجهك، هل تذكرين؟
نظرتْ إلي بتساؤل دون رد، فأوضحت:
- ذلك المطعم الذي التقيتُ فيه بالسيد «بوجي».. عندما بدأتم معي لعبة الألغاز.
ارتفع حاجباها بدهشة كأنما لم تتوقع أني قد لاحظتها في المرات السابقة.. لم

obeikandl.com

أظنهم على هذه الدرجة من الحماقة التي تجعلهم يظنون أنني لن ألاحظ، ربما لم أتذكر في الوقت المناسب، لكني ما زلت قادرًا على الملاحظة..
لم تعرف بمَ يجب أن ترد على هذا الاتهام الصريح..
لقد ساقت لي الظروف الكيان التسويقي الذي أردته ليصبح القتل عملية مقبولة لدى المجتمع..
هذه المنظمة تريد تحقيق بعض من مصالحها عن طريقي، ورغم ما دبروه لي منذ البداية وحتى الآن، يمكنني استخدامهم لتحقيق هذه المصلحة التي أريد حقًّا..
وهذا لم يمنع أن أحاول استدراجها للمزيد مستغلاً قلقها البادي هذا.. فسألتها:
- منذ متى وأنتِ مسئولة عن متابعتي؟
لم تكن هناك حاجة للمراوغة، أجابت:
- منذ فترة طويلة، عندما كنا نبحث عن شخص يحترف القتل ويجيد عدم كشف أمره.
- وكم شخصًا مررتم عليه قبل أن تصلوا إلي؟
- كثير، غير أنهم ليسوا محترفين مثلك.. إما أن أهل المنطقة التي يسكنون فيها يشكُّون في أمرهم، وإما أنهم يفشلون في بعض العمليات وتحدث مشادات بينهم وبين الذي كلفهم إياها.. أو أي أسباب أخرى.. أما أنت فوضع مختلف تمامًا.
جاء النادل ووضع حافظة بداخلها شيك الحساب وابتسم منصرفًا، فسألتها من جديد:
- كيف - تحديدًا - توصلتم إلي؟
نظرت إلي مطولاً قبل أن تجيب:
- عن طريق الصدفة.
وارتسمت على شفتيها ابتسامة، أظنها ابتسامة الذكريات السعيدة.

obeikandl.com

٩

«لا تتعاطف مع الضحية، ولا تكِن لها أي مشاعر، حتى لو مشاعر كراهية.. كن محايدًا تمامًا كي تستطيع إنجاز المهمة بدقة»..

كنت ألقنه الكثير من الدروس في أثناء تدريبه على استخدام الأسلحة.. كيف يمسك المطواة ويفتحها بمهارة دون أن يجرح نفسه، بالطبع كان يجرح نفسه.. البداية دائمًا صعبة في كل الأمور، إلى أن يتجرأ الشخص ويعتاد عليها. الولد يستجيب بشكل جيد، من جديد أشعر أن ظني لن يخيب به، وانتقائي له دون أقرانه كان موفقًا.

* * *

أخذني ناحية القسم الخاص بالقنابل.. قنابل يدوية، وأخرى مسيِّلة للدموع، وثالثة ضوئية، ونوع من القنابل لم أرَ مثل شكله من قبل.. سألني:

- ألا تحتاج إلى قنبلة يدوية؟

- القتل بمسدس (إذا كان الهدف قريبًا)، أو بندقية (إذا كان الهدف بعيدًا) هو أرقى أنواع القتل.. فهي طريقة خالية من الجُبن عند استخدام السم.. و«الغشومية» عند استخدام الخنجر أو السكين.. كما أنها تتميز بمهارة وتحتاج دقة لا يحظى بها كل الناس.. والقنبلة أضرارها كبيرة ولافتة بشكل أسرع مما ينبغي.. القاتل يحتاج إلى هنيهة ليختفي من موقع الحادث.

قال ممسكًا بواحدة من القنابل غريبة الشكل:

- ماذا عن قنبلة بجهاز تحكم عن بعد إذًا؟!

- لا تستهويني القنابل، وإذا كنت ترغب في اغتيال شخص بقنبلة ذات جهاز تحكم عن بعد، فاستخدم أيًّا من معاونيك في المنظمة.. استخدم حتى هذه الفتاة، الأمر لا يعدو أكثر من طفل يلعب، أما القتلة المحترفون فشأنهم أكبر من هذا بكثير.

نظر إلى الفتاة الواقفة عند الباب، ويمكنني الآن استنتاج سبب وقوفها منذ البداية في ذلك المكان؛ حيث الحديث الشيق بين الأديب الكبير - الذي يدير

شركة تجارية كواجهة لإدارة فرع منظمة سري - وبيني، ثم يطلعني على ترسانة الأسلحة التي يخفيها بغرفة ملحقة بالمكتب.. ماذا لو دخلت سكرتيرة بشكل مفاجئ أو شخص متهور يريد مقابلة المدير!

قال المدير:

- ماذا لو قمت بتعريفك شخصًا.. قاتلاً محترفًا، يجيد استخدام كل أنواع الأسلحة النارية والبيضاء.. ستستفيد منه كثيرًا عندما يعلمك..

- لماذا لا تكتفي به إذًا، لن تكون بحاجة إليَّ وقتها؟

- لأنه سيستفيد منك كثيرًا عندما تعلمه، وبهذا يكون عندي قاتلان محترفان.. إنجازًا للوقت.

- ماذا سأعلمه؟! إنه يعرف أكثر مني.

- يعرف أكثر منك في مجال، وأنت تعرف أكثر منه في آخر.. أنت تجيد التفكير وإعداد الخطط والقدرة على التصرف.. أفضل منه، بالإضافة إلى الخبرة.

- أهذا ما ينقصه؟

جلس على مقعد فجلست قبالته وهو يقول:

- بل ما ينقصها.. أقدم لك، تلميذتك الجديدة.

كان يشير - لدهشتي - إلى تلك الفتاة..

ذات الشعر الأشقر الناعم القصير..

الواقفة عند الباب!!

* * *

«لا داعي لأن يكون هناك صديق يعرف عنك كل شيء.. كل شيء عن عاداتك ورغباتك واهتماماتك.. فالغرباء نفعهم في ذلك، لا يعرفون عنك شيئًا.. لذا فتهديدهم لأمنك أقل بكثير!».

كان يأخذه الحنين من حين لحين إلى أصدقائه في الشارع.. وكنت أتحايل في

obeikandl.com

إقناعه بأن حاله دونهم سيكون أفضل، وألفت انتباهه إلى وضعه الحالي من شبع ونظافة وسكنى وراحة واحترافية في استخدام الأسلحة..
كنت قد انتهيت من تلقينه كل ما أعرف عن استخدام الأسلحة البيضاء، وهو ليس كثيرًا على أي حال، فأنا أستخدم بندقية كأداة أساسية لإنجاز عملي، تمامًا كما تستخدم أنت الآلة الحاسبة كمحاسب أو القلم كإداري أو الكمبيوتر كمبرمج أو المكنسة كعامل نظافة!
أخبرته بأن المسدس ذا الساقية يحتاج يدًا واحدة فقط؛ إذ إنك ترفع زر الأمان بنفس اليد.. أما المسدس ذو المشط فيحتاج اليدين معًا؛ حيث إنك تسحب المشط باليد الأخرى.. لكل واحد استخدامه، وعامة إطلاق الرصاص من مسدس لا بد أن يكون من مسافة قريبة للهدف بعكس البندقية التي تحتم بعد المسافة.. ونبهته لرد فعل السلاح عند الإطلاق، فلا بد أن تصلب يدك وأنت ممسك بالمسدس، وأن تسند كعب البندقية إلى كتفك..
كان ممسكًا بالمسدس ذي الساقية في هذه اللحظة، فصوبه باتجاهي في مشهد سينمائي رخيص.. حيث إنني أفرغ الأسلحة من الطلقات عند التدريب، وهو لم يكن يفعل أكثر من حركة استعراضية على أي حال.

* * *

نظرتُ إليه في صمت، فاستطرد:
- عليك أن تُعلم هذه الفتاة مهارات القاتل المحترف.
فألقيت عليها نظرة لأجدها مبتسمة في سعادة، كأنما تمنت ذلك عندما سألوها «تحبي تطلعي إيه لما تكبري؟»، وها قد أوشك «إيه» على التحقق.. أوشكت أن تكون «قاتلة محترفة»..
لكن لي تخطيط آخر بهذا الشأن يتعارض مع مطلب هذا الرجل.. فكرت بسرعة ثم قلت:

- أنا أقتل فقط.. لا أدرب على القتل، لهذا بحثتم عني، ولهذا تنقدونني المال.
ابتسم الرجل كأنما فهم ما أرمي إليه، في حين أنه لم يفهم شيئًا على الإطلاق:
- ستأخذ أجرك مقابل التدريب أيضًا.
- معذرة، ليس هذا ما قصدت.. حياتي ليست وقفًا لهذه المنظمة، أنتم تستحقون جزءًا من وقتي مقابل أجر، لدي أمور أخرى عليَّ الاعتناء بها.
- أمور مثل ماذا؟
كان يتحاذق، ولكني كنت أكثر فطنة..
- أمور شخصية.
نهضت واقفًا إيحاءً بانتهاء اللقاء.. لكن الفتاة - لأول مرة - تحدثت قائلة:
- من فضلك.. أريد أن تنقل لي خبرتك وتعلمني مهارتك، أنا بحاجة إليها.
استشعرت أن الأمر بالنسبة للفتاة ليس مجرد تلبية لاحتياجات المنظمة، بل لا بد من هدف شخصي تسعى إلى تحقيقه..
هدف هو القتل..
وتحقيقه يكون بالقتل.

* * *

أحيانًا تزداد الأمور سوءًا مع هذا الولد عندما أتركه وحده وأذهب لشراء أغراض أو تفقد الأوضاع على أرض الواقع في المدينة.. يفاجئني بفكرة جديدة لم يأتِ على ذكرها من قبل، أو يرجع لعناد قديم خاص برفاقه أطفال الشوارع..
كنت أعلم أن التليفزيون هو السبب الرئيسي، فهو لا يتعامل سوى معي ولا يتلق أي معلومات غير مني.. ومن الجهاز المستفز هذا.. أيضًا بضع روايات تركتها بين يديه، ولكن ما باليد حيلة، لا يعقل أن أتركه بلا أنيس فيجن أو يرتكب أي حماقة لا تحمد عقباها في غيابي، كذلك لا يمكن أن أسيطر على

البرامج والمسلسلات على كل القنوات..
- أليس من الخطأ أن نقتل الناس دون سبب؟
- ماذا لو أن كسب العيش سبب؟ أن تحصل على نقود لتنفق منها.. تأكل وتشرب وتشتري ملابس وتركب مواصلات، أليس هذا سببًا كافيًا؟
- كل الناس تأكل وتشرب وتلبس دون أن تقتل.
- هم يعملون بشيء ما، التجارة أو الزراعة أو البناء أو تنظيف الشوارع أو علاج الناس، أنت ستعمل بالقتل.. أليس هذا عملاً؟
أخذ يفكر في منطقي ويحاول إقناع نفسه به، وكانت هذه اللحظة المناسبة لطرق الحديد كما اعتدت.. يبدو أن تأهيل شخص للقتل أمر شاق فعلاً، أكثر مما ظننت.. ربما كان تدريب الفتاة قصيرة الشعر أكثر سهولة.
- من تقتلهم، ستزيد من قيمتهم في الوجود.. لو كان القتيل مؤمِّنًا على نفسه، فسيحصل أهله على قيمة التأمين.. كما أن هناك قيمة معنوية للفقيد، يدركها المقربون منه بعد أن يذهب عنهم بلا رجعة..
- بمَ تحاول أن تقنعني حقًّا؟
- لا أحاول أن أقنعك بشيء.. أنت بالفعل على قناعة.
نظر إلي بما أظنه «توترًا»، وقال قبل أن يدلف إلى غرفته:
- أنت تدمي قلبي ثلجًا من ثلجك..
هذا الولد بحاجة إلى مراجعة ما يقرؤه.. الروايات التي أتركه يتسلى بها في غيابي غيرت فيه الكثير حقًّا.

* * *

«لا ترتدِ ألوانًا زاهية، كالأحمر والبنفسجي.. ولا ترتدِ ألوانًا مميزة، كالأسود والأبيض.. الألوان الترابية دائمًا غير لافتة».
- أتلقى تدريباتك ونصائحك هذه منذ فترة طويلة، لقد مللت حقًّا، وأرغب

في شيء آخر.
- شيء غير القتل؟
- أو حتى القتل.. أنا لم أقتل شخصًا حتى الآن، لم أقتل حتى قطة.
- «الإنسان الذي يمكنه إتقان الصبر يمكنه إتقان أي شيء آخر»*.
- لا تختبر صبري أكثر من ذلك إذًا، وإلا سأفشل.
- لن تفشل في شيء لم تجربه بعد، كما أن المرات الأولى لا أنتظر فيها منك نجاحًا على أي حال.. لا بد من بذل الجهد واكتساب الخبرة.
الأمر لم يتعدَ بضعة أسابيع، ولكن الأجيال الجديدة ملولة حقًّا.. هذا واضح في أنماط حياتهم بشكل جلي، الأغاني القصيرة.. المعلومات المختصرة عن طريق الإنترنت.. الوجود في المكان الواحد لساعة أو اثنتين على أقصى تقدير.. جيل ملهوف متعجل، ولكنه - رغم ذلك - يمتلك مهارة يحسد عليها.

obeikandl.com

١٠

«البداية عندما قررت المنظمة أن تتجه إلى الخطة البديلة نظرًا لما تراءى لها من فشل الخطة الأولى.. تقتضي الخطة البديلة وجود قاتل محترف.. غاية في الاحتراف لو شئت الدقة، فالمنظمة لا تتعامل سوى مع الأكثر مهارة في كل المجالات.. كل شخص في المنظمة مكلف بمهمة يعرف أن عليه أداءها كما ينبغي..

المنظمة تنتقي الأفضل دائمًا..

فهناك مثلا مجموعة (المتحكمين).. مثل (المعاقِب)، شخص مهمته عقاب كل المخطئين في المنظمة أو في المجتمع الأكبر.. الموضوع ليس مرتبطًا بالعنف أو الإيذاء الشديد، يكفي أن نخطف طفلاً لشخص على وشك اتخاذ قرار يضر بالمجتمع، فنؤثر عليه لحين اتخاذ القرار المناسب..

يكفي أن نحتجز عضوًا بالمنظمة تقاعس عن أداء المهمة الموكلة إليه أو انجذب انتباهه عنها، دون أن نوفر له طعامًا وشرابًا ونومًا إلا ما يعينه على الاستمرار في الحياة..

أشياء كهذه، فلا أرغب الدخول في مزيد من التفاصيل لمهام بعيدة عن تخصصاتنا أنا وأنت..

يوجد كذلك شخص يدعى (المدمِّر).. مهمته تدمير حياة البعض ممن لا يستحقونها، أو يستغلونها استغلالاً سيئًا..

يخلق ظروفًا تجعله يطلِّق زوجته ويهجر أبناءه ويترك عمله ويرحل عن محل سكنه أو مدينته بالكامل.. أشياء كهذه..

ثم أنت.. شخص يدعى (القاتل).. رجل مهمته القتل.. يقتل الأفراد الذين لا يرجى من حياتهم خير وصلاح للمجتمع، مثل ذلك الأديب الذي أديت مهمته بنجاح..

كان الرجل يلوث سمعة الشرفاء ممن يمكنهم تغيير حال المجتمع إلى الأفضل لصالح الفاسدين الكبار مستخدمًا قلمه وشهرته، شهرته المصنوعة من جوائز

كثيرة ولقاءات تليفزيونية كثيرة حصل عليها بالأمر المباشر من المسئولين الفسدة..

من يقبل على نفسه أن يكون هكذا، يستحق الموت.. ألا ترى ذلك معي؟».

ابتسمت ساخرًا أقول:

- تقصدين مع المنظمة، «ألا أرى ذلك مع المنظمة؟».. فأنتِ ممن لا رأي لهم في ذلك الكيان الكبير، أنتِ مجرد سكرتيرة تفعل ما يتوجب عليها أن تفعله، وبحكم موقعك تعرفين بعض الأشياء لا أكثر.. مشروع قاتلة أمسكت المسدس مرة وأعجبها إطلاق النار، ليست لكِ رؤية ولا يحق لكِ أن تملكي واحدة، عليكِ فقط أن تؤمني برؤية المنظمة وتقتنعين بها، سواء بإرادتك الخالصة أو عن طريق عملية غسل لمخك الصغير هذا.

بدا أنها تتمالك نفسها بعسر وهي ترد بعصبية:

- أنت لا تعرفني على الإطلاق، وتعطي لنفسك حق الحكم علي بهذه الطريقة القاسية.

- يبدو أن لديكِ أوامر محددة تحاولين تنفيذها بدقة.. ماذا تحكين وماذا تخفين.. كيف ينبغي أن تتعاملي معي وما هو الممنوع في التعامل.. متى تصاحبينني ومتى تراقبينني ومتى تتركينني.. صدقيني، أنتِ كيان صغير تافه عليه تنفيذ التعليمات وعدم الحياد عنها.

كنت أتكلم الحقيقة لأنها استفزت بشدة، وكنت أرغب في استفزازها حقًّا.. وإن لم أدرِ السبب لذلك، ربما لأنها كانت تراقبني.. أو لأنها خدعتني بوجودها الغامض قديمًا.. أو ربما أي شيء آخر!

قالت بعصبية زائدة وهي تنهض من مكانها:

- لا يعقل كل هذا الاستفزاز، لدينا مهام يجب إنجازها.

- لم تخبريني بعد.. كيف تم اختياري؟

عادت إلى الابتسامة ذاتها وهي تقول شاعرة بانتصار ما لا أدرك سببه:

- هل تذكر الرجل ذا الستة أصابع؟!

obeikandl.com

أعادتني بسؤالها هذا إلى الماضي.. وإلى دهشتي.

* * *

- استأجرتك امرأة راقية جدًّا منذ عدة أعوام، هل تذكرها؟

في الحقيقة لم يتم استئجاري من قبل نساء غير مرات قليلة، ولكني لم أعرف أي واحدة فيهن تقصد.. سألتها:

- أيًا منهن تحديدًا؟

- تلك الجميلة جدًّا.

- تحدثي بشكل واضح ومباشر من فضلك.. ما اسمها، أو ما العملية التي كلفتني إياها؟

خفضت صوتها وهي تحكي قائلة:

- النصاب الذي خدع السيدة الجميلة وحصل منها على ٤٠٠ ألف جنيه، ثم بعد ذلك ابتز زوجها وحصل منه على ٢٠٠ ألف جنيه.

تذكرتُ ما تقصده، فدارت العملية كلها في ذاكرتي..

سيدة رائعة الجمال زوجة رجل أعمال مشهور.. والنصاب كان شابًّا وسيمًا احتال عليها بطريقة مبتكرة حقًّا، ولكنها طريقة استفزت السيدة لدرجة أنها رغبت في التخلص منه فعلاً..

كان الشاب مندوب تأمين لدى إحدى الشركات، شركة تأمين متطورة، لا تحصِّل منك نقودًا لمجرد التأمين على الحياة أو العجز، ولكنها تستثمر أموالك أيضًا.. شيء يشبه الوديعة المغلقة لسنوات معينة، ثم تحصل على الأرباح وأصل المبلغ إن أردت.. أقنع الشاب السيدة بالتأمين لصالح نفسها وزوجها بمبلغين كبيرين.. وافقت السيدة رغم عدم احتياجها لمثل هذا التأمين، إلا أن وسامة الشاب ولباقته مع السيدة جعلتاها توافق.. ودفعت السيدة الدفعة الأولى عن كل فرد.. وترك لها الشاب بطاقته الخاصة لكي تساعده في جلب

obeikandl.com

المزيد من العملاء، ثم مضت عدة أشهر.
يفترض أن السداد يتم سنويًّا، لكن ظهر الشاب لها من جديد بعد عدة أشهر ليحتال عليها مرة أخرى، إذ أقنعها بوجود قطعة أرض تابعة لأحد عملائه ويرغب في بيعها، وأن المساحة هائلة والسعر مغرٍ.. السيدة لم تكن تفكر بطريقة رجال الأعمال فتستغل الفرصة، ولكن الشاب أقنعها بأن الأرض ستكون مفاجأة سعيدة لزوجها رجل الأعمال في استثماراته.
شاهدت السيدة قطعة الأرض، واتفقا على تجهيز المبلغ في اليوم التالي، على أن يحضر لها أوراق ثبوت الملكية لصاحبها، وأن يحصل على عمولة مناسبة.. وتم كل ذلك كما ينبغي بيسر، ولكن المشكلة أن صاحب قطعة الأرض له ستة أصابع، ويخجل الظهور أمام الناس، لذا فقد أوكل الشاب بالتصرف وإنهاء كل شيء.. وبذا حصل الشاب على المبلغ الكلي ثمنًا لقطعة الأرض، وترك للسيدة عقدًا مزورًا بالبيع.. حيث إن العقود الأصلية تثبت ملكية جزء صغير جدًّا من الأرض، وبقية المساحة ملك الدولة.
لم يكتفِ الشاب بهذا، بل انتقل بعد أسابيع إلى الزوج.. رجل الأعمال.. وأخبره أن زوجته متورطة في شراء قطعة أرض خاصة بالدولة بأوراق مزورة، وأظهر له توقيعها على العقد المزيف.. وأن باستطاعته حل المشكلة مقابل مبلغ نقدي محترم.. رجل الأعمال تصرف فورًا عندما ميز توقيع زوجته الحقيقي، ولم يكن يعلم من أمر الشاب شيئًا منذ البداية، وحرر «شيكًا» له بالرقم الذي طلبه.
بعد عدة أسابيع أخرى، فتح الزوج الموضوع.. فسكبت الزوجة ما تحويه في جعبتها، وقرر الزوج الوصول إلى الشاب، فاتصل بشركة التأمين المذكورة لزوجته، وتأكد أن الشاب استقال منذ فترة، وأنه وزوجته ليس لهما أي بيانات في الشركة إطلاقًا.. أي أن الشاب نصب عليهما منذ البداية.
ومن هنا تصرفت الزوجة من نفسها مرة أخرى، وقررت الوصول للشاب والتخلص منه.. اتصلت به طالبة لقاءه وقد أغرته بعملية تجارية عمولته

فيها ستكون كبيرة.. فوافق الطمع الذي بداخل الشاب متمنيًا المزيد من عمليات النصب المريحة.. وقد كنت موجودًا للتخلص منه، بالطبع لم تأتِ السيدة أصلاً.

كانت عملية قتل عادية جدًّا.. ويظل السؤال المعلق منذ البداية، كيف تم اختياري؟ ما علاقة المنظمة بعملية القتل هذه؟!

حولت تداعياتي هذه إلى سؤال مباشر:

- ما علاقة المنظمة بعملية القتل هذه؟!

أجابت الفتاة ببساطة:

- رجل الأعمال كان رئيس المنظمة وقتها.. وعلم بتصرف زوجته من تأجيرك لقتل الشاب.

- السيدة لم يهمها النقود التي خسرتها هي وزوجها على الإطلاق، ولكنها استاءت من استغلالها والنصب عليها بهذا الشكل السيئ، وقررت الانتقام.

- ولكنها لم تتمالك نفسها كاتمة للسر طويلاً.. أخبرت زوجها خشية أن تبلغ عنها كمحرضة لو تم القبض عليك، فاستغل الزوج الموضوع بطريقة أخرى تفيد المنظمة.

ابتسمتُ معلقًا:

- يا لها من منظمة!

سألتني ببراءة:

- هل ستساعدني؟ هل ستعتبرني تلميذتك وتعلمني كيف أخطط لعملية قتل؟!

* * *

لم أجزم إن كان ذلك الزوج هو الرئيس الحالي، أم هو رئيس سابق فعلاً كما أخبرتني الفتاة..

قالت لي كذلك إن المنظمة تتعاون مع أعضائها في كل ما يخصهم، ولكني أرى أنها تسعى منفردة لانتقام شخصي لا أدري مع من ولا لأي سبب.. هذه

obeikandl.com

الفتاة تحولت من محيرة إلى مزعجة، ورغبتها في أن أدرّبها تربكني جدًا.. فأنا يكفيني تدريب الولد الذي أخفي وجوده عن المنظمة، هذه أعباء أكثر مما أحتمل حقًّا.. أرعى طفلاً وأدربه وأخفيه في الوقت نفسه.

وصلت المنزل فوجدت الصبي يشاهد التليفزيون، فيلم حركة أجنبي.. تتميز هذه الأفلام بأنها مثيرة في أي لقطة من لقطاتها، بعكس الحياة العادية الملولة للبشر العاديين.. وحتى غير العاديين، معظم وقتي ممل فعلاً فيما خلا وقت الإعداد والتنفيذ لمهمة قتل.

ناديته، فرحب بي دون التخلي عن المشاهدة.. كان هناك درس جديد علي تعريفه به، فبدلت ملابسي وجهزت وجبة حتى يفرغ من باقي فيلمه.. واستغرق هذا نحو ساعة شاملة الفواصل الإعلانية التي تهدر الوقت.

* * *

«هناك دائمًا السلاح الاحتياطي وهو ليس السلاح البديل، أي أنه للطوارئ، أو إذا تطورت الأمور بشكل غير متوقع فيمكنك استخدامه كيفما اتفق، لكنه ليس بديلاً عن سلاح المهمة الأصلي.. لنفترض أن الرصاصة لم تنطلق أو علق الزناد، أي أن السلاح قد خرب بأي شكل من الأشكال.. أنهِ مهمتك فورًا وانصرف عن المكان، لا تنفذ المهمة مهما كانت الظروف أو المغريات، فسلامتك أهم من أي شيء، المهمة يمكن إنجازها في وقت لاحق مهما كانت التكلفة، أما أمنك فلا يمكن تعويضه على الإطلاق..

هل تعي ما أقول؟».

وصلت مع الفتى إلى مرحلة يتحتم علي فيها تأهيله لعملية القتل نفسها.. أن يستطيع تحويل مسار شخص من الحياة إلى الموت في لحظة..

لم يحقق لي شخص رفاهية الإعداد النفسي في بداياتي، رفاهية يتمتع بها هذا الصبي.. رفاهية واجبة عليّ.. فأنا أعِدُّ قاتلاً سيحمل راية القتل من بعدي لأجيال أخرى، وعليه أن يكون مستعدًا لهذا منذ اللحظة الأولى في حياته العملية..

فلا بد أن يكون مقتنعًا.

قلت:

- كل شخص يشترك في لعبة القتل عليه أن يدفع الاشتراك أولا..

- ليس مبلغًا باهظًا على ما أظن.

- بل ليس نقودًا على الإطلاق..

سألني بتعجب:

- ماذا إذًا؟!

نظرت إلى عينيه مباشرة وأنا أجيب بهدوء:

- عملية قتل!

obeikandl.com

obeikandl.com

الجزء الثالث

obeikandl.com

obeikandl.com

-١-

في شوارع تونس العاصمة تبدو الأمور هادئة تحت ندف الثلج المتساقط في ديسمبر، إلا أنها في واقع الأمر مشتعلة.. القمع شديد والحياة محدودة.. الإنترنت غير متاح بوفرة وسهولة كما في مصر، عليه رقابة معلنة وواضحة في الاستخدام من خلال أماكن محدودة يصرح لها بتوفيره.. قنوات التليفزيون التونسي مملة، وبخاصة مع صعوبة لهجتهم هذه.

الفقر واضح والموارد قليلة والضنك يملأ وجوه الناس.. حكى الآباء أشياء كهذه في مصر أيام عهد عبد الناصر، أعرف أيضا أن سوريا تعاني نفس المشكلة، على الرغم من أننا في أواخر عام ٢٠١٠م، بينما عبد الناصر كان في خمسينات القرن السابق..

النفوس هنا تغلي بلا فوران!

جولة بالسيارة من طريق المطار إلى الفندق، وسائق تونسي يجيد «الرغي» كسائقي الأجرة في مصر.

تونس؛ حيث مهمتي الجديدة هنا كما تقتضي الخطة، سياسي تونسي وآخر مغربي في زيارة لتونس، ثم دبلوماسي فرنسي بفرنسا القريبة من هذه الدولة، تلك هي مهمتي اللاحقة..

لم يكن في الخطة شيء متعلق بممارستي السياحة في هذين البلدين، على الرغم من أنني لأول مرة أزورهما.. رأت المنظمة أن أبدأ العمل فور الوصول كي لا أكون عرضة للتعرف علي بعد ظهوري في البرنامج.. ولا ننسى سلاح الـ«YouTube» الذي يتم من خلاله رفع كل الفيديوهات الهامة.. هامة من وجهة نظر من يرفعها على الأرجح!

إذًا لا سياحة في هذا البلد الجميل لدواعٍ أمنية.. ياللحظ التعس.

غرفة الفندق الذي أوصلوني إليه من المطار كانت مسجلة باسم أحد الأعضاء هنا، كل شيء معد بدقة في دولة بوليسية متشككة.. كل شيء في الوقت المناسب تماما.. استحممت وبدلت ملابسي واتكأت على عكازي وخرجت..

obeikandl.com

أمام السفارة المغربية بتونس؛ حيث يلتقي الهدفان في اجتماع ثنائي..
لم أعرف إن كانا وزيرين أم دبلوماسيين أم أي شيء آخر، فقط هما شخصان يعملان بالسياسة ويؤثران سلبًا على الوطن العربي بشكل ما..
هكذا ارتأت المنظمة، وهكذا قررتْ أن يُقتلا، وهكذا استخدمتني لهذه المهمة، وهكذا حصلت على مبلغ كبير آخر..
هناك شخص مسئول عن توصيلي وشرح الأمور التي ينبغي لي معرفتها، أعطاني صورة لكل واحد من الشخصين المذكورين.. كانت لهجته شامية وهي أسهل بكثير من تلك التونسية بالنسبة لي وأكثر وضوحًا وفهمًا.. أوصلني الشخص إلى سطح المبنى المقصود وكانت هناك بندقيتي الجديدة.. «M١١٠» الأمريكية البيضاء نهارًا غير اللافتة.. كان يعلم أن عليه نقل البندقية إلى السطح، ثم إخفاءها بعد إتمام العملية.. لأنني لا أستطيع حملها وإخفاءها بهذا العكاز.
حالتي الصحية في تحسن، العلاج الطبيعي مستمر في جلساته وقدمي تستجيب، لكن ما زال أمامي وقت للوصول إلى مرحلة الشفاء التام.
كنت قد نسيت لحظات التوتر بمطار القاهرة مع الجو الممتع ومشاهد الخضرة الرائعة في هذا البلد!

* * *

قال ضابط الجوازات وهو يتفحص جواز سفري في مطار القاهرة:
- منذ ساعتين شاهدت البرنامج الذي استضافك، هل أنت حقًّا قاتل محترف؟!
لم أجب بأكثر من ابتسامة حاولت أن تكون استفزازية قدر الإمكان.. فقال الضابط بهدوء:
- عامة لم تردني أي أوامر ضدك، واسمك لم يدرج في قائمة الممنوعين من السفر حتى اللحظة.

- ولن يدرج، أنت تضيِّع وقتي وتقوم بتسلية نفسك لا أكثر.. فقط أرجو ألا تفوِّت عليَّ طائرتي.

في الواقع كنت متوترًا. أن يكون هناك من يتعرف على شخصيتي بهذه السرعة لهو أمر يثير القلق.. إذ يمكنهم إلقاء القبض عليَّ في أي لحظة، حتى ولو لم يربطوا بيني وبين أي عملية قتل تمت مؤخرًا.. أو حتى مبكرًا.. مجرد اعترافي الضمني في البرنامج بأنني قاتل محترف يثير الريبة ويجعل أجهزة الأمن تتحرك في اتجاه ما..

ختم الضابط جواز سفري وانتقلتُ إلى صالة الانتظار، مر الوقت ولم يتم إلقاء القبض عليّ.. حتى بعد صعودي إلى الطائرة وانطلاقها في الجو وابتعادها لمسافة طويلة كان القلق موجودًا، وإن قلَّ كثيرًا عنه منذ كنت في صالة الانتظار..

يبدو أن هذه المنظمة تعرف ما تقوم به، وتسيطر على شتى الأمور حتمًا.

كان كل شيء معدًّا له حين قال لي المدير ببساطة:

- المرحلة التالية لك معنا هي أن تصبح مشهورًا.

فابتسمت ساخرًا قبل أن أقول:

- منذ الصغر وأنا أتمنى أن أكون ممثلاً.

- كلا.. ستظهر كقاتل محترف في لقاء تليفزيوني جماهيري.

تأملت وجهه لأتحرى هزله من جدِّه، ولما وجدته جادًّا سألت:

- كيف أعيش في البلد بعدها؟

- ستسافر.

- لا يمكنني العيش في مكان آخر، أنا تأقلمت هنا على هذا الوضع.

- ستسافر ثم تعود.

- أعود وقد أصبحت مكشوفًا؟!

قال شارحا فكرته/ خطته:

- ستسافر ليعرفوا أنك سافرت، سيبحثون عنك في الخارج.. ولكنك ستكون

obeikandl.com

قد أديت بعض المهام الموكلة إليك وعدت لتعيش بيننا بشكل طبيعي، طبعًا ستغير عنوانك وعملك واسمك - ذلك الذي لا يعرفه أحد - من جديد.
سألته:
- والنفقات؟
- سنتكفل بكل شيء.
كنت أفكر بالصبي الذي تكفلت به وأقوم على تدريبه، أين سأتركه وكيف ومع من.. ولأي مدة؟! خاصة أنه لا يمكنني الإفصاح عن وجوده في حياتي..
سألت من جديد:
- إلى أين السفر؟ وكيف سأقضي وقتي هناك؟
- ستمارس مهنتك بالطبع، ستقتل عدة أشخاص لهم تأثيرات سلبية على مجريات الأمور في الوطن العربي ككل.. أشخاصًا فاسدين.
ابتسمت قائلاً:
- أنت تعرف أنه لا يهمني إن كانوا فاسدين أم لا.. المهم الأجر.
قال بتلميح ما:
- بالإضافة لتكاليف سفرك وإقامتك، ستحصل على أجرك المتفق عليه مع كل عملية.
- الأجر المتفق عليه كان على عمليات داخل مصر.. الإسكندرية تحديدًا.
ابتسم قائلا:
- لا تكن طماعًا، محاولتك الاستغلال بأكبر قدر ممكن لن تجدي في هذه المرحلة، نحن ما زلنا في بداياتنا معًا.. أنت والمنظمة، وقد استجابت المنظمة لكل مطالبك حتى الآن، فأظهر بعض التعاون من فضلك.
كان مهذبًا واثقًا هادئًا، فاستجبت لكلامه لأنه كان - أيضًا - محقًّا..
وبدأت الطائرة مرحلة الهبوط في مطار قرطاج الدولي بتونس.

* * *

obeikandl.com

-٢-

لو أن لي الاختيار، لوددت الظهور في برنامج «العاشرة مساءً»، فأنا أعتقد أن منى الشاذلي هي الأكثر قدرة وكفاءة على محاورتي.. عمرو أديب كان سيسخر مني أو من مبادئي ومهنتي.. تامر أمين كان سيتحاذق أكثر مما ينبغي.. ومعتز الدمرداش كان سيفقدني التركيز بحركة شفتيه العجيبة عند التحدث.. أما هذا المذيع المستجد فلن يصمد أمامي عشر دقائق على الهواء!

مدة البرنامج نصف الساعة متصلة بلا فواصل إعلانية، وهي أطول مدة متوقعة قبل تدخل أي جهة أمنية لوقف البث أو القبض عليّ.. المنتج كان يعرف أن برنامجه معرض للتوقف بسبب ظهور شخص مثلي بحديث كالذي سأسرده، غير أن المنظمة كانت من السخاء الكافي لإقناعه بأنها ستتحمل الخسائر كاملة وستعاونه في الحصول على حقوق برنامج تليفزيوني آخر.. على الرغم من أن المتوقع ازدياد عدد المشاهدين ورفع قيمة بث الدعاية بعد هذه الحلقة مباشرة، وذلك في حال عدم حجب هذا البرنامج.

كانت شروط المنظمة قاسية؛ حيث سيبدأ البرنامج بفقرة تقليدية ثم مقدمة قصيرة أكون لحظتها قد وصلت الاستوديو وأن يصطحبني المخرج بنفسه من باب الاستوديو وحتى مقعد الضيف، ستكون الكاميرا لحظة جلوسي «زووم إن» على وجه المذيع، ويبدأ في توجيه الأسئلة بعد ترحيب مقتضب.

كنت أرتدي حلة أنيقة اشتريتها خصيصًا للبرنامج، وكانت المنظمة قد أجرت لي «بروفة» للبرنامج في مكتب المدير كي أتقبل التعامل مع مذيع وكاميرات وتوجيهات مخرج بشكل أسرع عند اللقاء الحقيقي على الهواء.

من طبيعة البرنامج أن يكون هناك جمهور مأجور يصفق ويحدث جلبة عند اللزوم لعمل «روح» وهمية للبرنامج، غير أن من شروط المنظمة عدم وجود هذا الجمهور في هذه الحلقة، وبالطبع لا اتصالات تليفونية.

كانت المنظمة تحاول تأميني ربما، أو تحاول تقليل عدد من يمكنهم التعرف علي لاحقًا، سأكون أكثر تأثيرًا على من يروننني في الواقع من قرب مما لو

obeikandl.com

رأوني على شاشة التليفزيون من منازلهم.. أو هي محاولة لإعطائي انطباعًا بالاهتمام، أو إعطاء القائمين على البرنامج انطباعًا بمدى قوتهم.. وربما أي سبب آخر أجهله حقًّا..

أنا أجهل سبب عمل مثل هذا اللقاء أصلاً.. خصوصًا أن المنظمة لم تُمْلِ علي أي إجابات لأقولها في البرنامج.. تركوا لي كامل الحرية في الرد حسب آرائي وقناعاتي الشخصية..

بدأ «تتر» البرنامج وقد وصلتُ مقر القناة بالفعل.. جلست في غرفة مغلقة معي أحد أفراد المنظمة نشاهد البرنامج على شاشة تليفزيون.. وفني من القناة يحاول تثبيت ميكروفون صغير في ملابسي..

ثم ظهر كلام يمر فوق شريط أحمر على الشاشة أمام الجمهور يحذر من اتخاذي قدوة!!

واستعددت لدخول الاستوديو..

* * *

سألني المذيع بعد تقدمة مقتضبة:

- هل أنت متزوج؟ هل لك أسرة؟

- كلا، فطبيعة عملي تفرض علي أن أكون انطوائيًّا قدر الإمكان.

- ما الذي جعل منك قاتلاً؟!

أجبت بسخرية حذرني المدير من استخدامها في البرنامج:

- كانت حياتي روتينية مملة، فقررت أن أصبح كذلك.. من باب الترويح عن النفس.

سألني المذيع بعبارة أخرى وكأنه يعلم مسبقًا أنني سأراوغ في الإجابة:

- لماذا اتجهت للقتل؟ كل قاتل له حكاية.

- لكسب العيش.. كنت قناصًا من أفراد القوات المسلحة في وقت ما،

obeikandl.com

واستخدمت هذه القدرة لكسب العيش فيما بعد..
كرر سؤاله من جديد بإصرار:
- ما السبب الحقيقي لاتجاهك نحو مهنة القتل؟
- ضابط مستهتر.. ولكنه كان مقنعًا.
- كيف كان الموقف؟ ماذا حدث بالضبط؟!
- أبلغتُ عن جريمة قتل.. سيارة صدمت شخصًا وسقط ميتًا، وفر قائدها.. اتجهت إلى قسم الشرطة وأبلغت، أمر الضابط بفتح محضر باستياء.. لم يعجبه أنني أبلغت.. وأخذ أقوالي بقرف شديد، شعرت أنه سيتقيأ لمجرد وجودي أمامه.. لم أتحمل تصرفاته طويلاً، وسألته بشكل مباشر «لماذا أنت مستاء مني؟ أنا لم أقتل الرجل».. قال بحدة: «ولماذا تبلغ عن قتله؟ مجرد شخص آخر مات.. انتهى عمره.. ما دخلك أنت ما دمت لم تقتله أو كنت أنت المقتول؟ رقم لن يؤثر في إجمالي الـ٨٠ مليون مواطن البلافائدة كلهم، ما دام أنه ليس أحمد زويل أو مجدي يعقوب فهو لن يفيد البشرية في شيء.. أليس كذلك؟».
كنت طوال الوقت أواجه المذيع، فقررت مواجهة الكاميرا وأنا أكمل:
- أقنعني كلامه، وعرضت عليه إلغاء المحضر.. ووافق بسعادة.. هل تدري، بعد يومين قرأت في الصحف عن الحادث، في نفس المكان الذي حضرت واقعته فيه.. لقد كان صحفيًّا وعلى وشك إفشاء فضائح بعض الكبار..
واستطردت:
- عملية القتل كانت مدبرة، والهروب كذلك.. وضابط الشرطة في «النوبتجية» كان على علم مسبق بها.. في الحقيقة كان حدثًا فارقًا في حياتي؛ لأنه غيَّر طريقتي في التفكير.. بل وطريقتي في الحياة ذاتها..
وجّه سؤالا آخر:
- باعتبارك شخصًا وحيدًا.. انطوائيًّا نظرًا لظروف مهنتك.. كيف تحتفل بعد نجاحك في كل مهمة قتل؟

- أشتري بعض الحلوى.. أقف أمام المرآة.. أهنئ نفسي.. أصفق لنفسي.. ثم أتناول الحلوى.

سأل باستفزاز، في محاولة لجذب الجمهور أكثر:

- هل ترى أنه من الإنسانية أن تقتل؟ أن تقضي على روح بريئة؟ بل وأن تحتفل بقضائك على روح بريئة؟!

أخذت الكرة في ملعبي وقلت:

- ماذا تعني الإنسانية؟ الحفاظ على روح إنسان أو راحته أو صحته! ماذا يضير الإنسانية موت شخص.. أو مذبحة جماعية لقرية.. أو فناء مدينة؟ في النهاية كل هذه مجرد أرقام في إحصائية.. عدد نسمات قد يقل في مكان ما للحظة ما، لكنه في المجمل، وعلى مستوى العالم كله، يزيد طوال الوقت دون توقف أو تراخٍ.. إذًا، الإنسانية هي الحفاظ على وجود البشرية، وراحتها، وصحتها.. التعريف في المجمل ككل، لا لكل فرد على حدة.

كان يبادل بين كروت الأسئلة في يده بينما أجيبه ليجد سؤالاً يناسب سير الحوار، ولما استقر على واحد سألنيه:

- هل ترى المرحلة القادمة هي مرحلة القتلة المحترفين؟

- زمن القتل هو النتاج الطبيعي لعصور البلطجة، الذي جاء بعد زمن الإرهاب الذي تلي عصر الفتوات؛ حيث الجميع فوق القانون. في عصر البلطجة كانت الحكومة تمنع الناس من الانتخاب باستخدام العنف عن طريق «المسجلين خطر» في أقسام الشرطة.. كل «البكوات» لا تسحب رخص قياداتهم، ويُسجن اللصوص الكبار في سجون «خمس نجوم».. بدأ ذلك منذ عقدين أو أقل، لكن العالم يتغير في لحظة.

- أنت لست كما تبدو.. أنت تحاول تبرير كونك قاتلاً طوال الوقت؛ لأنك لا تحب أن تكون قاتلاً على الإطلاق.. تحاول إقناع نفسك بأنك على صواب، وأنت في داخلك تدرك خطأ ما تفعله.

- هذه سفسطة لا طائل منها.

بعض الأسئلة كانت من دماغه في رأيي، ولا أدري إن كانت الأسئلة في البطاقات التي يحملها بتوجيه من المنظمة أم مُعدِّي البرنامج.. سألني من بطاقة:

- ما رؤيتك للمستقبل بوصفك قاتلاً محترفًا؟

- الحرب العالمية الثالثة قادمة لا محالة، ولكنها ستكون أهون من الحرب الأهلية الموشكة على الاندلاع هنا في مصر.. أنت تعرف الجوع.. الفقر.. العشوائيات.. التعليم الفاشل.. التطرف الديني وعمليات غسل المخ.. التطلع، كل شخص يريد أن يصبح هشام طلعت مصطفى في ثرائه أو أحمد عز في نفوذه أو نور الشريف في شهرته أو محمد أبو تريكة في شعبيته.. كلهم ليست لديهم أي معطيات ليصبحوا مثل كل هؤلاء، لكن الجميع يحاولون بشتى السبل.. تخيل أن لا أحد يفكر في أن يصبح وزيرًا أو رئيس جمهورية؟!

- هل تقوم بعمل دراسات اجتماعية على الناس؟!

- نعم، ولكن ليس بشكل أكاديمي، طبيعة عملي تقتضي معرفة ظروف السوق.. والسوق هو الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمصريين.

هذا جهد فوق المعتاد، الفواصل الإعلانية مريحة فعلاً للضيوف قبل المشاهدين.. سألني من بطاقة:

- ألم تفكر في العمل خارج مصر؟

- يصعب التأقلم ومعرفة الظروف المجتمعية لشعب آخر غير الذي أعيش بين أفراده.

سألني ببراءة وبساطة مصطنعتين مستفزتين حقًّا:

- ألا تعتبر نفسك خائنًا؟

- ولِمَ؟

- لأنك تعيش وسط شعب يأمن لك وأنت تقتل أفراده؟

- كلا لست خائنًا، وإلا أصبح المسئولون الكبار خائنين.. ما داموا لم يحاسبهم أحد فهم ليسوا خائنين.. عندما سرطنوا الشعب وأتلفوا أكباده وقتلوه

obeikandi.com

كمدا على الموتى في قضايا أكياس الدم الملوثة وحوادث القطارات والعبَّارات والطائرات وحوادث الطرق، فأنا حقًّا ملاك!

ضحك المذيع بعد أن كان يضيِّق عينيه لمسمع كلامي، ثم قال:

- سؤال آخر..

انتظرت سؤاله الآخر وهو ينظر مواجهًا الكاميرا، ويعدل من وضع السماعة في أذنه، تلك التي يتحدث إليه عبرها مخرج البرنامج، ثم سألني بابتسامة بدت لي وقحة:

- ألا ترى أنك مجرم؟!

obeikandl.com

-٣-

«ديك في غرفة لها نافذتان.. من إحدى النافذتين ترى رأس الديك لأعلى ورجليه أسفل.. ومن النافذة الأخرى ترى رجلي الديك لأسفل ورأسه لأعلى.. فكيف ذلك؟!».

كذا وجدت - بحروف مطبوعة - في مظروف صغير على مرآة غرفة النوم بالفندق، ما زالت الألغاز تثيرهم بشكل أو آخر.. ولكن لِمَ؟

ما الحاجة إلى ألغاز أخرى بعد أن اتضحت كل الأمور؟ انتهى بيننا عصر التلاعب واللف والدوران ونالوا مرادهم، وها أنا أتعاون معهم..

كان اللغز مذيَّلا برقم هاتف لإرسال الرد عليه والدخول في سحب..

أية جهة تلك التي ترسل لنزلاء الفندق ألغازًا يدخلون عليها سحبًا ليربحوا شيئًا ما؟!

إما الفندق نفسه، لو خلصت النية في هذا اللغز، أو المنظمة كعهدي بها.. وهو الاحتمال الأرجح على كل حال.

تجاهلت اللغز وقررت الخروج إلى الشرفة قليلاً، رؤية البلد والناس..

مراجعة كلام السائق عن الوجوم والكمون والاستسلام للواقع..

ومن ثم الخلود للنوم..

* * *

«ذكرياتك في مكان ما أو مع شخص ما ليست مكتملة كلها في عقلك.. جزء منها متروك في ذلك المكان أو مع ذلك الشخص.. عندما توجد في المكان أو تقابل الشخص، يتم اتصال الجزأين من الذكريات ليظهرا في خيالك بشكل جلي.. وذكريات القتل ليست من الأمور المحبب للشخص أن يتعرض لها كثيرًا، لذا ستقوم بأغلب مهامك في أماكن لن تزورها أو توجد فيها كثيرًا بعد ذلك..

لن ندعك تقتل أشخاصًا على كورنيش الإسكندرية، كلما مررت من نفس المكان تذكرت الحادث..

obeikandl.com

على الأقل ليس في هذه المرحلة المبكرة قبل الاحتراف، فهذا سيسبب لك الخبل، وعقلك أهم ما يميزك كما تعلم..

العقل هو أهم ما يميز كل بني آدم بشكل عام».

بدأت أعدّ الصبي لرحيلي، وللاعتماد على نفسه في غيابي..

بدا الأمر مبهمًا بالنسبة له، شخص ينتشله من الشوارع ويصر على الاعتناء به وتدريبه على القتل، شخص يصر على منعه من العودة إلى الشوارع مرة أخرى، وفجأة يؤهله لأن يكون وحيدًا!

لا الشخص مستمر، ولا الفتى يمكنه العودة إلى الشارع..

هل انتهت فترة التدريبات؟

هل فقد الأمل في تدريبي؟

هل هو في خطر ما ويحاول الهرب؟

هذا ما أظنه جال بخاطر الصبي، وربما فكر بغيره.. ولكن لا يمكنني شرح السبب الحقيقي لتركه في هذه المرحلة، وإن كنت أظنه قادرًا الآن على الاعتناء بشئونه..

لا أعرف كيف سيحيا.. ماذا سيعمل لينفق.. ولكنني أعتقد أنه سيعود للتسول من جديد، فهذا ما يجيد..

أو ربما هو سيقتل، فقد زرعت فيه البذرة، ونَمَت قليلاً، وفي مرحلته العمرية هذه ربما سيجرب المخاطرة.. فليكن القتل هو اختياره إذًا..

قلت له:

- لن تسمع خلاصة الحياة هذه من أي شخص آخر، ولن تجدها منشورة في أي مكان.. لذا عليك استيعابها جيدًا والعمل بها لأنني لن أكررها مرة أخرى أبدًا.. «الذكريات تسحبنا للخلف.. الطموح يدفعنا للأمام.. الانتقام يفقدنا الشعور بالزمن»، لذا عليك التخلص من الذكريات والرغبة في الانتقام طوال الوقت، وتكتفي بالطموح دائمًا.. الطموح المقنن لا المطلق، أظن أن الكلام سهل على استيعابك، ولو أنه ليس كذلك فلا ترهق نفسك بالتفكير في مغزاه

obeikandl.com

الآن، فقط سيأتي اليوم الذي تعرف ما تعنيه حكمة الحياة هذه.
تركت ورقة فيها حكمة أخيرة أظنها ستفيده في يوم ما..
«ليست الأمور التي تراها في حياتك تكون على ما هي عليه، بل هي تبدو كذلك فقط.. في العادة».
كمّ كثير من النصائح والتعليمات في وقت وجيز، سن الولد وتجربته الحياتية لا تؤهلانه لفهم واستيعاب كل ما أمليه عليه، ولكنني أعتمد على ذاكرته التي هي كالنقش على الحجر.. يومًا ما سيتذكر كل كلمة ويدرك مغزاها.. يومًا ما ستنقذه كلماتي من خطر محدق أو تنير بصيرته لمستقبل غامض..
هذه خلاصة تجاربي في الحياة حتى الآن..
حياة القتل..
وما زلت أتوق للمزيد..
المزيد من الحكمة!

* * *

عادة تكمن الخدعة في صيغة السؤال نفسه.. صاحب اللغز يعطيك الإجابة وعليك أن تلحظها لا أكثر..
كان عقلي يعمل في أثناء النوم، شغلني موضوع اللغز أكثر من أي شيء آخر، أكثر حتى من مهمة القتل نفسها؛ لأن اللغز في حد ذاته لغز فعلاً!
من وضعه هنا؟ لم وضعه هنا؟ ماذا علي أن أفعل حياله.. هل أبحث عن حله؟ هل أتجاهله؟ ماذا لو بحثت عن الحل وفشلت؟
لن أفشل حتمًا.. من وضع اللغز يعرف أنني لن أفشل..
من يعرف أنني لن أفشل في حل اللغز هو الشخص.. والشخص يتبع المنظمة..
إذًا هي المنظمة؛ لأن الشخص مات..
أو أن الشخص لم يمت!!

obeikandl.com

للمرة الثالثة لم يمت!!

ولما انتصر اللغز على عقلي نهضت، وبعينين نصف مغمضتين أعدت قراءة اللغز مرة أخرى محاولاً إيجاد الحل، وبالفعل كان الحل موجودًا بيسر..

فقط يجب أن ألاحظ..

وأنا أتميز بأنني ألاحظ..

وحده الشخص يعرف ذلك بثقة!

* * *

«أيها الصبي، يجب ألا تتزعزع ثقتك بنفسك، عندما تكون الصح الوحيد وسط قدْر هائل من الخطأ».

obeikandl.com

-٤-

كان سؤالا صلفا، ورغم ذلك أجبت ببساطة:

- القاتل المأجور ليس سارق سيارات أو هجام على البيوت.. بل هو شخص يجيد التفكير والتخطيط والاستفادة من الظروف المحيطة، ولديه بعض المهارات اللازمة لعملية القتل.. مثل التصويب الجيد، واستخدام الأسلحة، وبعض اللياقة البدنية.

ثم استطردت:

- كل دولة لها قتلتها عن طريق أجهزة مخابراتها وأجهزة أمنها عمومًا.. مثلاً عندما يصبح لدولة فلسطين قتلة في كل أنحاء العالم يتخلصون من أعدائها المؤيدين لإسرائيل، ألا ترى أن ذلك قد يكون مفيدًا بشكل ما، هل ترى أولئك القتلة مجرمين؟!

منذ عشرات السنوات لم نخض حربًا ضد أي دولة، ورغم ذلك هل تعرف كم فردًا مات في حروب ضد فرقة مكافحة الشغب مثلاً؟

إن ما يفعله المصريون ببعضهم أسوأ مما يفعله بهم المعتدون الأجانب.. في النهاية لا تخبرني أن القتل أمر سيئ يستوجب العقاب من فضلك.

الذين يدخنون يقتلون أنفسهم ببطء.. يقتلون أنفسهم على مراحل.. سعال.. ذبحة صدرية.. تغيير شريان أو تركيب دعامة.. إلخ، ورغم ذلك توفر لهم الحكومة التبغ وتسمح لهم بتصنيع الشيشة وتحصِّل منهم الضرائب على ذلك، من ثم تحذرهم من مضار التدخين!!

- هل تلمح إلى شيء؟

- الحكومة تريد موت الناس.. هذه واحدة من سياساتها الحكيمة لتحديد النسل.. أو القضاء على النسل!

- هذا كلام شائك.

- اللعبة من بدايتها شائكة يا سيدي.

سألني:

obeikandi.com

- هل هذه مبرراتك للقتل؟
- بل هي مبرراتي للحياة!
اعترض الشاب قائلاً:
- هذه ليست حلقة عن أمور سياسية.
- ما أحكيه ليس بسياسة، ولكنه قتل.. القتل يتم تحت الكثير من المظلات، وله ملايين المبررات، ولكن له حقيقة واحدة فقط.. النقود، وهو في النهاية لا يدّعي أنه غير «قتل».
وكأنه وجدها فرصة مناسبة للتحدث عن السياسة، أظنه لم يفهم أنني لم أقصد السياسة، سألني:
- ما رأيك في قضايا الشرق الأوسط الكبير، وأزمة خروج أمريكا من العراق وأفغانستان؟
أجبته بعصبية:
- أنتم تتعاملون مع الضيوف باعتبارهم خبراء زمانهم في كل مجال.. تستضيفون ممثلاً أو لاعب كرة وتسألونه في أمور سياسية أو اقتصادية لا قبل له بها، مهما كانت ثقافته فهو غير متخصص.. تستضيفون قاتلاً محترفًا فتسألونه عن الشرق الأوسط الكبير وأفغانستان؟! أرى أن تراعوا العمل في برامجكم بشكل أفضل من ذلك.
سألني وهو ينظر إلى الكاميرا مغيرًا مجرى الحوار:
- هل يمكنك أن تقتل من أجل الخير؟
- ماذا تعني؟!
- أن تقتل الأشخاص السيئين.. الفاسدين، اللصوص، المرتشين، الـ.. القتلة! لماذا لا تقتل لصالح المجتمع؟
أجبت بسخرية:
- أنا بالفعل أقتل لصالح المجتمع.. أنا أعمل على حفظ التوازن البيئي في المجتمع، أنت تعرف كمّ المواليد المتزايد كل يوم في بلدنا والعالم كله.

obeikandl.com

قال موضحًا:
- ليس هذا ما عنيته.. أعني أن تتخلص من الفاسدين.. المحتكرين للسلع الذين يتحكمون في رفع أسعارها.. المقترضين الذين يسرقون أموال الناس من البنوك ويهربون.. المستوردين الذين يجلبون بضاعات قليلة الجودة واستغلال حاجة الناس لها.
- هذه تعبيرات جوفاء كلها.. أوهام لفظية تصنعها الحكومة لينشغل بها الشعب عنها، حتى لو كان لها أساس من الوجود والحقيقة.. هناك أجهزة دولة لها دور لا تؤديه في كل هذا، لا تؤديه بالمرة!
قال بنفاد صبر:
- ما دمت مُصرًّا على أن تمتهن القتل، فلتقتل من أجل الخير إذًا.
ابتسمت بسخرية وأنا أجيب:
- أنا بالفعل أقتل من أجل الخير، فأعداد البشر المتزايدة كل يوم يقابلها نقصان نسبي كل حين، كي يستمر التوازين البيئي.. أوضحت هذا منذ قليل.
نظر إلي دون أن يتحدث، فقلت محافظًا على الابتسامة ذاتها:
- لا يهمني سمات الهدف، ما دمت أحصل على المقابل المناسب لذلك، وما تطلبه مني لا يدر قرشًا صدقني.
- حتى الأشرار تقتلهم مقابل النقود؟ ألا تسهم في إصلاح المجتمع؟
- أنا أفعل ذلك، أسهم في إصلاح المجتمع، ولكن بمقابل.. كل وزير أو مسئول يسعى إلى إصلاح وتنمية المجتمع، وهو يتقاضى أجره عن ذلك.
فكر لحظة ثم سألني:
- هل يمكنك أن تقتل وزيرًا؟
- يمكنني أن أقتل رئيسًا.. ولكن كما أخبرتك، بمقابل مناسب، وتجهيزات مناسبة بالطبع.. اسمع، سأوضح لك الأمر باختصار.. كل جريمة تحدث في الحياة، سببها النقود على المستوى الفردي، والاقتصاد على المستوى الدولي والعالمي.. القتل يكون عن طريق التلاعب بالعقول والأفكار والقناعات

وحتى الأديان.. حث دولة على مقاتلة أخرى.. اذكر أي جريمة عظيمة أو تافهة، ستجد أن النقود هي السبب الرئيسي فيها.

شعرت بتوتر وجلبة ناحية الكواليس، ولكنني تجاهلت ذلك واستطردت:

- لماذا يضعون عسكري أمن يتبع وزارة الداخلية لكل كنيسة؟ لو أن الكنائس بها خزائن مليئة بالنقود فلتستأجر أمنًا خاصًا كما تفعل الشركات كلها.. الكنائس ثرية ويمكنها تحمل تكاليف تلك الحراسة الخاصة. حسنًا، لماذا لا يضعون عسكريًّا عند كل مسجد لحراسته؟ ألا تستحق المساجد الحراسة كالكنائس؟ صدقني إنهم يلعبون لعبة كبيرة اسمها إثارة الفتنة الطائفية في مصر، ولسوف تنجح هذه اللعبة على المدى البعيد.

- هذه أمور لها غرض السيطرة من دول أخرى.

- بل من نفس الدولة صدقني، والسيطرة في النهاية للحصول على نقود بشكل أو بآخر..

- أنت تتبنى نظرية المؤامرة الداخلية إذًا.

قلت مكملا:

- ماذا عن تواريخ انتهاء الصلاحية التي يتم تغييرها ليموت الناس مسمومين؟ الطعام المسرطن والمواد الحافظة القاتلة والهندسة الوراثية التي تخلق أشياء لا يعترف بها الجسد؟ من حاسب كل هؤلاء وأوقف تلك المهازل في حق الموتى والموشكين على الموت؟! من حاسب المنفذين لكل ذلك من الداخل، لو أن المؤامرة خارجية؟!

نظر إلي مندهشًا، فاستطردت:

- المحتكرون الذين أتيت على ذكرهم مثلاً، هم رجال أعمال كبار لهم علاقات مع سياسيين كبار في الدولة.. هناك قوانين تمنع الاحتكار وتعاقب المحتكرين، لكن لا أحد يطبقها عليهم.. علاقات هؤلاء المحتكرين بالحكومة تجعلهم فوق القانون.. إذًا العيب أساسًا في الحكومة التي لا تطبق القانون على الجميع سواسية.. أما مسألة المقترضين فهم لم يسرقوا أموال أي شخص؛ لأن

obeikandi.com

المودعين مضمونة نقودهم لدى البنوك، وهذه الأموال لو بقيت في البنوك فلن ينتفع بها أحد من هؤلاء المودعين.. دعك من مسألة رفع نسبة العائد وهذه الأمور السخيفة، البنوك تخلت عن دورها الرئيسي في تنمية المجتمع واستثمار النقود لتصبح مجرد حصالة كبيرة تحتاج مصاريف ورسومًا لا أكثر.. الذين سرقوا النقود فعلوا ذلك بمعرفة المديرين الكبار في البنوك، المديرين الذين عينتهم الحكومة في مناصبهم.. هؤلاء صنعتهم الحكومة لتفعيل كلمة «احتكار» فينشغل الناس حول محور هذه المفردة، قس على ذلك جميع الأمور.

قال بفقدان أمل مشوب بسخرية:

- أعانك الله إذًا على فعل الشر.. من أجل الخير!

* * *

obeikandl.com

-٥-

جذبني التفكير من جديد إلى ذلك الصبي الذي تركته في مصر، كنت قد وعدته بعملية قتل، وقمت بالإعداد لها..

التاريخ يخلِّد الأبطال ويــزدري الأوغــاد.. فالتاريخ بطبعه لا يذكر «الكومبارسات» في الأحداث..

والفتاة الشقراء مجرد «كومبارس»، كينونتها ومشكلتها مع الانتقام ودورها الهامشي الذي اختارت ممارسته في الحياة خلق منها «كومبارسًا»..

وهي مريبة كذلك، وجودها الغامض في المطعم أيام لقاءاتي بالشخص.. إخفاؤها الأمر قبل أن أواجهها به، ربط عملية قتل قديمة لي بالأمر برابط واهٍ..

هي تستحق القتل فعلاً..

أما الصبي فسيصبح بطلاً.. لذا فالبداية هي التدرب على قتل «الكومبارس» المريبة للتخلص منها كمرحلة وسطى في صناعة البطل..

في الزيارة الأخيرة عندما جاءتني، وبعد أن ألحت مرارًا، وعدتها بعملية قتل فعلاً.. لذا فلا يصح أن لا أفي بوعدي!

* * *

رغم دقة ملاحظتي التي أتكئ عليها، إذ أشعر أن مهارتي قد ازدادت أكثر، ألاحظ بدقة أكبر، غير أنني ألاحظ نفسي بصعوبة في تصرفاتي المختلفة، شخصيتي يبدو أنها تتغير.. لا أدري إن كنت هكذا من قبل وأن الفرصة لم تسنح لظهور تلك الصفات التي ألاحظها حديثًا، أو أن شخصيتي تتغير بالفعل!

طوال الوقت كنت أطور من نفسي، لكن منذ ظهور الشخص في حياتي وحتى اللقاء التليفزيوني الخطير الذي أجريته حصلت طفرة لم أكن أتوقعها فيّ..

obeikandl.com

هذه هي الإجابة إذًا، البرنامج!
وعلى الرغم من هذا التطور، فإنه لا بد من قاتل آخر يقوم بالتصويب وقتل الشخص الثاني في الوقت نفسه، من زاوية أخرى.. لا يمكنني القيام بشخصين في الوقت نفسه دون أن يلاحظوا ويتحركوا بسرعة..
ولا يوجد شخص آخر معي لتنفيذ المهمة..
لم أعتد اغتيال شخصيتين في آن واحد..
لذا لا بد من إخبار المدير إذًا، أنا بحاجة لشخص آخر.. فقط أتعشم ألا يرسلوا الفتاة..
فالفتاة لا بد أنها قُتلت بالفعل!!
أي فتاة تلك تريد أن تصبح قاتلة مأجورة؟ ما نوع الملابس التي سترتديها عند تنفيذ مهمة؟ تنورة زهرية؟! وما هي الملصقات التي ستضعها على بندقيتها؟! «باربي»؟!
إنها حقًّا فتاة سخيفة تستحق القتل.
قال لي المدير ضمن ما قاله في لقائنا الأخير قبل السفر:
- أي حاكم لا يمكنه ممارسة الحكم منفردًا، لا بد من مستشارين ومقربين.. «شلة».. سنقضي على «شلة» كل الحكام المسيئين للوضع الآمن العربي، خصوصًا المصري.. ستصل الرسالة بعد ثاني أو ثالث شخص للجميع، فيوفرون علينا الاستمرار على هذا المنوال، فننتقل إلى أسلوب آخر.
لدينا خبراء ومحللون يعرفون مدى تأثير كل شخص على قرارات كل رئيس، وجدوى تلك القرارات ومدى الضرر أو النفع العائد منها على المجتمعات..
أمن مصر ليس من داخلها فقط، بل من الخارج أيضًا.. المتربصون كثيرون، والخونة كثيرون.. وهذا الشعب يستحق الأفضل..
أنت جزء من كل هذا، الشبكة كبيرة ويمسك خيوطها خبراء في الإدارة والسياسة والتاريخ والاقتصاد.. إنه شرف لك أن تكون ترسًا في تلك الآلة المنتجة عالية الجودة.

بعد أن أوضح هدف المنظمة التي ينتمي لها، سألني بهدوئه:
- ألم تفشل في مهمة قتل من قبل؟
ابتسمت رادًا بسخرية:
- نحن ننشد الكمال، وليس علينا إدراكه.
- يا لك من حكيم.
قلت بتهكم:
- أنتم تراقبون وتعاقبون وتخططون وتقتلون من أجل الصالح العام للوطن العربي، لذا فعلي الاجتهاد حتمًا.
- عندما تمسك سلاحًا وتقتل شخصًا يهدد أمن وطنك.. عندما تطعن متسللاً يحاول إيذاء أسرتك.. عندما تحكم بالإعدام على شخص خان البلاد.. ألا ترى في كل ذلك قتلاً يراد به الخير؟ كل هذا لا يختلف عن مخططنا لإصلاح الأمور وجعلها كما ينبغي لها أن تكون.
اتصلت بالوسيط في تونس المسئول عن توفير كل شيء أريده، وأخبرته بأن على المدير الاتصال بي فورًا لأمر هام.. هناك تعديل في الخطة الرئيسية..
بعد لحظات رن جرس هاتف الغرفة بالفندق، وسمعت صوته.. قال:
- لم أتوقع أنك بتلك الثقافة والاطلاع على مجريات الأمور في الوطن.
- أنا سعيد أن أبهرتك.
ضحك ثم سألني:
- لماذا لا تقتل من أجل أهداف نبيلة إذًا؟
- لقد أوضحت هذا في البرنامج، كما سبق وتحدثنا في هذا الشأن.. أنبل الأهداف هي النقود.. حين تأتي لحظة العجز أو لحظة المعاش فلا بد أن يكون هناك ما ادخرته لأكمل بقية حياتي منه..
- قد تموت في أي لحظة، خصوصًا مع مهنة خطرة كمهنتك معرض فيها للقتل في كل لحظة..
- لا بأس حينها، لا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها.. أما لو حدث العكس

وعشت عمرًا مديدًا فلا يصح أن أندم على أن قصّرت تجاه نفسي في شبابي وصحتي.. ألا ترى ذلك؟

- كلام حق يراد به باطل..

سألته متعجبًا:

- أي باطل هذا؟ أنت استأجرتني لكي أقتل..

- أنا استأجرتك من أجل أهداف نبيلة للوطن العربي كله.

رددت له الكرة:

- كلام حق يراد به باطل..

ثم استطردت:

- لن أدعي التفاخر، أنا مجرد قاتل محترف.. لم أرقَ لطبقة السفاحين، ولم أتدنَ لدرجة القتلة الهمجيين.. لدرجة الإرهابيين أصحاب الهدف النموذجي الذي هو أصلا مجرد خديعة وضعها أحدهم في خيالاتهم.. أنا قاتل محترف.. أعمل وأحيا كقاتل محترف.. لا شيء آخر.

- لهذه المقدمة علاقة بتعديل في الخطة الرئيسية، أليس كذلك؟!

- بلى.. هو كذلك.

obeikandl.com

«هراء.. وحتى لو صحت هذه النظرية، فما الضير؟».

كذا رددت على كلام المذيع حين قال:

- عندما تقتل جسد الشخص فأنت تقتل معه روحك.. كل مرة تقتل فيها شخصًا تقتل فيها روحك أنت.

فأكمل حواره قائلاً:

- كائن بلا روح هو كصخرة.. أو كآلة.. آلة قتل.. لم يعد بشرًا.

- ليكن، أنا لست بشرًا، ما الضير إذًا؟ أنا سعيد بهذه الحياة ومتأقلم معها.

ثم استطردت موضحًا:

- قد تقابل شخصًا يسعى لتدمير نفسه.. أو وطنه.. أو العالَم.. دون سبب على الإطلاق، صدقني هذا شخص متوائم مع نفسه ويستحق التشجيع، بعد أن امتلأت الشوارع بمصابي الفصام.

سألني:

- ما دمنا نتحدث إلى قاتل محترف، فلا بد من التحدث عن الأسلحة.. ماذا تستخدم من أنواع الأسلحة؟

- أجيد استخدام كل الأسلحة، ولكن هناك نوع معين من المسدسات أفضله.

- من أي ماركة تجارية مسدسك؟

- أحب الاحتفاظ بهذه المعلومة لنفسي، بعض أسرار المهنة لا يمكن أن تفشيها.. أليس كذلك؟

- ليكن، ماذا يمكنك أن تخبر به الجمهور عن الأسلحة عمومًا، ولا يعد من أسرار مهنتك؟

التقطت نفسًا لأفكر لحظة فيما علي إخراجه من جعبتي، ثم قلت:

- أنت تعلم أن هناك شركات أسلحة في دول ذات مصالح، تخلق حروبًا لترويج الأسلحة التي تصنعها وتجني أرباحًا.. هناك شركات أدوية وأشخاص ذوو مصالح ينشرون فيروسات مميتة ليروجوا لقاحاتها ويجنون أرباحًا..

obeikandl.com

شركات منظفات صناعية تنشر أبحاثا علمية وهمية عن ثقب أوزون خيالي لتروج سلعًا «صديقة للبيئة»، وتجني أرباحًا.. نحن نصدق إشاعة مستوردة أكدتها الحكومة المحلية بأن هناك ثقب في الأوزون، لنحيا في توتر وقلق جراء ذلك الثقب..

أكملت وأنا أرى عيني المذيع متسعتين:

- شركات السجائر وتجار المخدرات الذين تغض الحكومات أبصارها عنهم ليروجوا سمومهم ويقتلوا الناس ببطء.. ثم يجنون أرباحًا.. كل شيء وكل شخص يسعى لقتل فرد ما في مكان ما.. كل هؤلاء لا تحاسبهم أي جهة، بل تتعاون معهم كل الجهات، فلماذا تحاسبون قاتلاً قرر أن يكون واضحًا مع نفسه دون مواربة؟!

قال المذيع بعد أن انتبه إلى انتهائي من الكلام:

- إدراكك لكل هذه المبررات يعني أنك غير راضٍ عن نفسك ولا عن مهنتك.. أنت تصارع الطبيعة بمنطق وهمي تظنه عقلانيًّا وبديهيًّا، أنت بحاجة لعلاج نفسي.. صدقني.

ابتسمت قائلاً بسخرية:

- وأنت بحاجة إلى رصاصة.. صدقني أنا.

ارتبك المذيع وهو ينظر إلى ما خلف الكاميرا ويسند سماعة الأذن التي يتلقى بها تعليمات المخرج، فباغتته قائلاً:

- أنت أيضًا بداخلك رغبة في القتل.. كل شخص يرغب في التخلص من شخص ما في حياته يقف عقبة في طريقه أو انتقامًا لأذى تسبب فيه.

زاد ارتباكه أمام التهمة الموجهة إليه مباشرة قبل أن يتمالك نفسه من جديد ويقول متجاهلاً كلامي ليغير مجرى الحديث:

- ماذا لو أن حياتك أنت في خطر وأن هناك من سيقتلك، أما كنت تتمنى أن يهتم لك شخص ويحاول إنقاذك؟!

- بالطبع.. أن يهتم أي شخص بشخص آخر لهو شيء رائع، مشاعر إنسانية

obeikandi.com

جيدة تعني أنك - إلى حد ما - لست وحيدًا.. لكن أن يحاول إنقاذي معرضًا نفسه لخطر! لا تصل الأمور إلى ذلك الحد.. يكفي أن أعرف أن هناك من سيذرف دمعتين بعد وفاتي لأموت سعيدًا..

- يا لك من قنوع.

- صدقني، العالم يتجه نحو الأسوأ.. أن تقتل شخصًا لهو تعبير رائع عن محبتك له، خاصة أن كنت لا تعرفه مسبقًا.

- هل تقتل زوجتك أو أطفالك - لو أن لك زوجة وأطفالاً - لأنك تحبهم؟

- حدث بالفعل*، لن أكون صاحب السابقة الأولى في هذا الشأن.

قال:

- سؤال أخير..

تطلعت إلى سؤاله الأخير بصبر نافد؛ لأن الجهد المبذول أصبح فوق احتمالي، فعدّل من سماعته ثم قال بحذق:

- أما ترغب في سماع نتيجة التحليل النفسي لشخصية القاتل في هذا البرنامج؟

- تحليل نفسي؟!

- لا تقلق، إنها من سمات البرنامج لسبر أغوار الضيف ومعرفة مدى صدقه ومدى قناعته بإجاباته.

لم أعلق، وانتظرت نتيجة هذا التحليل النفسي بفتور، ولدهشتي كانت النتيجة مخيبة لآمالي حقًّا.. قال شخص مختفٍ في مكان ما عبر مكبرات صوت يسمعه عبرها الجميع في الاستوديو:

- ضيف اليوم شخص يمتهن مهنة صعبة من نواحٍ عدة.. فهي ضد الأديان والأعراف والإنسانية؛ لذا فهو يخلق لنفسه مبررات كثيرة للتعايش والتكيف معها.. وهي صعبة من حيث الإعداد؛ لأنها تحتاج كثيرًا من متابعة الهدف وانتقاء لحظة مناسبة لقتله.. وهي صعبة من حيث التنفيذ؛ فخالق الروح هو الأولى بها، والقاتل يسرق واحدة من صفات الألوهية، لذا فهو يتعذب لفصل روح لا يملكها عن جسد صاحبها، ويشعر بتأنيب ضمير معظم الوقت،

obeikandl.com

لكن مع التكرار أصبح يتآلف مع واقع كهذا إلى حد كبير.. وهي صعبة لأنها تعزله عن المجتمع، لا أصدقاء ولا زوجة ولا أبناء..

لذا نجد ضيف اليوم بحاجة لعلاج نفسي مكثف، وعزل كلي مؤقت عن المجتمع، ثم إيجاد مهنة أخرى تدر ربحًا وفيرًا يعوضه مهنة القتل وتمكنه من التعايش مع مجتمع له تقاليده وعاداته التي لا بد أن يندمج فيهما.

انتهى الصوت من سرد هرائه، فنظر إلي المذيع وسألني مبتسما ابتسامة النصر:

- ما رأيك في تحليل خبيرنا النفسي؟

- محلل ساذج لجمهور متشوق؛ إنه يستخدم مدرسة واحدة من مدارس علم النفس، مدرسة لا تنطبق إحداثياتها على مجتمعنا الشرقي بالمرة، أحمق يستحق رصاصة هو الآخر.. أنا لا أذهب للكشف عند الطبيب ثم أخرج من عيادته مخلفًا جثته ورائي.. لا أستمتع بالقتل، هو مجرد عمل أقوم به.. كل تلك المبررات التي أقنع نفسي بها ليست أكثر من محاولة لجعل المهنة عادية كأي مهنة أخرى.. كمدير للتسويق مثلاً.. لا أحد يرفع حاجبيه ويفرج شفتيه انبهارًا عندما تخبره أنك مدير للتسويق في شركة كذا، ربما يحدث هذا عندما يقابل ضابط مخابرات أو قاتلاً مأجورًا، لذا تجد هذين الصنفين يتظاهران بالعمل في مهن أخرى.

استمر اللقاء ٤٠ دقيقة، لقد صمد المذيع معي أكثر من «عشر دقائق» التي كنت أتوقعها، بل استمرت بنا الحلقة دون فواصل لمدة أربعين دقيقة.. وهو رقم خرافي لم يحدث منذ سنوات في أي قناة تليفزيونية في العالم!

أشفق على هذا المذيع، فهو بحاجة لتأهيل نفسي مكثف بعد هذه الحلقة حتمًا..

وبالطبع كنت قد دخلت من دون عكازي، وإلا فلن يصدق مشاهد حرفًا واحدًا عن قاتل محترف يسير بعكاز!

ثم نهضت وخطوت بضع خطوات إلى خارج الاستوديو، واستندت على

obeikandi.com

عكازي من جديد خارجًا من مبنى القناة إلى السيارة التي جلبتني لتقلني إلى المطار..

obeikandl.com

-٧-

«ربما أصابتك الوحدة والانعزال بفتور الرغبة في التطلع والطموح!
قلت: هذه رفاهية لم تمر عليّ.. أنا لا أعاني أزمات الوحدة والانعزال في حياتي».

* * *

في قطار الذهاب من الإسكندرية إلى القاهرة لإجراء الحوار في البرنامج، كان ذلك الرجل الغامض على الكرسي المقابل بالدرجة الأولى منهمكًا بالقراءة في كتاب بدا مهمًا.. مهمًا لأن على الغلاف صورة كبيرة للنسر المميز لعلم مصر..
بعد مضي القطار في طريقه وامتلاء الكون بصوت المحرك المزعج، أو ربما هو صوت احتكاك عجلاته الحديدية بالقضبان، تخلى الرجل عن القراءة وشرع في تأمل النافذة المجاورة له، أو هو يتأمل المشاهد خارج النافذة!
بعد قليل تخلى عن متابعة ما يتأمله لينتقل بعينيه ناحيتي، ويبتسم، ويقول:
- أنت تحاول سبر أغواري، لقد جذبت انتباهك منذ اللحظة التي جلست فيها.. أليس كذلك؟
ثم تنهد وقال باسترخاء:
- إن قراءة الأفكار ليست مجرد خدعة من خدع الحواة، بل هي أكثر ما يشغل الكثيرين للبحث عن وسيلة تمكنهم منها.. ليس بالقدرات الفائقة، بل بأجهزة تترجم موجات الأفكار والأحلام لصور أو كلمات واضحة.. المليارات تنفق لأجل ذلك، ولكن لم يفلح أحد حتى الآن..
لكي يحقق لك الآخرون ما تريد، عليك أن تتحكم في عقولهم.. هذا ما يفعله المشعوذون والحواة مع الجمهور.. وما تفعله الحكومات مع الشعوب..
التشتيت.. الإيهام.. التضليل.
اعتدل في جلسته وهو يستطرد باستفاضة:
- مات في حادثة العبّارة الشهيرة* ألف شخص، ولكن يتم تشتيت الناس عن مشكلة الموت بمشكلة قيمة التعويض، ثم كيفية دفع التعويض وتسلمه.. وبعد ذلك مشكلة من المسئول عن غرق العبارة، صاحبها؟ القبطان؟

obeikandl.com

السلطات السعودية؟

أيام ثورة ١٩٥٢ كانت كل الحياة تؤيد هذه الثورة العظيمة، وتقلل من شأن الملك السكير الداعر.. الصفحات الأولى من الجرائد.. أفلام السينما خلال الفترة.. البرامج الإذاعية والأغاني.. آراء الناس على المقاهي المستمدة من آراء مدسوسة عليهم، حتى إن جُعلت ذكرى الثورة عطلة رسمية كل عام.. كل شيء حولك يدل على أن الثورة شيء عظيم عليك تمجيده.. وبعد كل هذه الأعوام تكتشف أن العكس هو الصحيح.. حتى مصطلح «ثورة» نفسه، مما له من صورة ذهنية حسنة لدى الشعوب، وتاريخ الكلمة مشرف دومًا، في حين أن ما حدث بالفعل يستحق مصطلح «انقلاب»، بما له من صورة ذهنية سيئة.. لذا فقد استبدلت تلك الكلمة بهذه، خداع السلطة للمجتمع لن ينتهي مهما حاولتم يا سادة.

أراح ظهره على مسند الكرسي وهو ينحي الكتاب جانبًا، يكمل شرحه دون أدنى تعليق مني:

- صفقة خصخصة شركة مهمة، تصاحبها أزمة أكياس دم ملوث، لتضليل الرأي العام..

كارثة تلهي الجميع عن اتفاقية عجيبة لا يقبل بها سرب نمل مع دب قطبي.. أنت تظن الحياة سلسة تسير بسهولة.. موظف يستيقظ ويذهب إلى عمله ويعود إلى بيته يقضي وقتًا مع أسرته ووقتًا على المقهى ثم ينام ليستيقظ من جديد ويذهب إلى عمله، وهكذا حتى يموت.. حتى الصعاب التي تواجهه مجرد زوبعة في فنجان ستأخذ وقتها وتنتهي لتعود الحياة إلى طبيعتها.. لم يظن هذا الموظف أن هناك مجموعات مهمتها أن ترسم له الخط الذي يسير فيه وتلقي أمامه العقبات التي يظنها «زوبعة في فنجان».. مجموعات تحدد له كيف يفكر قبل النوم وفي أي شيء يتحدث بالمقهى.. مجموعات تحدد مستوى دخله وكيف ينفقه، تحدد له أولوياته في الحياة.. في الشراء.. في تأدية العمل، يعمل على خدمة مَن قبل مَن، ويعمل في خدمة ماذا

obeikandi.com

قبل ماذا من خلال وظيفته.. عملية تلاعب كبيرة بعقول الشعب، عملية برمجة للشعب، الشعب المتكون من أنصاف المتعلمين والأميين وغير المثقفين وعديمي الطموح والعشوائيين.. عشوائي التصرفات وعشوائي الإقامة..
التلاعب بالعقول منظومة لا بد أن تدار بشكل صحيح ومتكامل.. أخبار في الجرائد.. أفلام في السينما.. برامج ومسلسلات وحتى إعلانات في التليفزيون.. ظروف حياتية في الشارع والعمل.. حوارات موجهة على المقاهي..
كل هذا سيؤدي بك في النهاية إلى نتيجة واحدة.. النتيجة التي يريدونك أن تصل إليها من خلال استنتاجاتك العبقرية..
تختلف هذه النتيجة من منظمة إلى أخرى.. من حكومة إلى أخرى..
مثلا ما يقررونه لشغل الناس بأحاديث على المقاهي وفي التجمعات.. لنثر قضايا الزواج العرفي.. ثم العنوسة.. ثم تقطيع الزوجات أزواجهن وتعبئتهم في أكياس.. ثم زيادة نسب الطلاق للمتزوجين حديثًا.. ثم الخيانات الزوجية.. ثم فكرة تبادل الزوجات.. لكن لا نضع حلولاً، ولا نبحث عن أسباب، فهي مجرد ظواهر، سننهيها لنخلق أخرى..
لنشغل الناس بقضية «عبدة الشيطان».. فيخشون على أبنائهم من الرفقة ومن الخروج من المنازل..
فليكن هناك مد شيوعي أو ديني متطرف.. أو مد ليبرالي منحل.. في كل مرة نقنع المجتمع أن هذا المد خطر عليهم، ولكن لكل مد مؤيدون ومريدون، وبذا يتكون انقسام.. فُرقة.. اختلافات ثم خلافات ثم حرب أهلية لو أمكن..
لو كان المدبرون والمخططون من الأعداء، فإن المنفذين من نسيج المجتمع نفسه.. ربما يكون خالك أو عمك أو البقال أسفل المنزل الذي تقطن به.. غالبًا هو لا يدرك مشاركته في تحقيق هدف المنظومة، ولكن الكبار في السلطة يدركون حتمًا.. ويشاركون حتمًا..
ربما يكون أحد المنفذين هو أنت شخصيًّا..
لذا فأنت ضحية عداء خارجي، وفساد سلطوي، وجهل مجتمعي..

تلاشي الطبقة الوسطى عبارة عن حرب عقلية خلقتها الحكومة بظروف اقتصادية سيئة، ليخشى متوسطو الحال أن يكونوا فقراء، بينما يظل الفقراء على حلمهم بأن يكونوا بداية عهد جديد للمتوسطين.. أما الطبقة العليا فتحيا في الساحل الشمالي وشرم الشيخ يا عزيزي.

أنت... بل نحن جميعًا، في ورطة حقيقية لا فكاك منها..

ثم رفع يده ملوحًا بالكتاب مكملاً:

- إلا بالتعلم والثقافة..

نتعلم ما الصواب وما الخطأ، نتثقف لتوسيع مداركنا الذهنية ونجيد التفكير والتصرف والاستيعاب، لنجيد التحليل ومنطقة الأمور، لنعرف ما الصالح وما الطالح على المستوى الشخصي..

والمجتمعي..

وإلا النصر لفطرتنا الأولى..

تلك الفطرة التي سنعود إليها بعد اندثار اللغة والحضارة، فقط لنبدأ كل شيء من جديد.. ويعيد التاريخ نفسه بالرتابة ذاتها والصبر نفسه..

سنرجع عراة الجذوع.. ملطخة أيدينا بدماء الفريسة..

وبدماء بعضنا البعض!

* * *

حملت خطبة الرجل جرعة عالية جدًّا من المنطق، والرجل محق فيما يحذر منه، الوضع هنا مختلف عن نظريات المؤامرة، الوضع يعني وجود هدف يسعون إلى تحقيقه بخطة محكمة وأخرى بديلة.. الحياة ليست سلسة كما نتصور، لا بد ألا تكون كذلك على أي حال، وإلا فلن ندرك قيمة الجنة!

أنا استخدمت الكثير من أفكاره في الرد على ذلك المذيع، وظللت متحيرًا في كنه الرجل الغامض الذي نزل في إيتاي البارود حقًّا..

لماذا إيتاي البارود؟!

هل هو من محافظة البحيرة؟

obeikandl.com

هل يزور أحدًا بمحافظة البحيرة؟
هل وضعته المنظمة ليخبرني بما قال كنوع من غسل المخ المتقن؟!
هل وضعوه لمجرد التلقين قبل البرنامج؟
لا بد أن للشخص يدًا في هذا الأمر حتمًا..
أنا على وشك الإصابة بوسواس قهري، أو كما يقول العامة «عليَّ عفريت اسمه الشخص»!
هل توقف هذا القطار في أي محطة منذ انطلق من الإسكندرية قبل إيتاي البارود؟!

* * *

obeikandl.com

لا بد أن تلاحظ «نَص» اللغز بدقة.. ستجد ألا خدعة فيه أصلاً، وهذا هو الحل..

لا خدعة..

صحيح أنني لم ألحظ من المرة الأولى، ولكن هذا لا يعني أنني بذلك السوء أبدًا.

أسندت البندقية البيضاء إلى كتفي ونظرت من عدستها ناحية السفارة.. أمامي صورة لكل من الهدفين، لقد أخبرتني المنظمة أنها تثق بقدراتي وبإمكانية أدائي المهمة وحدي..

«أنت لست بحاجة إلى قاتل آخر ليقوم بأحد الهدفين من زاوية أخرى»..

ربما يزرعون في ثقة أكبر بهم.. أو يرفعون من معدل ثقتي بنفسي..

ولكن الأكيد أنهم يوفرون في الأجر..

الاتفاق وتحديد الأجر كان يشمل الهدفين، وأنا بإعلان رغبتي في شريك للقيام بالهدف الثاني قد أكون خالفت «نص» الاتفاق، خصوصًا أنني لم أوضح أو أبدي استعدادي للتنازل عن جزء من الأجر المتفق عليه..

بالفعل حضر الموكب وظهر الكثير من مفتولي العضلات ذوي البزات السوداء والنظارات السوداء، وكان يسهل ملاحظة الهدفين بينهم لأنهما نحيفين وسط كل هذه الغيلان..

«البروتوكول» يحتم أن يتصافحا أمام المدخل، وهو ما حدث بالفعل..

وهو ما لا بد أن يكفي لأداء المهمة..

* * *

يبدو أن خطوط الهواتف الأرضية يسهل تأمينها أكثر من شبكات المحمول، كان المدير يحدث شخصًا ما يسأله عبر مكبر الصوت:

- هل عرفت شيئًا عن تفجيرات المغرب الأسبوع الماضي؟ لم نستطع التوصل

obeikandl.com

إلى أي شخص/ جهة لها يد في هذه التفجيرات، والأمر مؤذٍ بلا هدف.. على الأقل ليس هدفًا معلومًا لدينا لنعرف إن كان ساميًا أم تافهًا، وإن بدا لي تافهًا لأنه استهدف مدنيين بينهم أطفال ونساء.. تفجير مراكز تجارية وأسواق لا يكون لأهداف سامية بكل تأكيد.

سأله محدثه باختصار:

- المطلوب؟

- هناك شخص نشتبه به، إرهابي مغربي وردتنا عنه معلومات عن طريق جهاز المخابرات الفرنسي..

في الواقع كان يتابع حديثه بينما فقدته أنا تمامًا حين انشغل عقلي بمدى صدق هذه المعلومة.. هل حقًّا ترِده معلومات من أجهزة مخابرات؟ بل وجهاز مخابرات غير عربي؟ هل هو صادق؟ هل لو أنه صادق، أفلا يعدّ تسريب هذه المعلومات فسادًا أو خيانة؟ هل يرغبون في التعاون مع منظمته؟ هل هو أشبه بمنظمة «المهمة المستحيلة» (Mission Impossible) ولكن البطولة هنا لهذا الشخص قصير القامة بدلا من توم كروز (Tom Cruse)؟

رجعت من تداعياتي على صوته الذي يكمل:

- لذا فنحن بحاجة لقتله.. سواء كان مذنبًا في هذه التفجيرات، أم بريئًا منها فقتله أمر حتمي لمصلحة الشعوب.

توجه ناحيتي وقد وضع السماعة وهو يقول:

- الانفجارات الأخيرة في المغرب من شخص أو جهة مجهولة بالنسبة لنا.. لم نستطع فعلاً معرفة مدبريها، وهو أمر مقلق جدًّا.. ولكن هناك شك في شخص بعينه، ستقوم بقتله، ونرى إن استمرت الانفجارات.

- هل سنقتل شخصًا لمجرد التجربة؟!

- هل أصبحت مهتمًّا بأرواح الناس هكذا فجأة؟

- مطلقًا.. نحن على اتفاقنا.. أنتم تدفعون وأنا أقتل، دون اهتمام بالأسباب.. فأنا عندي ما ليس عندك، وعندك ما ليس عندي.. مهارتي أقدمها لك،

obeikandl.com

ونقودك تعطيها لي.
من هنا انطلقت فكرة سفري للعمل خارج مصر!

* * *

راقبتها بعد أن خرجت من المنزل، شعرها القصير يتأرجح بشكل مضحك مع خطواتها، وتبعتها وهي تدخل شوارع وتخرج من أخرى في الحي ذاته، كمحاولة فاشلة منها للشعور بخطورة نفسها.. كانت تنظر وراءها كثيرًا كأنما تحاول الإفلات ممن يتبعها، وعلى الرغم من أنني كنت أتتبعها بالفعل فإنها لم ترني من بين الناس، ولم تلحظ عكازي، ولم تفلح في الإفلات بطريقتها الساذجة هذه..
ما مؤهلاتها لتصبح قاتلة إذًا؟ النية وحدها لا تكفي!
المهم توصلت لمكان سكنها ولم يكن يبعد كثيرًا عن منزلي، ثم أجريت تحرياتي السريعة وعرفت أنها تقطن وحيدة بالطابق الخامس وتغيب كثيرًا عن المنزل..
لذا فالخطة كانت بسيطة لهدف تافه كهذه، بعد أن تفحصت المكان بعيني وجُبته مرة واحدة، قررت أن يقوم الصبي بمراقبتها بدوره ودراسة المنطقة كنوع من التدريب أيضًا، ولكن بقيت مشكلة الحصول على صورة لها كي يتعرف عليها الصبي بشكل جيد..
وبما أنني لا يمكن طلب أمر مماثل بشكل مباشر، لذا فتحتم وجود خطة اقتحام للمنزل..
وهو أمر ليست لي به دراية كبيرة!!
لكنه على ما يبدو.. حتمي!

-٩-

«التوقيت هو سر اللعبة، لا بد أن يكون التوقيت دقيقًا لإنجاز المهمة.. لذا عليك اعتياد ترتيب مواعيدك.. الالتزام بمواعيدك.. الاهتمام بمواعيدك.. الاعتذار عن مواعيدك.. هل تفهمني؟

- أفهمك، ولكن لا أفهم السبب لكل ذلك!»

هكذا دار الحوار القصير بيني وبين الصبي في إحدى مرات التلقين..

الالتزام بالمواعيد يختلف عن الروتينية، لذا أدرك الآن كم كنت محقًّا في مسألة التوقيت هذه، فأنا علي قتل هدفين في أقل من ثانيتين قبل أن يكتشف مفتولو العضلات أمر الأول والمبادرة بحماية الثاني، فتفشل المهمة تمامًا..

لا يظن أحدكم أن قتل واحد يعني نصف نجاح ونصف فشل، النجاح لا بد أن يكون مستوفيًا تحقيق الهدف، والهدف هو قتل شخصين..

كان سلاحًا واحدًا، ولكنه سلاح قوي.. قوي لأنه أمريكي الصنع..

وعلى الرغم من عدم الحاجة لاختبار القوة الأمريكية، فإنه تحتم تجريب بندقية القناصة هذه في أقل من ثانيتين..

ولكن بذلك العقل المصري الذي يصنع سنادة للطاولة غير المتزنة من قطعة ورق كارتونية، وتخشينة في باب الثلاجة لتنغلق بشكل جيد..

عقل فهلوي يجيد التصرف في مختلف الظروف تحت شتى الضغوط..

مع خبرة قاتل محترف!

أظن كل شيء سيكون على ما يرام حقًّا..

الحميمية عند الدبلوماسيين جزء من مشهد النفاق الرسمي، وكعادة العرب لا بد من معانقة الإخوة الذين لم يلتقوا منذ دهر، وربما لم يلتقوا من قبل أصلاً.. ويجب أن تكفي لحظة العناق هذه لرصاصة واحدة تصل في أقل من ثانيتين..

وتخترق عنقيهما مع تمام الثانية الثانية..

كما حدث بالفعل!

ربما يظن الصبي أنني تخليت عنه.. وربما يعتقد أنني تركته ليعتمد على نفسه ويثق بقدراته، خصوصًا بعد أن مهدت له عملية قتل ممتازة..
حصلت على صورة للفتاة بطريقة أكثر بساطة من اقتحام المنزل، ولكن بمزيد من المراقبة والمتابعة.. شكرًا لمن أضاف الكاميرا إلى الهواتف المحمولة..
ورسمت له الخطة وأقنعته أن نجاحه في هذه المهمة يضمن له مستقبلاً باهرًا في المجال، وأن فشله يعني أن يعود للشارع مرة أخرى..
النجاح لا يعني فقط أن يقتل الفتاة، ولكن ألا يراه أي شخص، ولا تتوصل إليه الشرطة، وأن يستطيع النوم ملء جفنيه خلال يومين على الأكثر من تنفيذ العملية، باعتبارها عمليته الأولى..
نجاحه أيضًا يتوقف على ألا تصل إليه المنظمة، استقراري يتوقف على هذه النقطة الحرجة بشدة.. ولكنني رجل مخاطر، ولا بد أن أتعامل وفق المستجدات.
تعليمه كان مقسمًا لجزء تدريب وجزء تلقين.. أن يعرف أشكال الأسلحة وأسماءها وكيفية فكها وتركيبها، ثم التدرب على ذلك..
أن يعرف قيمة الوقت وتقدير المسافة ودراسة الهدف وانتقاء ميدان التنفيذ، ثم التدرب على ذلك..
أن يتعلم السيطرة على مشاعره وانفعالاته، ثم التدرب على ذلك..
أن يدرك أهمية نجاحه بالنسبة لي، وأن يتحقق ذلك.

* * *

وصلت باريس على خطوط طيران «إير فرانس» إلى مطار «شارل ديجول»..
كالمعتاد كان هناك من ينتظرني، الغريب أن لهجته كانت خليجية، وهو أمر مدهش حقًّا.. فهؤلاء القوم المرفهون لا يكترثون للسياسة إلى هذا الحد..
لا بد أن وراء هذا الشخص سرًّا أتوق لمعرفته..

ربما كانت أمه فلسطينية فزرعت بداخله حب النضال..
أو مر بتجربة عنيفة جعلته يتهور ويقرر الانضمام إلى منظمة تمارس سياسة غامضة مصطحبة بعمليات قتل!!
لا بد من دافع يجره للمشاركة في عملية قتل.
أخذني من المطار إلى المبنى الذي يقطن به الهدف، وأشار إلى المبنى المقابل حيث سأنفذ المهمة.. بعدها انطلق إلى مركز العلاج الطبيعي.. قال إن الأمور في تونس لم تكن آمنة للاستمرار هناك في مسألة العلاج الطبيعي هذه، وأن معه صورة من تقرير الأشعة الخاصة بي.
كنت بدأت التعامل من دون اعتماد كلي على العكاز في اليومين الأخيرين، ولكن جلستين أو ثلاثًا من العلاج الطبيعي في باريس شيء رائع حتمًا..
اهتمام المنظمة بي وبصحتي أمر يثير شجني حقًّا.. يحاولون توصيل رسالة «القلب الكبير» للعضو الصغير في المنظمة..
أو مدى اهتمامهم بي كعضو في المنظمة..
أو مدى الدقة التي يتعاملون بها..
أو أي شيء محير آخر..
ذلك المدير في مصر يحقق المثل العربي «احذر كل من اقترب من الأرض»..
فكرت في خطة بسيطة للهدف الفرنسي وأنا أتأمل درجات سلم المصح العلاجي التي أصعد عليها الآن..

* * *

التفتُّ خلفي على صوت الشاب الخليجي رافعًا هاتفه المحمول ويقول بلهجته:
- المدير يرغب في التحدث إليك.
استندت على العكاز وأمسكت الهاتف مبتعدًا عن النافذة بينما يفكك

الشاب البندقية ويقوم بعمل اللازم خلف الستائر المسدلة، وقلت:
- سيادة المدير.. مرحبًا بك في باريس عبر الأثير.
- يبدو أن روحك المعنوية في قمتها، أنت أتممت المهمة كالعادة إذًا.
قلت بسخرية:
- لا أظن هذا سؤالاً، فأنت اتصلت في وقت دقيق للغاية، يدل على أنك تعرف كل شيء في وقته.
تخيلته يبتسم بطريقته الهادئة قبل أن يقول:
- لن تستطيع القدوم إلى مصر الآن.
- مهمة أخرى؟
- بل ثورة.
صعقت من الإجابة، فسألته للتأكد:
- ماذا قلت؟
- لقد قام الشباب بثورة ضد النظام.. الأمن مرتبك وحركة الطيران متوقفة.
- لم أظن الأمر سيتعدى مظاهرة كما أوضحت البرامج الإخبارية وتحليلات الخبراء.
- كلهم حمقى، لا أحد يتوقع تصرفات الشباب هذه الأيام كما تعرف، الرئيس عاندهم يوم الثلاثاء الماضي ولم يدرك العواقب.. عودتك خطر في هذه الآونة، اختر أي دولة مستقرة وسنقوم بتحمل جميع مصاريفك فيها.
- أولاً تونس ثم مصر، لا أظن هناك دولة آمنة الآن.. الأمر يبدو كعدوى ثورية.
- ابقَ في باريس إذًا.. فقط لا تخالف قوانين البلد ولا تجذب الانتباه بأي شكل، سيظل الشاب الذي برفقتك تحت تصرفك حتى تستقر الأوضاع.
انتهت المكالمة.. وكان الشاب يقود السيارة عبر شوارع باريس وأنا جالس بالخلف، ووردت رسالة على هاتفه المحمول الذي ما زال في يدي، فطلبه مني..

obeikandl.com

كيف استقر بي الحال في سيارة بعد أن كنت في المنزل؟!
هل تعاطيت شيئًا مخدرًا أم ماذا؟ لتوي انتهيت من مكالمة مع المدير..
ماذا في الرسالة التي وردت على الجهاز المحمول؟!
ماذا وراء الشاب الخليجي دفعه للتعامل مع المنظمة؟!

* * *

في الطريق إلى مطار قرطاج لمغادرة تونس إلى فرنسا، وجدت حشدًا من الناس مجتمعين فيما يبدو أنه شغب، كانت مشادات بين الأمن والمواطنين..
في المطار انتهت الإجراءات ببساطة، وبعد استقرار الطائرة في الجو، أعلنوا أن الشعب التونسي قام بثورة ضد النظام!
توقعت بلا شك أن تكون هناك إجراءات أمنية مشددة في مطار «شارل ديجول»، وبخاصة على الطائرات القادمة من دول عربية.. وتحديدًا تونس.
في مصر هناك ثورة، قناة «الجزيرة».. قناة «العربية».. «الفضائية المصرية».. قناة «الحياة» (الحمراء).. قناة «المحور»!!
أي القنوات أصدق؟
لو أن «الفضائية المصرية» تكذب، بحكم العادة لأنها تتبع الحكومة، أو بحكم عدم الدقة لأنها منتج عام، فـ«الحياة» و«المحور» قناتان مملوكتان لرجلي أعمال.. والرجلين لهما علاقاتهما الوطيدة بالحكومة، ولكن كلا منهما تنقل أخبارًا ضد الأخرى..
هل أحصر كل القنوات وأرى أي القنوات تبث أخبارًا متشابهة أكثر فأصدقها؟
أنا في فرنسا.. إذًا الـ«CNN» ستكون أصدق القنوات.
كم سأبقى في هذا الفندق؟
أتمنى أن أبقى طوال العمر.. الفندق رائع فعلاً، فلتدم الثورة للأبد!!

- مرة جديدة أسألك. لماذا تقتل؟

- الموت بحاجة إلى غذاء.. وأنا أوفر له طعامه.

- هذا حديث يشبه كلام «عبدة الشيطان»!!

ضحكت من أعماقي بالفعل.. سذاجة الناس تأتي من جهلهم المطبق، لا يعرفون شيئًا عن «عبدة الشيطان» أو «الماسونية»، لا يعرفون شيئًا عن الليبرالية أو العلمانية، لا يعرفون الفارق بين الشيعة والشيوعية، فقط يصبح التعبير دارجًا وله سمعة سيئة، فيرمون به الناس عند الشك فيهم عقائديًّا..

قلت متغاضيًا عن سذاجة المذيع:

- هذه الخدمة أقدمها للجميع..

- أنت تدعو لسوء.

- هكذا تراه أنت، غير أنه ليس كذلك.

قال بانفعال، كأنما يدافع عن وجهة نظر الحق والخير والصواب ضد القاتل الشرير الخاطئ:

- الناس روتينية بسيطة لا تعبأ بحياة معقدة كالتي تحياها تلك.

- لا بد أن تكون تافهًا لتكون روتينيًّا.. فلا أحد يرغب في قتل موظف بالمصلحة المدنية، الذي هو شخص يستيقظ يوصل أطفاله إلى المدرسة ويذهب إلى العمل في الثامنة ليرجع منزله في الثانية ينام ساعتين بعد أن يتناول وجبة الغداء، ثم يستيقظ ليجلس مع جيرانه في مقهى المنطقة.. شخص تافه.

- بل هو شخص بسيط له حياة بسيطة.

قلت باستفزاز:

- بسيط يعني تافهًا، لو أنه شخص مهم ذو شأن لكانت صيغة كلامك مختلفة.. صدقني، لا بد من وضع الأمور في نصابها، لا نعظم التوافه ولا نقلل من شأن العظام.

استغرق البرنامج ١٠ دقائق إضافية عن المدة المحددة.. هذا يثبت أنهم ما

obeikandi.com

زالوا بشرًا يخطئون، أو لا يتحرون الدقة البالغة كما هو مفترض بالبشر!

* * *

مبكرًا جدًّا نضع له مظروفًا يجذب انتباهه عند دخوله، يتفحص المظروف وهو يتقدم.. يغلق باب شقته.. يظهر لي من خلال النافذة منهمكًا في فض المظروف، سيكون هناك وقت كافٍ للتصويب وإطلاق الرصاصة المكتومة.. سأوجه فوهة البندقية الجديدة من فرجة صغيرة بين الستائر السميكة، وفور أن يصبح في مرمى نقطة الالتقاء في العدسة، يسعد الجميع، فيما عداه، بعدها أعود إلى مصر..

أحصل على باقي الأجر..

كان هذا تفكيري المتفائل، لكن فجأة تتبدل كل خططك.. ثورة..

ثورة؟!

من كان يصدق أمرًا كهذا؟

هل للمنظمة يد في موضوع الثورة هذه؟

هل لي أنا شخصيًّا يد فيها؟

ثورة تونس.. ثورة مصر..

هل الأمر مقتصر على الدول العربية بأفريقيا؟

هل الأمر مجرد صدفة؟!

obeikandl.com

obeikandl.com

الجزء الرابع

obeikandl.com

obeikandl.com

-١-

يوسف بطرس، وزير الضرائب، هرب من مصر ولا نعرف مكانه، رشيد محمد، وزير التجارة، هرب إلى دبي، وحسين سالم، رجل الأعمال الفاسد، هرب إلى إسبانيا!

* * *

«في ظل ظروف الثورة هذه، ستكون هناك صيغة معينة للتواصل معك.. في أثناء ذلك سوف نعلق أنشطتنا مؤقتًا لحين استقرار الوضع الجديد، نأمل أن تصبح الأمور كلها على ما يرام حقًّا».

كذا قال المدير بعد أن كبرت الثورة في أيام قليلة وقاربت سن النضوج.. لكني لا أصدق أنهم سيعلقون أنشطتهم، ربما هم يستغنون عني بشكل لائق.. عامة أنا حصلت على مستحقاتي وأستطيع التوقف لفترة..

متابعة مجريات الأمور في مصر هي الأهم في الوقت الحالي، بناء عليها تتضح معالم مستقبلي هناك..

أو هنا..

في فرنسا..

على نفقة المنظمة..

المنظمة ستوفر الكثير من المصاريف في ظل توقيف النشاط..

سأقضي وقتي إذًا في القراءة، أي أنني سأحتاج مزيدًا من الكتب.. يعني لا بد من جولة في الأسواق لجعل الأمور هينة..

ومسلية قدر المستطاع.

* * *

لم أقدم طلب إجازة في الشركة التي أعمل بها محاسبًا.. لا أدري سبب تجاهلي

obeikandi.com

لذلك الأمر، ولا أعرف شيئًا عن الصبي..
كيف أصبح؟ ماذا فعل؟
ولا أعرف شيئًا عن الفتاة.. لم يخبرني المدير شيئًا عنها.. هل ماتت؟
هل ما زالت مجتهدة في العمل وفي رغبتها بأن تصبح قاتلة محترفة تحقيقًا للانتقام؟
هل سردت قصة حقيقية وهناك انتقام حقًّا؟!
يمر الوقت بسرعة.. الأحداث في التحرير لا تكف عن التلاحق، وكذا السويس والإسكندرية وبقية المدن..
تحليلات خبراء الـ«CNN» تبدو كما لو كانت لها اتجاه وميول، ليس الأمر محايدًا بالنسبة لهم..
قناة فرنسية تنقل صورة من ميدان التحرير مصحوبة بتعليقات فرنسية لا أفهم منها شيئًا..
قناة «الجزيرة» تبدي تعليقات عدائية للنظام السابق، القناة لا تعبّر بشفافية، هي تعبر عن رأي السلطة في دولتها كما يبدو..
«الفضائية المصرية» تسفه الأمور والأحداث كأنما هي «زوبعة في فنجان»..
أيضًا القناة تعبّر عن السلطة لا عن نفسها..
ماذا عن الـ«Facebook»؟
خدمة الإنترنت متاحة في هذا الفندق الفاخر بكل تأكيد.. ليكن الإنترنت إذًا.
اتصلت بالشاب المكلف خدمتي لأخبره عن رغبتي في جولة بالمكتبات لشراء كتب حديثة، فرفض خروجي من الفندق في ظل هذه الظروف الثورية في القاهرة، خصوصًا أنني شخص لافت بملامحي الشرقية وعكازي.. فطلب قائمة بالكتب التي أريد شراءها، ومن جديد كان الإنترنت هو الحل..
ما أحدث الإصدارات؟
الرواية المرشحة لجائزة كذا.. الطبعة السادسة من رواية كذا.. المؤلف العالمي يصدر رواية كذا.. أولى إصدارات المؤلف الشاب فلان.. آخر إصدارات الدار

العلانية..

فليشترِ لي كل هذه، حتى لو بدت سخيفة فأنا لم أخسر شيئًا.. ماذا عن الكتب الأخرى؟

نقلت أسماء الروايات في ورقة مطبوع على حافتها شعار الفندق، وجهزتها للخليجي حين يعود، ورجعت لمتابعة أخبار الثورة على موقع التواصل الاجتماعي الخطير.

obeikandl.com

-٢-

الحرية ليست أن تفعل ما تريد، فهناك أطر وقيود تحدد لك ما تفعله تحت جناحها.. الحرية هي توسعة لهذه الأطر والقيود التي تختلف من مجتمع لآخر، وهو ما انتشر هذه الآونة باسم «الليبرالية» وظهر لها الكثير من المُعادين دون سبب أو فكر..

* * *

كانت ليلة رأس سنة ٢٠١١، في الحادية عشرة والنصف، وكان هناك عرض راقص في الممرات الصغير ة بين كراسي الطائرة، وفي تمام الثانية عشرة إلا عشر ثوانٍ بدأ العد التنازلي للعام الجديد، ثم أطفئت الأنوار وسمعنا تهنئة القبطان عبر السماعات..

المضيفات بدأن يتحركن بعرباتهن لتقديم مشروبات مختلفة للركاب القلائل في الطائرة، بينما اقترب مني محييًا جالسًا في الكرسي الشاغر بجواري شخص، معظم كراسي الطائرة شاغرة لأن في هذه اللحظة لا بد أن يكون كل شخص مع المقربين له.. مع من يحبونه..

قال الشخص مبتسمًا أنه معجب بأدائي في المنظمة وأنه سعيد بنجاحاتي المتوالية في مهامي إياها، جزعت ولا أظن ذلك قد بدا على ملامحي، غير أنه قال مطمئنًا:

- أنت سمعت عني من قبل.

نظرت إليه متسائلا دون كلمة، فاستطرد:

- المعاقب.. شخص مهمته عقاب كل المخطئين في المنظمة أو.. في المجتمع الأكبر.

ثم ابتسم مردفًا:

- تُرى، أين سمعت هذه الجملة من قبل؟!

obeikandl.com

وقهقه ضاحكًا معجبًا بنفسه..
هذا كلام قالته لي الفتاة الشقراء من قبل.. هل تخبرني ما يملونه عليها؟
هل تخبرهم بما تقوله لي؟
هل يتجسسون علي؟ عليها هي؟!
سألتني المضيفة عما أرغب في تناوله، كان معروضًا أمامها مشروبات روحية وعصائر بريئة.. فطلبت - بصوت متحشرج - عصيرًا.
مرة يقابلني شخص غامض في قطار.. وقبلها يظهر ضخم الجثة ليحيل حياتي جحيمًا، والآن هذا المعاقب.. كل ذلك بخلاف موضوع الفتاة نفسها، ماذا تريد مني هذه المنظمة بالضبط؟!
هل يتلاعبون بي؟
هل يثيرون جنوني؟
هل يؤكدون قدرتهم على.. على أشياء كثيرة هم قادرون عليها حقًّا؟
أخذت رشفة وغطست في مقعدي وأنا أشعر بالمعاقب يتميز غيظًا، ما له بي، هو ليس رئيسي ولا ينقدني المال، وأنا لا أعتبره زميل عمل لو أنه يفكر في ذلك..
قال:
- يبدو أنك غير اجتماعي.
- طبيعة المهنة تفرض علينا بعض الخصائص.
لا أدري لِمَ كنت مستفزًا، هل أكرهه؟
هل أستسخفه؟
هل أنا مستفز بطبعي!
استرخى في مقعده بدوره وتغيرت إشارة التدخين إلى السماح، فبدأ تزايد حركة الركاب في ممرات الطائرة، قال المعاقب من جديد:
- أنت تحصل بسهولة على كل الأسلحة الجديدة في السوق، أليس كذلك؟
- ليس الحصول على أسلحة نارية بالأمر الهين، ولكني أتدبر الأمر..

obeikandl.com

شفطت آخر قطرة في علبة العصير مُصدِرًا صوت سحب الهواء المستفز بدوره، وقررت أن سؤاله التالي لن يحصل مني على إجابته، أغمضت عيني وضممت ذراعي لبعضهما وأملت رأسي بعكس اتجاه جلوسه كأني ميت!

مضى وقت قليل قبل أن يتحدى قراري كأنما هو على دراية تامة به، إذ قال:

- ما هو الشيء المشترك بين الصعيد والمنوفية؟

سحقًا، «فزورة» أخرى.. لمَ تلاحقني الألغاز دون توقف؟!

obeikandl.com

-٣-

«جودو» الذي لا يأتي معروفة قصته من المسرحية العالمية الشهيرة، وأنا أعايش شعور أبطال المسرحية نفسه الآن.. أنا في انتظار «جودو»/ الفرج، والمعادل الموضوعي في هذه الحالة هي اتصال المدير/ العودة إلى الإسكندرية..

* * *

جاءتني مجموعة مسلية من الكتب والروايات، ولكن الـ«فيس بوك» أكثر إثارة.. سيل من التعليقات والرسومات والمقالات الساخرة من كل الأوضاع الراهنة.. في الحقيقة أن هذا الشعب لا ينافس غير نفسه في كل أموره..
حين يُستعبد فهو يتنافس مع أجداده في الاستعباد..
وحين يثور، فهو يطوّر من مفهوم الثورات عبر تاريخه، بل وتاريخ العالم كله.. مرة يقوم بانقلاب بينما قائد الانقلاب يتأبط زوجته لمشاهدة فيلم في السينما، ويطلق على ذلك اسم: ثورة..
ومرة يتجمهر في ميدان التحرير بلا قائد وآخر اليوم يقوم بتنظيف المخلّفات!!
حين يحب حاكمًا فهو يؤلهه، وحين يكره الحاكم فهو يرشقه بالسخرية و«الكاريكاتيرات» بلا هوادة..
حين يغترب الشعب يصبح مثالاً للإبداع والرقي ونموذجًا في الاجتهاد والعمل، وحين يعمل في «الميري» يسترخي طوال الوقت منتظرًا يوم الأجر!
حذّر الكثيرون من طبيعة المصريين، في حين لم يستطع أي خبير أن يشرح بدقة طبيعة المصريين هذه.. لا هو شعب مستقر ولا حتى هو شعب متقلب..
أنا مصري ولا أعرف كيف يفكر المصريون، ولا يمكن توقع ردود أفعالهم أبدًا.. لا يمكن توقع رد فعلي أنا نفسي.. رد الفعل يختلف حتى لو تكرر الموقف نفسه.. لماذا نحن هكذا؟!

obeikandi.com

حين تكون غاضبًا قد يهدئك المصري الذي أنت غاضب منه، بينما يستفزك مصري ليس طرفًا في الموضوع.. وقد يحدث أي احتمال آخر أيضًا.. لا توجد معايير لشيء محدد.

من يصدق أن شعبًا يثور ويقتل وتفقأ عينه يرسم «جرافيتي» على الحوائط ويطلق نكاتًا ساخرة و«كاريكاتيرات» هازئة مما يحدث؟

شعب يمارس الجد والهزل في الوقت نفسه.. سبحانك يا رب!!

ظهرت مفردات ومصطلحات واشتقاقات لغوية متلاحقة بشكل لافت.. هل يتحدثون بهذه الطريقة الآن في مصر؟

لم يمضِ على غيابي الكثير لتستجد كل هذه الأمور بتبعياتها..

«كل يوم تقتلون فيه بطلاً.. يصبح شهيدًا، وتصبحون مجرمين»..

أنا أحوّل «الأستاذ فلان» إلى «المرحوم فلان».. من «جسد» إلى «جثة».. كنت أظن ذلك فريدًا، لكنه صار عاديًّا جدًّا..

فماذا أصبح إذًا؟!

الاستياء مرير على الـ«فيس بوك» من إصابة الثائرين وقتلهم.. وكأن ما يحدث مجرد لقطات من فيلم عربي؛ ربما لأنني بعيد عن الأحداث وأتابعها من خلال شاشة تليفزيون وشاشة كمبيوتر، صور القتلى وملامح الغضب والدماء المتناثرة.. استخدام أسلحة ممنوعة وغاز ممنوع، بل واستخدام أساليب ممنوعة.. تنقلت بين الصور والتعليقات لأتفحص بنظرة القاتل المحترف قناص الداخلية، فتدريبات القنص تختلف عن تدريبات «النشان» العادي.. سلاح القنص نفسه يختلف.. هذا الرجل يقنص فعلاً، وضعيته وطريقة إمساكه بسلاحه الـ«M٢١» الموديل القديم، إنه محترف.. وهذا السلاح قد أخرج من المخازن لهذا الغرض خصيصًا!!

* * *

obeikandl.com

اتصل المدير.. شيء رائع لأنه يعني مهمة جديدة بعد فترة الملل والرفاهية والسجن التي أحياها هذه، قال:

- الأحداث جنونية الإيقاع بعد الثورة.. تفجير كنيسة الإسكندرية.. مظاهرة في ميدان التحرير.. ثورة سلمية يطولها الدم وفقء الأعين.. توافر الطعام ونشدان الأمـان.. تهريب النقود وهروب الأشخاص من البلد.. غموض المستقبل وأحاديث الناس..

المدير مثقف.. متابع ومحلل جيد للأحداث الجارية، ويبدو أنه على علم بكثير من بواطن الأمور.. كذا اعتدت منه.

قلت:

- كل شيء عادي تحول بسرعة إلى سياسة.. حتى أحداث هذه الرواية!!

قهقه قبل أن يقول:

- الأوضاع في مصر بحاجة لبعض المساعدة.. جزء كبير من هذه المساعدة بيدك.

قلت بملل:

- أنت تعرف أنني أعمل من أجل النقود.. الأمور في مصر لا تهمني على المستوى المهني كثيرًا.. لقد فقدت عملي كمحاسب وانتهى الأمر.

ضحك من جديد وقال:

- أنت تخشى أن نستغل تعاطفك مع الأحداث لتعمل بلا مقابل أو بمقابل أقل.. اطمئن، اتفاقنا كما هو.. اسمعني جيدًا الآن، بعض الشخصيات الحيوية هربت من مصر بعد أن هرّبت ثروات ونقودًا وبعض المستندات المهمة.. ستعمل هذه الشخصيات على تدمير الثورة من بعيد، لذا وجب التخلص منهم بصورة عاجلة.. ستصلك أسماؤهم وأماكن وجودهم وروتينياتهم تباعًا.. أول هدف سيكون خلال يومين على الأكثر.. سأتصل بك وقتها، كيف حال قدمك بالمناسبة؟

- في تحسن.

obeikandi.com

- إذًا، استعد.. ولا تقتل أحدًا بالخطأ، أو تخطئ في التصويب.. الأمر حيوي جدًّا والكشف عن أي مخطط للقتل سيجعل الأمور في وضع سيئ.
- لم أقتل من قبل شخصًا بالخطأ، فأنا أحصل على أجري كاملاً كل مرة مقابل ذلك.
شعرت وكأنه يبتسم قبل أن ينهي المكالمة.

obeikandl.com

-٤-

كانت قفازات أطباء الأسنان راقدة هناك على الأريكة.. فجأة انتصبت وطارت لتقبض على عنقي محاولة خنقي..

أدرك أنني سأموت قتلاً برصاصة، لذا أتوقع أن تفشل هذه القفازات في خنقي، وأن شيئًا ما سيحدث لينقذني..

ولم لا أنقذ نفسي بنفسي إذًا؟! إنها مجرد قفازات حقيرة..

مددت يدي محاولاً إفلاتها عن عنقي، ولكنها كانت متشبثة بإصرار..

هل قتلتُ هذه القفازات من قبل فتحاول الانتقام الآن؟

كل شيء وارد حقًّا، فأنا قد أتجاوز الحدود ربما..

أنا أقتل لمجرد النقود، لا لأهداف نبيلة كالتي نراها في الأفلام ونسمع عنها في الأساطير..

ولكن إذا كان هناك هؤلاء الذين يقتلون لأهداف نبيلة فأنا أقتل لأجل النقود.. هم يقتلون لما يؤمنون به، وأنا كذلك.. فما الضير؟

أنا لم أخطئ..

وجهي يحتقن أكثر، أنفاسي تكاد تنعدم..

القفازات بلا أظافر وبلا بصمات، لن تترك أي آثار بعد قتلي.. الجريمة الكاملة..

أعتقد أن هذا هو النَفَس قبل الأخير..

استيقظت لاهثًا قبل النفس الأخير، كان لا بد أن أستيقظ قبل أن أموت في الحلم..

لو متُّ في الحلم لمتُّ في الواقع، هكذا أوضح المتخصصون..

متخصصون في أي شيء تحديدًا؟

لا يهم.. هدأتْ أنفاسي، وألقيت نظرة على نافذة الغرفة لأجد الشعاع يتسلل من خلف الستائر بمكر تجاهلته، ورقدت ساحبًا الغطاء من جديد..

بمَ كنت أحلم قبل قليل؟!

* * *

obeikandl.com

- كلاهما يقع ضمن حدود مصر..
- إجابة خاطئة.
كذا قال «المعاقب» بعد أن كرر لغزه مرة أخرى وأجبته.. فقلت من جديد:
- بل هي إجابة صحيحة، لكنها غير التي تريدها.. أن تريدني أن أكون تافهًا وأخبرك: حرف الياء.. فتبدي انبهارًا سخيفًا بفطنتي، خلّ عنك.
سكت مفحمًا، أو هكذا اعتقدت؛ إذ إنه عاد لجر الكلام معي من جديد وقال:
- احكِ لي عن أطرف عملية قتل قمت بها، وسأحكي لك عن أطرف عملية معاقبة أديتها.
- لا رغبة لي في قول أو سماع أي شيء.. أرغب فقط في الاسترخاء.
ابتسم كأني لم أحرجه منذ لحظة وقال ببساطة:
- احكِ لي عن أطرف عملية قتل قمت بها.
نظرت إلى وجهه وركزت على عينيه هنيهة، حاولت أن أتبين أي غباء يبدو منهما أو أي إشارة لتأخر عقلي لديه، لكن لم أفلح.. قلت:
- كانت عملية عادية، رجل أعمال يرغب في قتل منافسه الأكبر في السوق.. من المرات القليلة التي تقاضيت فيها أجري كاملاً قبل إتمام العملية، رجال الأعمال لا يقيمون وزنًا للنقود بقدر ما يهتمون بالشهرة والسمعة الحسنة..
- «الناس دي لو بتفطر وتتغدى وتتعشى فلوس كل يوم، الفلوس دي عمرها ما تخلص».
أكملت متجاهلاً تعليقه الصائب الناتج عن حقد طبقي بيّن:
- صورة الهدف كانت مستفزة، كان يشبه الفنان محمود ياسين، وهو سبب كافٍ لقتله.. عندما أرى محمود ياسين يجذب انتباهي طريقة نطقه حرف الراء، التي تحقق تداعيًا لطريقة نطق المرحوم عبد الله غيث الحرف نفسه، هل جذبت انتباهك طريقة النطق تلك من قبل؟
- نعم، طريقة مميزة.. أكمل حكايتك.

obeikandl.com

- راقبت الرجل لأدرس روتينه اليومي.. ككل رجال الأعمال، منظمين دقيقين روتينيين في مواعيدهم وتصرفاتهم، ولكن هذا كان يحيط به كثير من رجال الحراسة الشخصيين.. لذا فلم يكن القنص خيارًا ملائمًا، خصوصًا مع صعوبة الشوارع التي يمر بها لأنها واسعة جدًّا والمباني على جوانبها مرتفعة للغاية.. سطح أي مبنى لم يكن ليصلح، لذا قررت اختراق الحراسة ومواجهته بشكل مباشر لتنفيذ العملية..

- ماذا عن الوقت، ليس لديك الحياة بأكملها لتنفيذ مهمة تقاضيت عنها أجر بشكل مسبق.

- الوقت ليس مشكلة، أطلب شهرًا قابلاً للزيادة من العميل بحيث أعطي نفسي فسحة من الوقت لتنفيذ مهمتي، ولكنني لا أتأخر عن ثلاثة أسابيع في أبطأ الظروف، لدراسة سلوك الهدف في أيام العطلات لو أن أيام العمل لا تجدي معي.

- أنت دقيق للغاية..

- طبيعة المهنة.

أومأ برأسه ثم سأل ليحثني على الاستطراد:

- وكيف اخترقت حراسة الهدف؟

- في الوقت الذي تكون فيه الحراسة أقل ما يمكن.. كل رجل مهم له لحظات خاصة يرغب في الانفراد بنفسه فيها دون مراقبة من أحد.

غمز المعاقب متفهمًا وقال:

- علاقة غير شرعية.. أليس كذلك؟!

- هي كذلك في أغلب الأحيان، لكني راقبت أشخاصًا يقابلون أفرادًا فقراء من معارفهم أو ربما أقربائهم لا يرغبون في أن يظهر عن هذه الصلة خبر في الصحف أو السوق ككل.. أو يمارسون عادة أو هواية غريبة ويحبون أن ينفردون بأنفسهم لتأديتها.. ليست كل الأمور سيئة على كل حال.

طلبت ماء من المضيفة المارة فأومأتْ مبتسمة كما ينبغي لها، واستطردتُ:

obeikandl.com

- قال الرجل: رائحة البارود تداعب أنفي من جديد.. تعجبت لهذا؛ حيث إنني لم أكن قد أطلقت رصاصة واحدة منذ أسابيع!! ثم قال من جديد: أنت جئت لتقتلني أليس كذلك؟

لو لم أكن جاسوسًا على نفسي وأبلغت هذا الرجل بنيّتي فهذا الشخص يقرأ الأفكار ببراعة.. قال بعدها: لماذا لا تتوقف عن القتل؟ سألته: من تكون؟ وكيف عرفت أنني هنا لقتلك؟! أجابني ببساطة: أنا من استأجرك لقتلي..

طبعًا أنا أعرف شكل الهدف، ولكن لا يشترط أن أعرف شكل العميل، لذا ظننته مجرد يائس آخر من الحياة الرغدة التي يحياها، أو شعوره بالملل من الثراء والرفاهية على أشدهما فقرر القيام بمغامرة طريفة تودي بحياته لتجربة شيء جديد.. شيء مثير.. قلت:

- لن تجد غيري ينفذ لك المهمة التي تريد.

- سأجد.. لا تقلق من هذه الناحية.

- وهل ستعرض عليهم التوقف عن القتل؟

- ربما.

- إذًا لو قبل كل واحد فلن تحقق هدفك الذي أرسلت في طلبي من أجله.

- سأكون قد حققت هدفًا أكبر.. ولكن مهما فاوضت من قتلة محترفين، فليسوا جميعًا موافقين.. وسيحقق أحدهم غرضي بالتأكيد.

قلت له:

- يبدو أنك تنفق مبالغ طائلة على عمليات قتل فاشلة لأغراض نبيلة.

هز كتفيه دون إجابة، فقلت:

- لا بأس.. اعتبرني تقاعدت، ولكن بهذه الطريقة سيتحقق غرضك بعد وقت طويل.. سيتحقق في وقت ربما لن يكون فيه هو ذات الهدف الذي تريد تحقيقه.

- دعك من الفلسفة والمجادلة.. ما دمت تقاعدت - رسميًّا - فلي عندك طلب.

obeikandi.com

لم أرد فاستطرد موضحًا طلبه:
- حقق لي أمنية أخيرة أرجوك.

obeikandl.com

-٥-

في ظل الأمان الذي توفر لعناصر النظام المخلوع خلال إدارة المجلس العسكري للبلاد، ظهر يوسف غالي في لندن!

* * *

بحثتُ عن أحدث الإصـدارات في الأعمال غير الأدبية، فوجدت عناوين مستفزة حقًّا:

«الثورة ٢٠١١».. «اضحك مع الثورة».. «الأسبوع الأخير من يناير ٢٠١١».. «الأيام الأخيرة للمخلوع».. «ما حدث حقًّا في الميدان».. «كل أيام الثورة».. «شهادة فلان الذي حضر الثورة من أولها لآخرها»!! «أسرار النظام القديم».. «وزراء الرئيس المخلوع».. «رجال خلف كواليس الرئاسة»..

ما كل هذه الإصدارات عن الثورة التي لم تنتهِ بعد، وكل تلك الأسرار التي لم يكشفها أحد بعد.. إن سوق الكتب لتنحدر بجدارة!

رائحة الورق الجديد تزكم أنفي، لماذا لا يضيفون معطرًا للكتاب قبل تغليفه؟!

دُق باب الغرفة، فنظرت من عينه السحرية لأجد الشاب الخليجي، فتحت ليمد يده بمظروف قائلاً:

- وصل هذا من مصر.. ينقل لك المدير تحياته.

فضضت المظروف لأجد أن المدير يكلفني عملية قتل في «ليل»؛ حيث رجل قانون كويتي كان يشرّع القوانين الفاسدة كلها ليعتمدها مجلس النواب.. هناك رجل غير مشهور ولكنه داهية قانوني أكثر من فتحي سرور نفسه!

صور للرجل.. صور لسيارته.. جدول تحركاته.. تذكرة قطار للانتقال إلى «ليل» بتاريخ وتوقيت صباح الغد.. رزمة نقود تبدو كـ«عربون» العملية.

كل ذلك رائع فعلاً، ماذا جدّ خلال الدقائق الأخيرة على الـ«فيس بوك» إذًا؟!

حالة شخص ما يقول بتأثر:

obeikandl.com

«كل شيء يتلف فيصبح بلا قيمة أو استخدام، فبعد عامين لا يمكن عمل صيانة أو إيجاد قطع غيار لأي شيء.. الكمبيوترات والسيارات و(الحنفيات) والتليفزيونات.. حتى الوطن نفسه.. تأرجح سعر العملة.. هبوط أسهم البورصة.. عدم توافر عملة أجنبية لاستيراد ما يلزمنا..

العلاجات أصبحت شحيحة يتوافر بعضها فقط في السوق السوداء.. انقطاع الماء والإنترنت والكهرباء وخطوط التليفونات أمور عادية جدًا.. من وراءها؟».

أحد التعليقات:

«الشهداء الأوفياء الذين أخلصوا للثورة هم وراء ذلك بالطبع.. هل يمكن أن نشك في مجلس الحكم أنفسهم؟

هل نصدق الإشاعات المروَّجة بشأن تأديب الشعب المعارض لهذا المجلس؟ هراء بالطبع!».

لم أكن في مصر وقت اندلاع ثورة الجمعة.. لم يعرف أحد أن الجمعة ستكون ثورة.. كل الأمور تشي بالانتقال من سيئ إلى أسوأ هناك، لكن إلى متى؟

لا بد من لحظة يتوقف فيها كل شيء، ليتغيّر مسار كل شيء..

فمتى تحين تلك اللحظة؟!

* * *

- كان للرجل أمنية أخيرة.. الرجل الذي كان وزيرًا شريفًا فورطوه في فساد يضر بالوطن. ماذا تتوقع أن تكون أمنية شخص كهذا؟!

كذا سألت المعاقب فهز رأسه بلا رد، فقلت إن الرجل طلب مني قتل الوزراء الفاسدين في الحكومة.. بل ورئيس الحكومة نفسه، فسألته بتعجب: هل تريدني التخلص من الحكومة كلها؟ أجابني: ليكن.. ولمَ لا؟ ما دامت حكومة فاسدة.. فلتظهر حكومة جديدة أفضل تصلح من حال البلد.

- أولاً لا يمكنني فعل ذلك وإلا مت جوعًا.. فحكومة تصلح المجتمع يعني ألا

obeikandl.com

أمارس مهنتي التي أجيدها ولا أحصل على نقود تعينني على الحياة وتؤمّن لي المستقبل. ثانيًا نحن في مرحلة يكون التغيير فيها دومًا إلى الأسوأ.. كل مراحل الانهيار في الحضارات تبدأ هكذا، الاتحاد السوفيتي بدأ نهايته بهذه الطريقة.. هذه المرحلة يا سيدي الفاضل هي مرحلة ازدهار أمثالي، وإلا فلن أجد عيشًا في هذا البلد.

- أنا لا أعادي الأشخاص بل الأفكار.. الفساد أصبح فكرة يتبناها الجميع.

- لا فصل بينهما، فالأفكار تخلقها وتحويها عقول الأشخاص.. كما أن أحدًا لا يقدر على قتل الجميع، لكن يمكن توجيههم.

- أرجوك.. نفذ لي هذه الأمنية الأخيرة، وسأنقدك كل ما تطلبه.

- كان بإمكانك تنفيذ ذلك بنفسك.. أنت كنت قريبًا منهم بشدة.

- أنا عكسك تمامًا، لا أستطيع أن أقتل أي شخص على الإطلاق، بل لا أستطيع أن أركل قطة.. لذا أنا بحاجة لشخص مثلك.. شخص لا يكترث لمثل هذه الأمور.

سألني المعاقب بفضول.. أو ربما بملل:

- ماذا فعلت في نهاية الأمر؟ هل قتلت الرجل؟!

- قتله كان أمرًا حتميًّا مفروغًا منه.. لقد كان يشبه محمود ياسين، لا شيء يشفع له ذلك أبدًا!

ابتسم مسترخيًا في مقعده، بينما شعرت بأن ثقلا قد انزاح عن كاهلي، وفكرت أنه لو عاد ليتساخف علي مرة أخرى فسأقتله..

وربما لأول مرة.. بلا مقابل!

* * *

كنت أعد حقيبتي على خلفية صوت صراخ طفل بالحجرة المجاورة.. دُق باب حجرتي، فاتجهت لأجده الشاب الخليجي نفسه، فتحت أسأله عن ذلك

obeikandl.com

الصراخ، فقال:
- ربما هم سائحون.
- كنت أظنك أنت من بالحجرة المجاورة تلك.
تجاهل الرد وسألني:
- ألن تصلي؟
- نحن نصلي في الأفلام فقط..
- عن نفسي، أنا غير ملتزم دينيًّا كما ينبغي.. ولكن أتمنى أن يهديني الله حقًّا.
- أنت متجانس مع ذاتك، غير متناقض.. لم تخشَ أن تفصح عن أنك غير ملتزم.
- الحياة أكثر بساطة من أن نعقدها.
- للناس بين بعضهم المعاملات، وللناس مع ربهم العبادات.
قال مبتسمًا:
- من الطريف أن تخرج كل هذه الحكمة من فم قاتل محترف.
- أن أكون قاتلاً لا يعني أن أكون غبيًّا!
حمل حقيبتي التي أغلقتها وخرج لأتبعه صامتًا في اتجاهنا إلى محطة القطار.. هل سيرافقني إلى «ليل»؟ أم أن هذه مهمة شخص آخر؟!
ماذا ستكون جنسيته هذه المرة يا ترى؟!

* * *

obeikandl.com

-٦-

القطارات فائقة السرعة (T.G.V) هذه، تذكرك بالطائرات من حيث السرعة والفخامة نفسها، أما إذا حاولت عمل مقارنة مع قطار إسكندرية - القاهرة الذي قابلت فيه رجل إيتاي البارود الغامض، فأنا أظلم كل شيء حتمًا..

في القطار فتحت مجموعة قصصية، قرأت مقدمتها لأجدها ظريفة حقًّا..

«قبل ثورة ٢٥ يناير كنت أكتب قصصًا متفائلة.. أشياء عن الفساد والجوع والتشرد والقهر والظلم، أما بعد الثورة، وفي هذه المجموعة المتواضعة بين يديك.. ستقرأ قصصًا عن المزيد من الفساد والمزيد من الجوع والمزيد من القهر والظلم.. كل شيء آل إلى أسوأ مما كان عليه.. أحيانًا تجد نفسك في حالة ضيق لا تدري لها سببًا.. أنت غالبًا لم تبحث عن سبب هذا الشعور، فقط استسلمت له ولم تحاول تغيير حالتك.. قد يكون السبب هو شعورك بالحر، أو البرد دون أن تدرك أن هذا هو السبب.. قد يكون السبب موقفًا لمحته في الشارع ولم تكترث له، لكنه ترك في نفسك أثرًا.. قد يكون السبب مشهدًا أو مكانًا استدعى لديك ذكرى سيئة ما.. الناس توقفت عن إعمال عقولها بالتفكير، واكتفت بجعله مخزنًا لكل المستقبلات، بلا تحليل.. بلا منطَقة للأمور».

فعلا، التركيز أمر مهم بالنسبة لي.

دخل محصل التذاكر وقال كلامًا شيقًا بالفرنسة لم أفهم منه حرفًا، فاكتفيت بإبراز تذكرتي مبتسمًا وعدت لأندمج في المجموعة القصصية هذه.. الرحلة إلى «ليل» ليست طويلة جدًّا على كل حال.

* * *

سألني المعاقب:

- ألم تشكّ في أمر حصولك على كل أجرك قبل إتمام المهمة.. على غير العادة؟

.....-

- ألا تحب أن تسمع أطرف قصة عقاب كلفتني إياها المنظمة؟!

obeikandl.com

.....-

- هل تكرهني؟

- جدًّا، لو أن معي مسدسي لأفرغت رصاصاته كلها فيك بلا لحظة تردد.

ابتسم كأنما هو سعيد أن كرهته.. ورغم ذلك لم يكف عني، بل قال:

- المدير يحبك جدًّا.. كأنك قريب له أو كأن بينكما علاقة قديمة.

هذه ملاحظة مهمة حقًّا، أنا أشعر بذلك القصير يحبني فعلاً، ولكن لم أفكر بجدية في سبب لذلك.. هل قابلته من قبل؟

كنت لأتذكره.

هل استأجرني في عملية من قبل وأعجبه أن نجحت في إتمامها؟

هذا أقرب للمنطق.

أكمل:

- يقول المدير: هناك طريقة أخرى تجعلك متخفيًّا غير حياة الانطوائية.. تلك الحياة التي أظن أنها تبعد عني الأعين.. فانتظرت أن يستطرد في حديثه حين سكت لحظة في محاولة لإثارة تشويقي، ثم أكمل:

- أن تكون واضحًا أكثر من اللازم.. أن تكون نجمًا..

ثم أدار بصره ناحيتي متسائلا:

- ما رأيك في ذلك؟

- فكرة فيلم «الصعود إلى الهاوية»..

جاوبته بلا تفكير وقد تبادر لذهني فكرة «المعاقب» من فيلم أمريكي بالاسم نفسه.. هذه المنظمة نشأت من أفكار سينمائية بحتة على ما يبدو.. ولكنها ناجحة، مما يدل على أنها وظفت تلك الأفكار السينمائية بشكل واقعي ملائم.. كون المدير مؤلفًا يفيده كثيرًا في استغلال هذه الأفكار وتحويرها لتلائم الوضع الراهن لكل شيء.. لكن.. لماذا يستخدم أفكار الأفلام هذه مع هذا الشخص تحديدًا؟ سألته:

- لم انضممت للمنظمة؟ كيف اختاروك لهذه الوظيفة الغريبة جدًّا؟

obeikandi.com

- المعاقبة وظيفة غريبة جدًّا بينما القتل وظيفة عادية؟!
إنه غبي فعلاً، كنت بحاجة لهذه اللمحة لتأكيد شكوكي ناحيته.. فاستطرد مجيبًا سؤالي:
- الأمر يعود لما كنت عليه قبل الانضمام للمنظمة.
سمعته يكمل وأنا أفك حزام كرسي الطائرة:
- كنت ضابطًا بجهاز أمن الدولة.. أنت تعرف هؤلاء الضباط الأنيقين الودودين دائمًا الذين يتركون لديك انطباعًا بأن ذلك الجهاز هو حصن الأمان الأنيق للمواطن العادي.. حتى إنك تشكك فيما تسمعه عن أفعال تعذيب تحدث في أقبيته، وعندما تتشجع بالسؤال عن تلك الشائعات يفيدك من تربطك به صلة منهم بأن هذا يتم مع الخونة أعداء الوطن.. أو المجرمين شديدي الخطورة، وأنها حالات نادرة يقوم الإعلام بتهويلها لا أكثر.. لا وجود لتلفيق التهم ولا استغلال أفراد الأسرة لجلب متهم ولا عمليات اغتصاب وهتك أعراض.. كل هذا محض «شو إعلامي» لترويج الصحف لا أكثر.. أنا أحد هؤلاء الكاذبين يا عزيزي، ولولا أساليبي المبتكرة في استخراج الاعترافات من المواطن لما اهتمت المنظمة بضمي إليها وإغرائي بمبالغ نقدية كبيرة أكثر مما كانت تنتظرني لو استمررت في سلك أمن الدولة الذي ينتج وزراء الداخلية طوال الوقت.
انتابتني رغبة ملحة للتقيؤ حقًّا.. إن القتل - الذي يسخر منه - لأهون مما حكاه بكثير، أن تسمع عن كل مفاسد ذلك الجهاز وتعتبره شيئًا قابلاً للتصديق شيء، وأن يؤكد لك شخص من داخل الجهاز أن كل ذلك حقيقي فعلا شيء آخر.. المجد للأفلام والروايات التي تناولت هذه الأمور بصدق إذًا، لم يكن الأمر مجرد فن، بل تأريخ.
أفرغت معدتي في الحمام الضيق بالطائرة وعدت ألهث إلى مقعدي السخيف بجواره وكل ذرة في تمقته، لربما أمنحه رصاصة فعلاً لو أتيحت لي الفرصة.. تنتابني رغبة محمومة لفعل ذلك الآن.

* * *

قررتُ إنشاء شركة..

شركة تعمل في أي شيء ظاهريًّا، ربما شركة إنتاج فني؛ ليسهل الحصول على وجوه جديدة من المواهب..

«الشخص للإنتاج الفني والتوزيع»!

سأتعامل من خلالها مع القتلة الذين سيكونون المهمة الرئيسية لهذه الشركة.. قتلة أتعرف إليهم وأدربهم.. قتلة يستمرون في أداء هذه المهمة الجليلة من أجل صالح الشركة.. والمجتمع!

التغيرات السياسية تتبعها بالضرورة تغيرات اقتصادية في دولة تعتمد في إداراتها على الأفراد لا على النظم.. لهذا يدرسون في الجامعات «سياسة واقتصاد»، وهذه تختلف عن «اقتصاد منزلي» بالطبع!

لكي يكون هناك تغيير سياسي ما، لا بد من دماء ما تسيل.. ولكي تسيل دماء ما، لا بد من قاتل محترف.. الأجهزة الرسمية تعج بالأفضل، غير أنه في كثير من الأحيان لا بد أن يلجأوا لشخص غير معروف وغير مدرج على لوائحهم الرسمية.. لأسباب غير رسمية وغير شرعية وغير إنسانية، وقد تكون شخصية إلى أقصى حد، حتى ولو كان «أمن الوطن» هو الشعار الرسمي لعملية إسالة الدماء الـ...ما.

ستلجأ الحكومات لشركتي بأفرعها الموجودة في أكثر من دولة.. سيلجأ رجال الأعمال والسياسة والزوجات الخائنات لموظفيّ ليقوموا بما لا يستطيعون هم القيام به.. وعندما أحقق ما يكفيني من ثروة لن أطمع في المزيد.. سأقوم بتصفية الشركة، وتسريح كل الموظفين في كل الفروع، لن أتعاطف مع كل هؤلاء القتلة لمجرد استمرار التعامل مع الضرائب والجهات الحكومية المستفزة الأخرى.. كل شيء لا بد أن يأتي له وقت لينتهي..

ينتهي ليبدأ عهد جديد بعدها، عهد يتحكم فيه ليس رجال السلطة ولا النقود.. بل القتلة!

هؤلاء القتلة الذين سأقوم بتسريحهم من الشركة، سينشئون بدورهم أعمالهم الخاصة.. ويدربون قتلتهم الخاصين..
ليس أكثر من هذا أريد التحقيق أبدًا!!

obeikandl.com

-٧-

اقترح أحد مؤيدي التيار الديني استيراد جهاز «شفط الصوت» واستخدامه في تقليل الضوضاء الناتجة عن هتافات المليونيات!!

ألهذه الدرجة تصل رغبتهم في قمع الحريات؟!

* * *

ناولني الشاب الخليجي مظروفًا ضخمًا، موصلاً تحيات المدير إليّ.. فضضت المظروف لأجد رسالة مقتضبة توضح أن لدي مهمة قتل في تركيا، التي لا أعرف موقعها بالنسبة لفرنسا بالمناسبة، لا بد من العودة إلى «Google Earth»* لمزيد من التفاصيل إذًا.

كالعادة صور الأشخاص/ الأهداف وجداول بمواعيد وعادات كل منهم.. لا أحد يتعلم أن الروتين سيقضي عليه يومًا ما.

مظروف صغير يحوي تذكرة طائرة على خطوط «إير فرانس»، انتقالي إلى فرنسا كان على الخطوط الجوية نفسها.. مظروف صغير آخر يحوي بعض النقود باليورو، ومظروف ثالث يحوي عملات أخرى بالعملة التركية على ما يبدو «ليرة تركية».

كان الشاب ما زال واقفًا عند باب الغرفة في الشقة المستأجرة في «ليل»، لم يخرج كما جرت العادة، لم يكن هناك حجز في فندق فاخر ولا أدري السبب.. فنظرتُ إليه ليبتسم وهو يقول:

- موعد الطائرة بعد أربع ساعات، ما زلنا بحاجة للعودة إلى باريس.. بالكاد يكفينا الوقت للحاق بها.

لم ألحظ موعد الرحلة فعلا، لكن أومأت برأسي وبدأت تجهيز حقيبتي وظل هو منتظرًا حتى أتممت كل شيء، فحمل الحقيبة وتقدمني لتوصيلي.

في صالة الانتظار بالمطار علق أحد الركاب على قوانين فرنسا الخاصة بمنع

obeikandl.com

نقاب المسلمات وإتاحة جواز المثليين.. أعتبر مثل هذه الاهتمامات نابعة عن فراغ كبير يملأ هذه الشعوب فعلا.. إنهم عناصر جيدة للتدرب على القتل، فهم تافهون حقًّا.. خاوون حقًّا، حتى لو أنهم متقدمون علميًّا.. فما شأن أي شخص أو مجتمع بما يرتديه أي إنسان!! كل شخص بالغ هو مسئول عن نفسه.. يعبّر عن نفسه.

هذه مشكلة قديمة أثارت حماس المسلمين لفترة ثم خبتت تمامًا، لكن أحدهم علق رغم ذلك قائلاً:

- لا أحد يعمل في «بار» ويطلب ألا يقوم بتقديم الخمر يا سيدي، من لا تعجبه قوانين دولة فليتركها إلى غيرها.

لم أخرج المظروف لمراجعة المهمة ودراسة التفاصيل خشية وجود كاميرات مراقبة بالمطار، انتظرت أن أنفرد بكرسي في الطائرة لبدء ذلك..

في الطائرة بدأتُ ذلك بشكل سريع بينما طاقم المضيفات يوجه الركاب لأماكنهم قبل الإقلاع، استغللت الفرصة لتكوين خطة جيدة مع كثرة عدد الأهداف هذه المرة.. فلا يعقل أن تمر الأمور بسلام مع اغتيال أربع شخصيات مهمة في وقت وجيز كهذا.

سأقوم بالعمليات اللازمة كلها خلا واحدة.. عليهم تنفيذها عن طريق قاتل آخر بعد خروجي من الدولة؛ كي لا يتم الربط بين العمليات والموجودين خلال تلك الفترة داخل البلاد.. سأترك للمنظمة العملية الأسهل، وسأخبرهم بخطتها.. فقط المنفذ شخص آخر.

هذا بشكل مبدئي، أما كيفية التخلص من كل واحد فستحتاج لاستفاضة في دراسة الجدول اليومي لكل منهم.. لذا أعدت كل شيء داخل المظروف مرة أخرى مسترخيًا حتى أصل إلى إسطنبول، ترى من سيكون في استقبالي هناك؟ من أي جنسية؟ أين ستكون إقامتي.. فندق أم شقة مستأجرة؟!

جلستْ بجواري امرأة عجوز لكن تبدو بصحة جيدة، كما أنها لا تبدو مصرية على الإطلاق.. تذكرت المعاقب وسخافته، لقد خلصت إلى أنه ربما واحد من

«الرجال الذين لم يعودوا كذلك»*.. قهرته الظروف والأوضاع ليكون كائنًا ما غير البشر، يعمل على تعذيب الآخرين وتلفيق التهم لهم دون أي تأنيب ضمير لمجرد أنها «تعليمات» لا يد له فيها.. بعد ذلك يجد فرصة أفضل.. أجرًا أكبر بتعذيب أقل، لربما هو لديه ضمير رغم كل شيء.. وربما هو الطمع لا أكثر.

ابتسمتْ العجوز قائلة: «أنا بتكلم مسري كويس»..

محاولات الأجانب الظريفة دومًا التي نحبها نحن المصريين لمجرد أنهم يستطيعون إلقاء كلمة أو اثنتين بلغتنا.. ابتسمت لمصريتها الركيكة نوعًا، وسألتها:

- هل أنتِ تركية؟

- «آيوا.. بس أنا عِشِت في مسِر كيتير».

بدأت أفكر إن كانت تتبع المنظمة بدورها.. فأنا على ما يبدو لم أعد أقابل غرباء، كلهم زملاء عمل في المنظمة هذه الأيام.

أومأت برأسي وعدت لاسترخائي مغلقًا جفنيَّ هذه المرة.. وبدأتْ الطائرة رحلة الإقلاع.

-٨-

قام أحدهم بعمل «مشاركة» لجزء من مقال صحفي نصه: «كان الخيار بين أفضل الأسوأين، وهو ما أسفر عن سعادة المواطن بتوافر الكهرباء لمدة ساعتين في يوم ما من أسبوعه ليعرف شيئًا جديدًا عن الحياة عبر التليفزيون أو الإنترنت.. نعم، ما زال هناك إنترنت ولكن لا كهرباء لتشغيله، معظم هواتفنا المحمولة فارغة من الشحن ليقل التواصل بين الناس، مع ازدياد حالات الاضطراب والعصبية بينهم لقلة نومهم في الصيف.. لا مراوح.. لا أجهزة تكييف.. حياة رائعة بلا شك مقارنة بمن عاش وحيدًا في الصحراء منذ ألفي عام مثلا».

* * *

«يريد المدير التحدث إليك»..

قالها ذلك الشاب وهو يناولني «موبايله».. قبل أن أضع الجهاز على أذني جاءني الصوت متوترًا عصبيًّا، الكلمات تلاحق بعضها:

- عملية لها الأولوية القصوى..

- عندي ما ليس عندك، وعندك ما ليس عندي.. مهارتي أقدمها لك، ونقودك تعطيها لي.

قال بكلمات عصبية سريعة:

- هذه المهمة عاجلة، أهم من أي شيء تم تكليفك به، يجب أن تحضر إلى مصر فورًا.. وجهز خطتك في طريق العودة، كل شيء يتم الإعداد له الآن لتصل بأسرع ما يمكن.

سألته بعصبية قد تكون انتقلت إلي بعدوى منه، أو لخطورة سفري لمصر في هذه المرحلة:

- ألا يوجد خطر أمني من عودتي الآن؟

obeikandl.com

كرر بنفاد صبر:
- كل شيء يتم الإعداد له الآن، لا تقلق.
- ما نوع المهمة؟
- مهمة قتل طبعًا، حتى الآن ستكون المهمة في بورسعيد.. اسمع..
سكت هنيهة فاستعدت ذكرياتي مع بورسعيد، تلك المدينة الصغيرة الواقعة على ساحل البحر المتوسط.. المدينة الحرة.. قمت هناك مرة بعملية قتل، كان أحد المرشحين لمجلس الشعب يرغب في التخلص من منافسه الأقوى، فخلصته منه بمقابل رائع.. حقيقي أن هؤلاء الأعضاء يربحون جيدًا من المجلس الموقر.. ما شغلني وقتها هو: كيف يجنون أرباحًا كبيرة من عمل تطوعي؟!
ثم قال بصوت خفيض متردد:
- ما سأخبرك به الآن يجب ألا يتسرب بأي شكل من الأشكال.. واضح؟
- منذ متى وأنا أسرب معلومات عن مهامي يا مدير؟! انتقل إلى لب الموضوع.
قال بتوتره الذي بدأ ينتقل إليّ:
- أنا لست ذلك الكاتب الذي تظنه.. أنا أشبهه كثيرًا، في الواقع هو أحد أقربائي لذا الشبه بيننا مبرر، وأنا أعرف عنه الكثير وقد استغللت كل الذي أعرفه عنه.
صمت لحظة ربما ليفكر فيما يقول.. أو فيما سرده، ثم استطرد موضحًا:
- استغللت ذلك في الخير، في إنشاء المنظمة وأهدافها النبيلة.
يتسرب الشك إلي بتردد.. شك في اقتناع هذه المنظمة بأنها تعمل لصالح الدول العربية وكل ذلك الهراء الذي لا يعنيني حقًّا.. ثم مسألة التشابه المكررة هذه!! أكمل:
- أنا شخص نكرة وهو شخص معروف له علاقات، استغللت معارفه لتكوين المنظمة والعمل لصالح الوطن.. الوطن العربي ككل، نُبل الفكرة وسمو هدفها مع اسم قريبي جعلا الكثيرين يستجيبون، وحققنا الكثير من النجاحات

بالفعل.. منعنا مخاطر وتخلصنا من خونة.. نهضنا ببعض الأمور السياسية والمجتمعية.. حققنا الكثير من التآلف بين عدد من الدول العربية، وما زلنا نطمح في المزيد.

سكت ولم أعلق ريثما يفرغ كل ما في جوفه، كان الشاب قد ترك «موبايله» وخرج لأصبح وحيدًا بحريتي مع المدير. التدريبات أو التعليمات التي تقوم بها المنظمة فعالة بشكل باهر.. أخيرًا أكمل:

- أقمت كل شيء عبر الاتصالات والمراسلات، سافر قريبي للعمل في لوس أنجلوس - أمريكا، لم تكن أموره الاقتصادية على ما يرام رغم براعته الأدبية والجوائز التي حصل عليها.. متطلبات حياته وحياة أسرته وقدراته اللغوية أهّلته للحصول على هجرة إلى أمريكا، كان خَجِلاً من فكرة السفر وترك الوطن، وكنت على علم بكل ما يفكر به ويخطط له.. فأقنعته أن يختفي بهدوء.. فالأدباء والعلماء لا مكان لهم في العالم العربي هذا، كل شيء سيكون على ما يرام هناك.. في أرض الأحلام.

كنت ألاحظ نبراته وأفكر بكلماته وأحاول الوصول لدرجة الصدق/ الكذب التي يتحدث بها لأتبين حقيقة ما يسرد حقًّا:

- توافرت له بطاقة خضراء في الولايات، وعن طريق اتصالاتي به أقنعته بعدم جدوى العودة ولو لإجازة في مصر ما لم يشبع من أمريكا ويحقق ذاته في دولة تقدّر المواهب والكفاءات.. والآن هو في مصر، تفاجأت بالخبر، وقررت أن التخلص منه أمر حتمي في ظل ظروف البلد ونشاط المنظمة.. وجوده خطر على المنظمة لو أعلن عن نفسه وعاد لحياته ومعارفه الذين أستغلهم.. أستغلهم للصالح العام طبعًا.

قلت:

- صدقني لم أُعنَ قط بأسباب أي عملية قتل أقوم بها ما دمت أنال أجري الذي أريد.. لكن خسة بهذه الدرجة لم أقابل.

بهت الرجل من جرأتي.. ربما وقاحتي.. شعرت من أنفاسه المتلاحقة أنه

مفحم من ردي عليه، قال بتردد:
- كالعادة ستنال الأجر الذي تريد.
- خِسَّتُك مع قريبك تجعلني أشك في حرصك على سلامة رجوعي إلى مصر، وجهي والبرنامج الذي ظهرت به، الشك الذي يلاحق العائدين في الجوازات.. فكيف أثق بك؟!
- لقد أخبرتك كل شيء بأمانة، ليس عليك أن تحكم على سلوكياتي ولا أن تشك في ضمانتي لسلامتك.. ليست هذه أول تعاملاتنا معًا.
- ربما تكون الأخيرة، لقد أصبح لك هدف أكثر أهمية من كل شيء آخر، حتى من العمليات التي كلفتني إياها في تركيا والتي هي - كما أخبرتني - لصالح الوطن كله.
في لحظة تحول المدير من شخص واثق بنفسه طوال الوقت.. يترقب ردود أفعالي طوال الوقت.. إلى شخص قلق متوتر خائف.. كل ما كوّنه في شخصيته عبر تلك السنوات انهار في لحظة. طرقت على الحديد الساخن:
- أنت لا تثق بنفسك كثيرًا إذًا، وجود شخص ما يمكنه أن يقضي عليك.. على منظمتك.. حلمك.. طموحك.. شخص واحد على كوكب الأرض قد ينفع البعض أو ينفع الكل.. يؤذي البعض أو يؤذي الكل.. بقصد أو من دون.. كيان مثل منظمتك يمكن أن ينهار ببساطة لانتقال شخص ما من بقعة إلى بقعة أخرى على سطح الكرة الأرضية.. يا له من كيان واهٍ إذًا.
سكتُّ لحظات ألتقط أنفاسي وأسمع أنفاسه المتلاحقة قبل أن أستطرد:
- لو أن منظمتك - الطيبة - تعمل للصالح العام لما اكترثت لظهور قريبك الذي تشبهه، كان ليقدّر كل ما فعلت ويعمل على دعمك ودعم مشروعك.. لكن خوفك يعكس حقيقة الأمر، ويؤكد شكوكي حيالك.
- الجدال والسفسطة لا مجال لهما في هذا التوقيت.. الأمور تزداد اشتعالاً في مصر، ولا بد أن أركز في محاولات إصلاح الوضع.. اعتبرها مهمة تنال عليها أجرًا كغيرها، اتفقنا؟!

- سأدرس وضعي الأمني أولاً.. لن تفيدني النقود لو تم القبض عليّ.
قال بشيء من ثقته القديمة:
- صدقني كل شيء يتم إعداده وتجهيزه لأمنك وسلامتك.. أنا بحاجة إليك أكثر مما تظن، لذا لن أألو جهدًا في الحفاظ عليك.
كان حديثه مقنعًا، ورغم ذلك قلت:
- مؤقتًا.. ستحافظ على أمني مؤقتًا حتى تنال غرضك من قتل شبيهك.
زفر بنفاد صبر قائلاً:
- الأمور المحتدمة تحتاجك هنا أكثر من أي وقت سبق.. أكثر من أي مكان آخر.. البلد ينهار لو أنك تتابع التطورات.
كانت الدولة تنهار فعلاً.. أمامي على موقع التواصل الاجتماعي كتب أحدهم: «الناس يتحولون إلى (زومبي).. حفنة أغبياء مغيبين يتبعون غريزة الجوع دون غيرها.. الجوع للأكل، الجوع للجنس، الجوع للقتل نفسه.. لمجرد أن البعض يسعى لإشباع جوع السُلطة، والتمتع بكل ما يتحقق منها».

* * *

أكد كلامه قائلاً:
- مجرد عملية قتل أخرى.. اتفقنا؟
- ألا تخشى أن أقتلك أنت؟
- بشدة.. غضبة قاتل محترف، أو رغبته في الانتقام، ليس أسوأ منهما سوى كيد النساء يا عزيزي.
لم أميز في نبرته إن كان صادقًا، أم أنه يجاملني كطفل يستعرض قوته.. أنهيت المكالمة وجلست أفكر للحظات قبل أن يدلف الشاب من جديد ليسترد «موبايله» ويقف متسمرًا دون كلمة.. فسألته لأحثه على الكلام:
- ما خطوتنا التالية؟

نظر في ساعته وقال بآلية:
- الساعة الآن الثالثة عصرًا، أول رحلة إلى القاهرة في التاسعة مساء.. خلال ساعة على الأكثر ستردني معلومات بتمام حجز تذكرة سفر لك على هذه الرحلة، أو الرحلة التالية لها.. الرابعة فجرًا.
أومأتُ برأسي مفكرًا أن المدير - رغم كل شيء - يرغب في وضعي أمام الأمر الواقع.. ليس هناك احتمال لأن أرفض العملية.. اعتداده بنفسه جعله يدبر كل شيء قبل أن يتحدث معي.
ظل الشاب واقفًا، فقلت له كي ينصرف وأنا أهز رأسي:
- حسنًا، شكرًا.
كان مصريًّا هذه المرة، يبدو أن المنظمة لا توظف الفتيات حقًّا، فغير تلك السكرتيرة التي ترغب في الانتقام لم أرَ فتاة أخرى في المنظمة..
استقبلني هذا المصري في «مطار أتاتورك الدولي»* وتحرك بي في سيارة فارهة إلى هذا القصر الشاسع على أطراف - أو ربما خارج - العاصمة، المحاط بمساحة هائلة من الخضرة والورود الملونة الواصلة رائحتها إلى غرفتي هنا..
أعددت خطط العمليات الأربع وقمت بتنفيذ واحدة بالفعل.. كان رجل أعمال لكني لم أعرف سبب رغبة المنظمة في قتله، ومرت العملية بسلام حين تواريت خلف الأشجار المحاطة بسور حديقة قصره من فوق سيارة نقل.. تم تضليل كاميرات المراقبة الخارجية بمعرفة فني متخصص وفرته لي المنظمة، وأطلقت رصاصتي على الرجل في غرفة نومه فور استيقاظه ونهوضه عن السرير..
مواعيده الدقيقة هي السبب في قتله، لا أنا.. ولا أظنه شعر بشيء على أي حال، المفاجأة وفرت عليه الكثير من الذعر حتمًا.. كأنما هو تقلب في فراشه واستمر في نومه لا أكثر.

هناك توقيت مناسب للتصويب وإطلاق الرصاصة المكتومة.. ويسعد الجميع

بعدها حين أحصل على باقي الأجر.

كنت قد أعددت خطط الشخصيات الأربع، أما الذي قررت ترك مهمته لقاتل آخر بعد خروجي من الدولة فكان تاجرًا.. مجرد تاجر له محل كبير في السوق، وضعت له خطة أنيقة تليق بقاتل لا أعرف عن مهاراته شيئًا.. حيث سنضع مظروفًا يجذب انتباه الهدف في أثناء دخوله منزله، يتفحص المظروف وهو يتقدم مغلقًا باب شقته ويظهر من خلال النافذة منهمكًا في فض المظروف، سيكون على القاتل البديل استغلال اللحظة برصاصته هو الآخر..

هكذا تجري الأمور..

بدقة..

وسرعة..

في صمت.

obeikandl.com

-٩-

اليدان القادرتان على مسح دموعك والتربيت على كتفيك بوداعة أم.. فيهما عشرة أصابع قادرة على فقءِ عينيك عشر مرات ببراعة قاتل!

* * *

ليس هذا ما توقعوه في أثناء القيام بالثورة.. سواء أقامت بإرادة الشعب أو بأجندات خارجية، تدمير مصر ليس في صالح أحد حتى إسرائيل نفسها.. إسرائيل لن تخسر عدوًا وهميًّا فتخسر تمويلاتها المادية والعسكرية من راعيتها الأم.. ما حدث لا مبرر له سوى الغباء.. وحدهم الحمقى يدمرون أنفسهم وأحباءهم، بل ومحيطهم كله..

تم نشر البلطجية لأسباب كثيرة منها تحريض الناس ضد الثورة.. اتخاذهم ذريعة لاختطاف النشطاء السياسيين ومديري حملات الدعاية لمرشحي الرئاسة من قبل أجهزة أمنية تابعة للنظام القديم، وربما لبعض المنافسين على الرئاسة نفسها! فأمور البلطجة امتدت ليستخدمها الجميع تقريبًا.. على كل المستويات..

أما القتل فأصبح مجانيًّا مما بخس قيمته كثيرًا..

هذا البلد لم يعد يصلح لي.. لكن كيف السبيل للوجود في دولة أخرى؟!

سحقًا له المدير.. أفسد كل شيء بغبائه.

قال الضابط:

- دعك من كل هذه الأمور السهلة، اتبعني لترى العمل الحقيقي هنا..

نهضت وراءه في قسم الشرطة ناحية الحجز المؤقت، كتلة هائلة من البشر داخل مساحة صغيرة للغاية بين القضبان الحديدية تصدر منهم رائحة قذارة لا توصف.. دماء جروحهم الملوثة، عرقهم وما يخرجونه من أحشائهم أو أنوفهم أو...

obeikandl.com

شخص آخر معلق في غرفة قريبة مفتوح بابها ويتم جلده من قِبَل ما يبدو «مُخبر شرطة» بينما «مخبر» آخر يصفع الشخص المعلق نفسه..

مشاهد تذكرك بكل ما قيل عن أمن الدولة وما يتم في أحشائها.. تذكرك بخالد سعيد*.. تذكرك بكل أسباب الثورة المصرية عام ٢٠١١.. مشاهد تذكرك بألا فائدة من كل ما سبق، فالأمور تسير على ما يرام بالنسبة للجميع.. الجميع من الباشاوات في هذا البلد.. بمن فيهم المدير نفسه، تسير الأمور على ما يرام بالنسبة له قبل وبعد الثورة الفاشلة حقًّا.

قال الضابط:

- بعد قليل سيأتي «صيّع» وبلطجية أصدقاء لأي من هؤلاء المتشردين الذين نضربهم محاولين اقتحام القسم لإخراجهم، الأمر تغير قليلاً بعد الثورة.. إلى الأسوأ!

لم أعلق فأردف قائلاً:

- ألم تلاحظ أنه في الآونة الأخيرة أصبح الشر هو الذي ينتصر في النهاية؟ حتى في الروايات والأفلام، لا الواقع فقط.. هناك دلالة ما وراء هذا، والأذكى هو من يدرك معنى هذه الدلالة.

- اقتراب نهاية العالم؟!

ابتسم عائدًا بي ناحية مكتبة الفخيم وتكييفه البارد معلقًا:

- لا تكن بسذاجة العامة.. أنت أقدر مني على الملاحظة، وعلى الاستنتاج.

- أن يتحول الجميع إلى أشرار.

- رائع.. لذا فقط توجب علينا أن نقوم على نصرة الخير بأي شكل، وإلا انتشر الفساد أكثر.. شخص ينتقم بقسوة.. شخص يسرق بلا ضابط.. شخص يقتل دون تردد.

دار في ذهني أن الشرطة/ الجيش على الحدود بحاجة لقناصة من أجل اغتيالات لا تثير أزمات دبلوماسية مع إسرائيل، لا أدري الرابط ولكن هذا ما جال بخاطري بينما الضابط يكمل:

obeikandl.com

- عندما ترتب عناصر المعادلة يبقى الناتج كما هو في كل مرة، صدقني.. ثورة أو لا ثورة.. قتل أو لا قتل.. منظمة أو لا منظمة.. الأمور تسير في ركابها رغم كل شيء.. رغم كل المحاولات.

أفقت على كلمة «منظمة»، كأنما كنت مغيبًا فعلاً.. كيف لم يجُل بخاطري دور المدير في القبض علي بعد أن حققت له غرضه؟! قلت:

- على الحكومات إدراك أنها تعمل من أجل تحقيق احتياجات ورغبات الشعوب، لا تحقيق احتياجاتها ورغباتها.. أو تحقيق - بافتراض حسن النية - ما تراه من وجهة نظرها مناسبًا للشعب.

- مهاترات لا قيمة لها.. أي شخص في منصب لا ينتظر أن يُملي عليه أي شخص شيئًا.. المصري تحديدًا إذا تقلد سُلطة كبرت بداخله بذرة الفرعون حتى يصل إلى أقصى منصب يمكن الوصول إليه؛ فيشعر من داخله بأنه إله.. تمامًا كما حدث مع فرعون، ثم يبتلعه البحر ويصبح عبرة.. فقط لمن يعتبر.

* * *

نهضتُ من الغفوة فزعًا على الرصاصة التي أطلقها صديق أبي.. منذ فترة لم يأتني هذا الحلم، فمارست طريقتي التقليدية في التغلب على الأرق كلما لازمني، بدّلت موضع قدمي برأسي على السرير.. طريقة تؤتي أُكلها في معظم الأحيان.. هذه المرة ليست ضمن «معظم الأحيان»، فذهني مشغول بكل الأحداث المتلاحقة الأخيرة..

المهمة الأولى التي نفذتها في تركيا واستعدادي للتالية..

مكالمة المدير لأنتقل إلى مصر/ بورسعيد تاركًا كل شيء من أجل عملية أكثر أهمية..

تحقيق المهمة وقتل الرجل الذي انتحل المدير صفته وحياته وأنشأ عليها حياة أخرى أكثر تشويقًا..

obeikandl.com

القبض علي تحديدًا ضمن كل ركاب «الباص» المتجه إلى الإسكندرية كأنما قد وُشي بي..
عدم اتيان الضابط على أي تهمة تستحق أن يقبضوا عليّ بسببها..
استعراض الضابط قدراته وفلسفاته ثم السماح لي بالانصراف كأي صديقين لم يتقابلا منذ فترة طويلة..
ما الذي قصدته المنظمة من ذلك؟
استعراض جديد لقوتهم؟ علاقاتهم؟
محاولة استرجاع ثقتي بهم مجددًا؟
تهديد غير مباشر؟
هذا ما ملأ رأسي في أثناء رحلتي حتى وصولي إلى الإسكندرية أخيرًا.. منزلي كما هو والغبار يملأ المكان.
وأخيرًا وقبل أن ينتهي اليوم، لا بد من اللمسة السحرية كالعادة..
اتصال مباشر من المدير.

obeikandl.com

-٨-

الغضب يجتاح الشوارع في مصر.. موكب الرئيس الجديد في أقل أعداده للتأمين، عناصر وزارة الداخلية مستاءون منه ومن فشله ومن نظرة المجتمع إليهم..

عمليتك القادمة ستكون هي الأكثر أهمية في تاريخك كله..

ستقتل الرئيس!!

* * *

بادرت المدير فور رؤيته قائلاً:

- لماذا لا تستخدمون النساء في المنظمة، لم أرَ أنثى سوى الفتاة الشقراء إياها.

كان قد حدد لي موعدًا فوريًّا التقيته فيه، وجال بخاطري ماذا كانت خطة الصبي لقتل الفتاة الشقراء.. هل نفذ الخطة التي أعددتها له؟

أم اختلق واحدة خاصة به؟

هل تخلص من الفتاة فعلاً أم فشل في ذلك.. أم تقاعس عن الفكرة برمتها؟

عن الطريق الذي رسمته له ككل؟

وتُرى أين يكون هذا الصبي الآن؟!

قال المدير:

- لم أجد أنثى تلقائية لا تجيد التمثيل، لا تدّعي غير ما هي عليه، للأسف..

كلمات حكيمة تصدر عن أديب فعلاً، غير أن هذا المدير ليس أديبًا، بل ينتحل شخصية واحد.. كنا نصعد سلمًا كهربائيًّا في «مول سان ستيفانو» بالإسكندرية، فألقيت بنظري على واجهات المحلات وأشكال الناس التي افتقدتها حقًّا وأنا أقول:

- أشخاص كثيرون يتعاونون معكم.. علاقاتكم منتشرة في كل الأماكن.

- لنا علاقات متعددة في كل الأماكن لأننا - ببساطة - نحقق أغراض كل

obeikandl.com

شخص لنا عنده منفعة..
- ألا تخشى أن ينفضح أمرك وتدخل السجن؟ خصوصًا بعد مقتل قريبك وانفضاح الأمر؟
- السجن ليس وسيلة للإصلاح، هو مجرد وسيلة عقاب سخيفة لا أكثر، وهناك العلاقات التي تجعلني ملِكًا في أي سجن بشكل عام.. لو أنني وصلت لتلك المرحلة فعلاً.
سكت لحظة وقد انتقلنا إلى طابق السينما، فاستطرد المدير وأنا أطالع «أفيشات» الأفلام الجديدة:
- ومسألة فضح أمر قريبي ليست متاحة، لقد تم التعامل مع كل شيء واعتبار القضية قتل من أجل السرقة.. شخص يسرق ثم يُسرق منه والأخير يسرقه ثالث.. وهكذا دواليك. بالطبع تم دس هوية مزيفة للقتيل، وبعض التفاصيل الصغيرة الأخرى للعمل على ستر الأمر.. لا تخشَ شيئًا يا صديقي، فأنت مع المنظمة.
ابتسمت بسخرية وأنا أسأله:
- ألن يفتقده أقرب الناس له ويبحثون عنه؟
- لا شيء، مجرد رجل لم يعد إلى منزله، رب أسرة لم يرجع إلى زوجته وأبنائه.. تحدث هذه الأمور بكثرة هذه الأيام كما تعلم، الانفلات الأمني يقوم بدوره على أكمل وجه.
تذكرت كل المباني والطوابق المخالفة في العقارات التي أقيمت في فترة الانفلات الأمني هذه.. الثورة كانت حلمًا وُئد بسرعة.
بعد مدة الفيلم الأجنبي الذي حضرنا عرضه، وعلى السلم الكهربي نازلين للطوابق الدنيا قال المدير:
- لديك مهمة أخرى.. هي الأكثر أهمية في حياتك كلها لو أردت الدقة.
- يبدو أنك تأثرت بأجواء فيلم الحركة.. اعتبرني في إجازة مفتوحة، لقد مررت بما يكفي الأسابيع الماضية كلها.

- الأشرار لا يأخذون إجازة*..
لم أعلق، فأنا لست شريرًا، لكنه أردف:
- الغضب يجتاح الشوارع في مصر.. موكب الرئيس الجديد في أقل أعداده للتأمين.. عمليتك القادمة ستكون هي الأكثر أهمية في تاريخك كله..
نظرت حولي لأتأكد ألا أحد يسمع حوارنا الشائك الهامس هذا، ثم نظرت إلى وجهه ونحن نقترب من مكان سيارته في الموقف الخاص بـ«المول» قبل أن يقول بصوت خافت أقرب ما يكون لمجرد تحريك الشفاه:
- ستقتل الرئيس!!

* * *

لم تكن النهاية مفاجئة، الجميع توقع الأسوأ، وها هو الأسوأ يتحقق أمامهم الآن.. فعندما تتحدد مصائر البلاد حول طاولة قمار وفي يد كل من الجالسين كأس خمر، تأكد أن النهاية صارت حتمية.. وموشكة، حتى لو أن النظام الجديد استبدل بطاولة القمار الموائد العامرة بطعام مليء بالدهون طوال الوقت، وبزجاجات الخمر غباءً مقطرًا!
بدأت النهاية بانخفاض أجور القضاة لأن القضايا الموكلة إليهم أصبحت صفرًا.. الناس ينتقمون لأنفسهم ويستردون حقوقهم بأيديهم و«عزوتهم»..
لم تعد هناك حاجة للقضاء غير الشكل الرسمي للدولة أمام العالم فقط..
الدم والقاذورات يملآن الشوارع، وعمال النظافة أحجموا عن عملهم لأنه أصبح أكثر قذارة من أي وقت مضى، وأكبر من قدرتهم على التنظيف..
الخنازير نفسها تأنف التغذي على هذه الأوساخ، كأنما البقايا العفنة هذه محاطة بمجال سلبي من كل الموجودين في البلد.. حال الناس نفسه أصبح في أسوأ أوضاعه..
مثلا أن ترى الحياة لأنك تسكن في منزل من صفيح وتدخل حمامًا مشتركًا مع

obeikandl.com

سكان عشرين صفيحة أخرى.. أن تأكل مرة كل يومين.. أن تنام ثلاث ساعات بالتناوب مع آخرين لضيق الأماكن المخصصة للنوم..

كلا يا عزيزي، هناك رفاهيات لم تحلم بها بعد.. هناك منازل لها حمامها الخاص.. منازل بها سرير لكل فرد من قاطنيها.. بل المنزل نفسه من الطوب والأسمنت وليس من الصفيح..

أن تنتظر وصول الكهرباء في أي لحظة من أي ليلة لمجرد أن تتذكر شكل المصابيح، أو تشاهد وجوهًا افتقدتها على شاشة التليفزيون.. ربما لتشحن «موبايلك» رغم انقطاع الشبكة معظم الأوقات.

ياللعجب!!

ولكن كل شيء سيتم تلفيقه وتزييفه كأن لم يكن كذلك.. في أمريكا كل الأحداث «مؤرشفة».. يمكنك الرجوع إلى أي حدث مهما علت أو دنت أهميته لتعرف تفاصيله.. أما هنا فالخداع والتضليل لا يتركان مكانًا لتأريخ أي شيء.. أي شيء عظيمًا كان أو تافهًا.

«كل شيء معد كما ينبغي».. كذا جالت كلمات المدير في ذهني بينما أصوب البندقية تجاه الهدف الذي بدا واضحًا أمام عيني داخل العدسة المقربة، غير أن الرياح شديدة هذا اليوم.. الرائحة المعدنية عند اقتراب أنفك من ماسورة البندقية للتصويب على الهدف تستدعي ذكرى كل مرة قتلت فيها مما أشعرني ببعض التوتر لأن ما سأفعله هذه المرة يختلف عن كل المرات السابقة حتمًا..

الهدف نفسه يختلف بما سينجم عن ذلك من أخبار تجوب الإعلام عبر أثير الكرة الأرضية كلها، ومستقبلي سيكون على المحك لو لم أُجد التعامل مع الموقف كما ينبغي لعدم كشف هويتي.. لكن يبدو أن المدير لم يتوقع العاصفة الموشكة هذه، لا بد من الانتهاء سريعًا إذًا.

وفي لحظة تعامد منتصف جبهة الهدف مع تقاطع الصليب المرسوم داخل العدسة، ناداني ذلك الصوت القديم مُرحبًا..

التفت لألمح جثته الضخمة، وسترته الخضراء المميزة أمام الإعصار القادم من ورائه بسرعة جنونية!!

كنت أعرف أن أمور القتل هذه لا نهاية لها..

لا نهاية لها أبدًا!

obeikandl.com

obeikandl.com

الجزء الخامس

٢١٩

obeikandl.com

obeikandl.com

-١-

أسامة بن لادن، أسطورة خلقها الأمريكان لتكون شماعتهم، ثم في وقت ما يعلنون إنهاءها، في اللحظة التي يحتاجون فيها لفرض سيطرة وإبداء إمساك زمام الأمور من جديد!

* * *

«في ظل ظروف الثورة هذه، ستكون هناك صيغة معينة للتواصل معك.. في أثناء ذلك يمكنك أن تصنع شيئًا اسمه (فلسفة القتل).. أن تخترع نظرية جديدة أو اتجاهًا فلسفيًّا جديدًا».

كذا قال المدير بعد أن كبرت الثورة في أيام قليلة وقاربت سن النضوج.. لكني لا أعي احتمالية استمرار الحاجة للقتل في حال نجاح هذه الثورة والقضاء على الفساد.. بعد أن يصبح الجميع محترمين مخلصين يحبون وطنهم وليس بينهم أشرار.. من وقتها سيحتاج لقاتل؟

من وقتها سيحتاج للقتل؟

متابعة مجريات الأمور في مصر هي الأهم في الوقت الحالي، بناء عليها تتضح معالم مستقبلي هناك..

أو هنا..

في فرنسا..

على نفقة المنظمة..

ولكن من قال إن نجاح الثورة سيجعل للمنظمة نشاطًا تستمر فيه؟ سيتحقق هدفها بنجاح الثورة..

سأقضي وقتي إذًا في تأسيس نظرية: «فلسفة القتل».. كل خبراتي وكل معلوماتي إضافة لحواري في ذلك البرنامج وإتاحة الإنترنت سيجعل الأمور هينة..

obeikandl.com

ومسلية إلى حد كبير.

* * *

بدأت تساورني مشاعر غربة..
الأمر لم يصبح مجرد مهمة عمل، ولا تحول إلى سياحة.. بل هو أشبه بإقامة..
على الرغم من أنه ليس لي معارف وأصدقاء لأفتقدهم في الإسكندرية، فإن اللغة هنا تصنع حاجزًا، أجيد الإنجليزية وهم يستطيعون التحدث بها، لكن الأمر ما زال مثيرًا لذلك الشعور بالاغتراب.. ربما أفتقد الأماكن.. القلعة ورائحة الكورنيش..
لا أدري حقًّا سبب ذلك الشعور بالاغتراب، ولا لأي مدى سيستمر..
يمر الوقت ببطء.. الأحداث في مصر تبدأ على نمط معين يستمر لعدة أيام، ثم يجدُّ جديد ويستمر لعدة أيام.. متى يستجيب الرئيس لمطالب الثوار؟
متى يقتله الثوار؟
القنوات لا تفيد بشيء، حتى مجرد نقل الخبر يبدو كأنما له اتجاه وميول، ليس نقلاً بحياد.. تفقد هذه القنوات العربية مصداقيتها بمرور الوقت.
ماذا عن الإنترنت؟
هذه خدمة متاحة في هذا الفندق الفاخر بكل تأكيد.. ليكن الإنترنت إذًا، لقد أعلنوا أن الـ«Facebook» هو مكان اجتماع مفجري الثورة، لا بد أن يحمل أخبارًا أكثر دقة.
أعرف أن شيئًا لن يحدث..
لا شيء يمكن أن يحدث لمن لا يمكن أن يحدث لهم شيء..
هكذا تسير الأمور في العالم، لا شيء يحدث لإسرائيل منذ نشأت كدولة نشاز وسط دول معادية لا تقبلها..
لا شيء يحدث لأمريكا منذ أصبحت منافسًا قويًّا للاتحاد السوفيتي ثم قضت

obeikandi.com

عليه ككيان عظيم..
ومصر جزء من هذا العالم، لا شيء يحدث للرئيس منذ تولى الحكم وحتى الآن..
ما يحدث هو مجرد تنفيس عن الكبت لا أكثر، خاصة أنه لا يمكن التنبؤ بالمستقبل.

obeikandl.com

-٢-

ليست الحرية والديمقراطية ترك المخطئين في أفكارهم أن يعبروا عنها بحرية وديمقراطية بافتراض أن هذا حقهم.. فلا يُعقل أن نصوِّت على قتل فلان بالسكين أو المسدس، فكرة قتله نفسها خاطئة..

* * *

جلس بجواري في الطائرة، كنت أضع سماعات أذن وأشاهد فيلم كارتون، «توم» ينام باسترخاء، بينما «جيري» يجهز لـ«مقلب» جديد.. وهناك قط أسود سيكون له دور حتمًا في شيء ما، شيء مفيد للأحداث، لا مجرد «كومبارس» في الحياة..

سمعته بصعوبة يعرب عن سعادته بنجاح (القاتل) في إنجاز مهامه بنجاح، رفعت السماعات واستدرت تجاهه، ملامح حادة تصلح لأدوار الشر في السينما، وابتسامة واثقة لا مبرر لها..

من يكون؟

قال كأنما يقرأ أفكاري:

- أنت سمعت عني من قبل.

بدا في عينيَّ التساؤل دون كلمة، فاستطرد:

- أنا المعاقب.. أيها القاتل.

إنه الشخص الذي مهمته عقاب كل المخطئين في المنظمة، هل كان يتعقبني لمعاقبتي إذا فشلت في تنفيذ المهمة؟

هل كان هو نفسه في مهمة؟

هل أنا بالنسبة له مهمة؟

ألا يخشى أن أقتله؟!

ربما يعني وجوده أن هناك المزيد من أعضاء المنظمة في تونس!

obeikandl.com

هل هو رجل عقاب واحد يتنقل بين الدول؟ أم أن هناك الكثير من رجال العقاب؟

مرت المضيفة بعربة عليها أشياء للبيع، عطور.. غمامات للنوم.. أقلام ماركة «شيفر» و«باركر».. رابطات عنق تبدو باهظة الثمن، كل الأشياء تبدو أصلية وباهظة الثمن..

اخترت غمامة نوم صفراء، وناولت المضيفة خمسين دولارًا.. فالتقطتها وانتقلت للمرحلة التالية.. محاولة إغرائي بشراء سلعة أخرى، فابتسمتُ وهززت رأسي، فنظرتْ إلى جاري الذي هز رأسه محتفظًا بابتسامته نفسها.. وانتقلت المضيفة للمقاعد التالية.

رفعت غمامتي أفك غلافها، فخبتت أضواء الطائرة وصدح صوت قائدها مهنئًا الركاب بعام ميلادي جديد.. وضعت الغمامة على عيني واسترخيت في مقعدي، فقال المعاقب:

- كل عام وأنت قاتل أفضل.. أو أفضل قاتل.

تجاهلته.. قررت تجاهله منذ هنيهة أصلاً، فلا معنى لأن يظهر أعضاء المنظمة بشكل فجائي في حياتي.. منذ الشخص الذي له شبيه، والفتاة.. مرورًا براكب القطار المتفلسف، وحتى هذا الوجه السينمائي الشرير «villain»..

طوال الوقت تحاول المنظمة تأكيد قدرتها بخصوص شيء ما، ولكنه تأكيد لا داعي له.. فأنا أنفذ ما يريدون ما داموا يحققون ما أطلب.

قال:

- يمكنك أن تتمنى لي عامًا سعيدًا أنا الآخر.. أنا أهنئك فعليك أن ترد التهنئة، هكذا تعارف البشر المتحضرين فيما بينهم.

قلت دون تغيير لحالة استرخائي:

- أنا لست حذقًا كما أبدو.. فأنا أقلد أساليب القتل في الأفلام والروايات، حتى استخدام قفازات الجراحة تعلمته منها، ولكنني ذكي بما يكفي لأتعلم وأتقن مهارة القتل.. لا أجيد الاختلاط الاجتماعي والحوار الطائش.. ولا أتحدث مع

obeikandl.com

غرباء.
- طفل.
لم أعلق، فقط عدت لتجاهلي له!

obeikandl.com

-٣-

أنا في انتظار الفرج/ «جودو».. الذي لا يأتي أبدًا.. وستكون كارثة حقيقية لو أنه لم يأتِ بالفعل.. لا بد من نهاية لهذا الوضع الذي أعيش فيه، وضع معلق، لا أنا مصري يعيش في مصر حياة مصرية، ولا أنا مصري مغترب يقيم ويعمل في دولة غريبة بشكل قانوني..

* * *

«أهانوا صورته أمام شاشات التليفزيون لربما تصله الإهانة في كرامته لو أن له شعورًا..

أصبحوا يتحدثون عنه بكراهة معلنة، وباسمه مباشرة لا بالتورية والإسقاط.. الكثير من الحِكَم والمواعظ المفيدة منتشرة على الـ«فيس بوك» بمناسبة الأحداث.. «ضع الضفدع على كرسي من ذهب ستجده يقفز للمستنقع!!»..

الكثير من التحليلات والتوقعات أيضًا..

الـ«فيس بوك» يعكس كثيرًا من الحياة على أرض الواقع، ليس الأمر مجرد واقع افتراضي أو واقع موازي، بل هو جزء من الواقع الحقيقي..

الواقع الواقعي نفسه..

الـ«فيس بوك» بمثابة غرفة «البدروم» التي تجتمع فيها الخلية السرية التي يبحث عنها «البوليس السياسي» وهي تدبر لاغتيال وزير الداخلية أو تخطط لقلب نظام الحكم وطرد الإنجليز من مصر، الاختلاف أن كل شيء كان على مرأى ومسمع الجميع.. كل شيء على السطح في ضوء الشمس لا في الخفاء.. حتى عندما قطعوا عنهم الإنترنت لم تتوقف الأحداث أو تصب بالشلل، أي أنه جزء من الواقع ليس واقعًا موازيًا آخر».

هذا رائع كمدخل لفلسفة القتل المكلف التنظير لها.. كم هو مفيد حقًّا أن تمسك قلمًا وورقة وتخط شيئًا ليس طلبات «السوبر ماركت» أو المشاوير

obeikandl.com

المؤجلة أو الديون المستحقة..
أن تخط إبداعًا.. كالمرأة تطهو شيئًا ما ويستمتع بتناوله أفراد أسرتها.
الحرب على الإنترنت حرب مفتوحة، ما دمت لا يمكنك معرفة من هو الطرف/ الأطراف الأخرى.. صادقة أم كاذبة.. مخدوعة أم خادعة.. تسعى إلى تضليل الآخرين أم تحاول حمايتهم فعلاً.. يعبرون عن أفكارهم أم يروجون لأفكار متبناة..
«التغيرات السياسية تتبعها بالضرورة تغيرات اقتصادية في دولة تعتمد في إداراتها على الأفراد لا على النظم.. لهذا يدرسون في الجامعات (سياسة واقتصاد)، وهذه تختلف عن (اقتصاد منزلي) بالطبع..
لكي يكون هناك تغيير سياسي ما لا بد من دماء ما تسيل.. ولكي تصبح هناك دماء ما، لا بد من قاتل محترف.. الأجهزة الرسمية تعج بالأفضل، غير أنه في كثير من الأحيان لا بد أن يلجأوا لشخص غير معروف وغير مدرج على لوائحهم الرسمية.. لأسباب غير رسمية وغير شرعية وربما غير إنسانية، وقد تكون أسبابًا شخصية إلى أقصى حد، حتى ولو كان (أمن الوطن) هو الشعار الرسمي لعملية إسالة الدماء الـ...ما»..

* * *

اتصل المدير.. شيء رائع لأنه يعني مهمة جديدة بعد مزيج الملل والرفاهية والسجن الذي أحياه هذا.. قال:
- يمكن أن نجعل منك أسطورة في عالم القتل هذه الأيام.
استدعت أنفي رائحة المدير فور سماعي صوته عبر «الموبايل» قبل أن أقول له:
- سأصبح أسطورة حين أكتب مذكراتي، أنا لي هدف أسمى الآن..
- ما هو؟

- استمرار المهنة نفسها.. المهنة معرضة للانقراض بشدة، اقتحمها الغوغاء والهواة وقناصو الداخلية!

صمت قليلاً ثم قال:

- نريد أن نسهم في إنجاح الثورة.. يجب ألا تفشل، التاريخ يعج بالثورات الفاشلة والاغتيالات الانتقامية.. هل سيكون لك دور في هذا كله؟!

- أنت تعرف مبدئي.. المسائل الوطنية لا تختلف عن أي مسائل أخرى، القتل بالنسبة لي واحد في كل الأحوال.

- مفهوم مفهوم، سنتعامل كالمعتاد، وأنا لم أقصد غير ذلك.. ستصلك تفاصيل مهمة خلال يومين لعمليتك القادمة.. استعد.

- ليكن.

أنهى المكالمة، ورجعت لمتابعة الأحداث عبر الـ«فيس بوك»..

كثير من الأحزاب يتكون، بعضها سطحي وساذج يتكون لمجرد أن يوجد على الساحة بلا تاريخ سياسي حقيقي.. وبعضها يتحايل على منطق العامة ليتحول من محظور إلى قانوني.. وأحزاب أخرى كالطفيليات تنشأ لتكون مؤيدًا خفيًا لأحزاب كبيرة تتغذى عليها..

هذه أشياء أستخلصها من الأحـداث ومن حالات (status) الناس على الـ«فيس بوك».. الشباب واعٍ حقًّا ويقرأ ويحلل بحرفية، غير أنه قليل الخبرة، ولا يعرف كيف يتصرف إزاء ما يكتشف كواليسه الخفية.

الكثير من الأمل في كل هذا فعلاً.. ثورة بلا قائد من شباب مثقف تنجح في إسقاط النظام برأسه وحواشيه..

ولكن هل يعقل أن يترك كل شيء لمجلس مكون من قيادات الجيش؟!

أليسوا جزءًا من ذلك النظام الساقط؟!

هل سيقوم الثوار بالإشراف على أداء هذا المجلس؟!

لا بد أن تصبح الحياة جميلة بعد كل هذا.. ولا بد أن يستمر القتل بشكل أو بآخر، وإلا فكيف سأحصل على نقود؟!

obeikandl.com

كيف سأعيش؟
حتى ولو كانت الحياة الجديدة بلا عاطلين.. فأنا لا أجيد شيئًا مثلما أجيد القتل..
خرجتُ من تداعياتي ثم عدت لكتابتي عن: «فلسفة القتل».

obeikandl.com

-٤-

جفت اللزوجة الموجودة بمنتصف جبهتي، وأهالوا علي التراب، عمّت الظلمة الرؤية وأنا مغمض العينين، ها أنا ذا أصبحت وحيدًا من جديد..

طوال حياتي اخترت أن أكون وحيدًا بحكم مهنتي النشاز تلك، فنهضت من رقدتي لأجلس حاضنًا ركبتيّ.. وأخذتْ وجوه كل من قتلتهم تظهر أمامي واحدًا تلو الآخر..

وجوه طيبة وأخرى شريرة..

أو هي الروح، روح طيبة.. وأخرى شريرة..

فتحت عيني لأجد العتمة أكثر ظلامًا مما لما كنت مغمضًا..

رائحة التراب تزكم أنفي، وهو أمر سخيف بالنسبة لشخص ميت بالفعل..

ميت؟!

ميت؟!

ماذا؟!!

متى أصبحت ميتًا؟ كيف أصبحت ميتًا؟

تحسست اللزوجة الجافة على جبهتي، وتذكرت كل شيء..

فوهة البندقية.. انعكاس ضوء القمر على عدسة النشان.. شرارة خروج الرصاصة من البندقية.. ثم أخيرًا استيقظت..

كنت أتصبب عرقًا وأرتجف قليلاً، لكني استيقظت..

لو أصابتني الرصاصة وأنا نائم لمت بالفعل، لذا استيقظت قبل أن أموت..

لهثت قليلاً، ونهضت لأشرب ماءً، ودخلت الحمام.. ثم خرجت إلى الشرفة أتابع بزوغ الشمس..

هدأتْ أنفاسي، ولسعني برد الصباح؛ فجذب النعاس لعينيّ..

بماذا كنت أحلم؟

سحبت الغطاء.. أغمضت عينيّ، ورأيت الرصاصة تقترب!

* * *

obeikandl.com

- ما رأيك بأن أحكي لك عن أهم عملية معاقبة قمت بها؟!
كذا قال المعاقب في الطائرة محاولا جذب أطراف الحديث.. ربما أدرك أني لا أرغب في التحدث، لذا قرر أن يستفيد من أذني لتمضية وقت الرحلة..
كالعادة لم أجبه، فاستطرد مفترضًا أن «السكوت علامة الرضا»، وقال:
- كل شخص له حكاية قديمة، أما أنا فعندي الكثير من الحكايات القديمة.. هل أسرد لك حكاية الأصم؟
تجاهلته، فقد تحول إلى شخص ممل منذ الوهلة الأولى.. لكنه استطرد بأريحية:
- الرجل الإيطالي الذي يرغب في أن يكون «قيصر روما».. يبدو أنه شاهد الكثير من الأفلام التاريخية عن تلك الحقبة وانبهر بالصناعة الأمريكية للأفلام والأحداث والتاريخ!
لم أفهم شيئًا، واسترخيت تحت غمامتي في مقعدي.. بينما أردف رجل المنظمة قائلاً:
- كان من المفترض على «المدمّر» أن يقضي على حياة هذا الرجل.. عمل محضر في قسم الشرطة بتهمة تزوير، مع تلفيق عملية رشوة، إضافة لتصويره في أوضاع مخلة مع فتاة خليعة، غير العبث بفحوصاته الطبية الدورية لإظهار إصابته بمرض عضال.. توقيت كل مرحلة مهم جدًّا، والتنفيذ غاية في الدقة.
جذبتني فكرة العبث بالفحوصات الطبية وقد أتيت على ذكرها لمذيع البرنامج عند استضافتي.. وشد انتباهي المعاقب فعلاً بحديثه الشيّق عن «المدمّر»، وعن تدمير حياة الآخرين.. إنه شيء أكثر قسوة من القتل المباشر، فهو قتل بطيء.. أكمل:
- كنت أحاول الابتكار في مجال المعاقبة، استخدمت لسان لهب في غرفة مغلقة مع المدمّر ليتصبب عرقًا حتى يجف.. وتلفحه الحرارة حتى يذوب جلده، في الحقيقة لم أكن راضيًا عن الكثير من أعمال المعاقبة التي أمارسها.. ولكن المنظمة تمنحني الكثير بسخاء.

قلت معلقًا:

- للناس بين بعضهم المعاملات، وللناس مع ربهم العبادات..

ثم استطردت وأنا أرفع غمامتي:

- لمَ قمت بمعاقبة المدمّر؟ هذه نقطة لم توضحها.

ابتسم بتذاكٍ بينما تمر المضيفة بعربة الطعام في الممر، وقال:

- كنت أتأكد من حسن إنصاتك لما أحكيه.

سخيف حقًا، كرهته أكثر لمحاولته المبتذلة لأن يبدو حذقًا.. سألتني المضيفة:

- لحمًا أم سمكًا؟

سألتها بسذاجة:

- ألا يوجد جمبري؟!

obeikandl.com

تم اغتيال بن لادن.. سيناريوهات هوليوود هذه لا تتطور أبدًا، لقد أصبحوا تقليديين جدًّا.. مملين جدًّا.. رغم ذلك فهي فعالة جدًّا جدًّا!!

يقول خبير أمني أمريكي تعليقًا على الحدث: «نحن أعظم دولة في العالم ليس لأننا الأقوى، بل لأننا الأذكى.. نعرف متى نستخدم القوة، ومتى نفرض الحصار، ومتى نترك الأمور على ما هي».

«بن لادن».. بالطبع هناك عائلة بهذا الاسم وهناك أفراد ينتمون لهذه العائلة التي لها الكثير من الأعمال التجارية، لكن أسطورة «بن لادن» التي خلقتها السيناريوهات الهوليوودية كانت لغرض محدد يحقق مصالح بعض الكبار على رأسهم بوش الابن نفسه، والقضاء على هذه الأسطورة كان لمصالح كبار آخرين على رأسهم أوباما نفسه.. «أسامة بن لادن» أسطورة خلقها الأمريكان لتكون شماعتهم، ثم في وقت ما يعلنون إنهاءها، في اللحظة التي يحتاجون فيها لفرض سيطرة وإبداء أنهم ممسكون بزمام الأمور من جديد، وللحصول على تمويلات من «الكونجرس» لإنفاقها على...!!

الأمر يشبه محاولة إقناع العالم بأنهم - في أمريكا - صعدوا إلى سطح القمر.. تلك السيناريوهات المعدة بإحكام أمريكي لا مثيل له، غسل المخ الذي أقنع العالم كله بالهيمنة الأمريكية وقدرتها على التحكم في الأمور وتسييرها كيفما شاءت.. هراء مصحوب بالكثير من المؤثرات البصرية محكمة الصنع شديدة الإقناع، وقد حققت مرادها وأكثر لعقود طويلة..

لم أصدق موضوع خداع أمريكا للعالم بمسألة الصعود إلى القمر هذه.. السيناريو كان جذابًا كأنما هو مدروس بعناية، عناية تجعلني أشك في أنه معد لي خصيصًا.. وذلك قبل أن يقع بين يدي كتاب قرأت على غلافه: «التطور التكنولوجي والخداع الأمريكي»..

يوضح مضمون الكتاب أن التقدم العلمي يكشف الخدع الأمريكية المتقنة في وقت سابق بعد اختراع تقنيات أكثر حداثة، والإفصاح عن معلومات كانت

شديدة السرية في وقت ما.. فقط ليظهر أحد المتنمرين للحكومة الأمريكية ويكشف الرابط بين كل تلك الأشياء ليفضح الخدعة.
محاولات القوى العظمى إخبارنا بأننا نعيش في خطر طوال الوقت.. لذا فنحن نحتاج لهم طوال الوقت.. أمريكا تفعل هذا.. الحكومة تفعل هذا.. المواطن يصدق هذا.. ويجدي هذا في معظم الأحيان.. كلما كان السيناريو شديد التعقيد وتكلف تنفيذه أموالا طائلة، كان أكثر نجاحًا مع المواطن البسيط.. أي الساذج، وهذا المواطن في أمريكا لا يختلف عنه في مصر كثيراً.. الثقافة هي ما يميّز مواطنًا عن آخر، كلما زاد عدد المثقفين زادت حبكة السيناريوهات المعدّة لتنطلي على أكبر قدر منهم.

* * *

- الخيار سيئ جدًّا.
- أي خيار تقصد؟ الخيارات كثيرة.
ناولني رجل المنظمة قطعة خيار من طبق طعامه، فتذوقت قضمة منها، وجدت طعمها كالمعتاد.. فكرت لحظة ثم قلت مبتسمًا:
- هذا الخيار مغسول يا عزيزي، يبدو أنك اعتدت على تناول الخضراوات بميكروباتها.
ابتسم هازًا رأسه، ثم سألني وهو يقسم قطعة الخبز المرفقة مع الطعام لشقين:
- كيف أصبحتَ قاتلاً مأجورًا؟
تنهدت قبل أن أقول:
- حقًّا لا أدري!
- أنت يائس.. هذا كلام شخص يائس.
- استأجرني تاجر مخدرات للقضاء على منافسه في السوق، وكان رجل أعمال

بارزًا في مجال السيراميك وقتها.
هز رأسه نفيًا قبل أن يقول وهو يلوك قطعة لحم:
- هناك شيء كبير قبل هذا.. شيء مهم.
تذكرت صديق والدي، وضابط قسم الشرطة الذي لم يهتم لمقتل الصحفي، وقصة الانتقام لشرف الخيانة الزوجية..
لم أعرف أي قصة أستخدمها، خصوصًا أنه لا يمكن التحقق من مصداقيتي في أي منها.. أم أخترع قصة جديدة؟! تلكأت في الرد وبدوت منهمكًا في فحص قطعة السمك التي وضعوها في طبق الطعام البلاستيكي وأنا أتأكد من خلوها من «السفا»..
أدرت دفة الحديث قائلاً:
- لماذا لا يكون للمعاقب والمدمّر مهمة أفضل للمجتمع؟
نظر إلي بفضول فاستطردت:
- ليرتدي رجل العقاب زي شرطي.. الشرطة تعذب الأبرياء دون ذنب، ماذا لو جعلنا الصورة أنها تعذب المذنبين؟
- أعتقد سيغضب هذا قومًا مهمين.
- لكنه سيقضي على الإجرام.
- سيقضي على الشرطة نفسها.
- سنقوم بتصوير ذلك ونقله عبر «الموبايلات» وشبكة الإنترنت.. سنغير الصورة الذهنية لرجال الشرطة دون أن يتكبدوا أي عناء.
- سيربكهم هذا الأمر.
شعرت بأنه استساغ الفكرة، فقلت:
- لا بأس، المهم النتائج الطيبة.
استدرك سائلاً:
- ماذا عن المقابل؟ وقتها لن نحصل على أجر من المنظمة.
- يمكن العمل من خلال المنظمة طوال الوقت.. أليست المنظمة تسعى

لعمل الخير؟
ابتسم ابتسامة ساخرة كأنما هراء ما تشيعه المنظمة عن نفسها بيننا، أو كأنما هو مشفق علي من فرط سذاجتي.. أو أي شيء آخر، فأردفت:
- المنظمة سخية وأظنها تتبنى الأفكار المبتكرة غير التقليدية.
استمرت ابتسامته الساخرة وهو يتظاهر بالانشغال في طعامه بدوره، وأنا لم أفهم السر الحقيقي وراء الابتسامة حقًّا.

obeikandl.com

لماذا لا تفكَّك جزيئات أجسادنا وتمرر عبر فراغات جزيئات المباني الخرسانية والهواء لنصل إلى المكان الذي نريد؟! هذه ستكون أكثر سهولة من سلسلة وسائل المواصلات تلك.

كان اتصال المدير الأخير يحمل تكليفًا بعملية قتل في جينيف، أحد هؤلاء الأثرياء الذين يفسدون حياة شعوبهم كان في رحلة لمراجعة مخزونه النقدي والذهبي والماسي في بنوك سويسرا، والعيش في حياة رغد وبذخ وعربدة لعدة ليالٍ قبل أن يعود لينكّد على شعبه من جديد مستغلاً شبكة علاقاته الفاسدة بالسلطة.. لماذا يترك الشعوب بعض الأفراد للتحكم في مصائرهم بهذا الشكل؟ الأمر أصبح عسيرًا بحق.. كنت أقتل بعض عناصر مؤثرة سلبًا في حيوات الشعوب، لكن الوضع الآن بحاجة لقتل كل الشعوب السلبية المسيئة في حق نفسها!!

العقل الجمعي للمجتمع يفكر بطريقة متماثلة، وعند اقتراح أي فكرة في موقف معين يتم استجابة الأغلبية لهذه الفكرة.. لو أمسكوا مخبرًا للشرطة داخل ميدان التحرير في أي مليونية، يقترح أحد الثوار تسليمه للمجلس العسكري، فيستجيب العقل الجمعي ويشارك في تنفيذ الفكرة.. أو يقترح أحدهم بتمزيقه إربًا، فيستجيب العقل الجمعي ويشارك..

عندما أمسك الأهالي بالبلطجي الذي روّع المدينة شهورًا كثيرة اقترح أحدهم قتله، فاستجابوا للفكرة، واقترح آخر التمثيل بجثته، فاستجابوا للفكرة، واقترح ثالث أن يتم الطواف به في المدينة ليصبح عبرة، ثم اقترح رابع بإلقاء الجثة أمام قسم شرطة المدينة تأكيدًا لقدرة الشعب على حماية نفسه دون الحاجة للشرطة المتخاذلة إبان أحداث الثورة*..

أضفت العبارة السابقة لكتابي العزيز.. أصطحب هذه الأجندة في كل مكان الآن لإضافة أي فكرة جديدة تطرأ لي عن «فلسفة القتل»، ثم أخذت أراجع بعض ما كتبت من أفكار قبل إعادة صياغتها من قبل متخصص بشكل نهائي

لاحقًا.
«أي حاكم لا يمكنه ممارسة الحكم منفردًا، لا بد من مستشارين ومقربين.. (شلة).. سنقضي على (شلة) كل الحكام المهددين للوضع الآمن العربي، وبخاصة المصري.. ستصل الرسالة بعد ثاني أو ثالث شخص للجميع، فيوفرون علينا الاستمرار على هذا الخط، فننتقل إلى خط آخر».
العبارة السابقة مقتبسة من حوار لي مع المدير ذات مرة، وأضاف أيضًا: «لدينا خبراء ومحللون يعرفون مدى تأثير كل شخص على قرارات كل رئيس، وجدوى تلك القرارات ومدى الضرر أو النفع العائد منها على المجتمعات.. أمن مصر ليس من داخلها فقط، بل من الخارج أيضًا.. المتربصون كثيرون، والخونة كثيرون.. وهذا الشعب يستحق الأفضل».
يصر المدير على توضيح سبب كل عملية قتل رغم عدم اكتراثي ما دمت أحصل على المقابل المناسب لمجهودي وكفاءتي، ربما هي طبيعة الرجل..
أو هو يستشعر أني أبدي لا مبالاة غير حقيقية!
الكثير من الملاحظات المهمة هنا لفلسفة القتل.. أرجو أن أفلح في إخراج شيء جيد ومفيد حقًّا.

* * *

في بعض الأحيان يصعب استخدام أسطح المباني المرتفعة، تكون مؤمّنة بشكل جيد وأي تحرك مريب سيلفت الأنظار، لذا كنت أقوم باستئجار شقة في طابق مرتفع لتنفيذ المهمة من شرفتها.. باستخدام إثباتات هوية مزيفة، وقليل من مهارة اختراق رتاج الباب الرئيسي لشقة خالية في حال عدم وجود شقة متاحة للإيجار كنت أنجح دومًا..
هذا ما اقترحته على المنظمة لفعله في هذه العملية المطلوبة، وبخاصة في دولة أوروبية تهتم بأمن المواطنين بنفس درجة أمن الدبلوماسيين دون

تمييز.. فالمبنى اللازم لتنفيذ المهمة له مهبط طائرات على سطحه، وباب السطح مغلق ومؤمّن طوال الوقت.. لذا قاموا بالتدابير اللازمة لتوفير شقة مرتفعة لاستخدام شرفتها المطلة على الشارع الرئيسي الذي سيمر به الهدف لاقتناصه.. الاستئجار باسم سيدة مسنّة غير قابلة للشك في أمرها، هي نفسها لا تدرك شيئًا عن النشاط الذي نمارسه.

نحن نعيش في خطر طوال الوقت، كل منا معرض لأن ينزلق فتكسر رقبته أو تدهسه سيارة أو يصيبه فيروس خطير.. لا أحد آمن، لكن الغريزة البشرية تحتم أخذ الحذر دائمًا.

ربما كان الهدف ليموت دون سابق إنذار بسكتة دماغية أو هبوط حاد في الدورة الدموية، لذا لا فارق بأن يموت دون سابق إنذار برصاصة في الرأس.

جلس أمام جهاز «اللاب توب»، ماركة «hp».. وقال بتقريرية:

- لا يمكن الانفصال عن تطورات العصر وإمكانات التكنولوجيا المتاحة، ولا يعني هذا الانفصال عن الطرق والأساليب القديمة في التعامل.

كان هذا هو الشاب المرافق لي هذه المرة في سويسرا، مصري من الفيوم.. بشكل ما استشعرت بألفة افتقدتها منذ تركت الإسكندرية لتونس.. المنظمة تثبت لي شيئًا جديدًا، قدرتها على الانتشار في كل الدول.. المنظمة تقدم لي شيئًا جديدًا، مصري آخر يشعرني بالألفة والحنين إلى الوطن.

لم يكن الوقت كافيًا لدراسة المكان ميدانيًّا، لذا فقام بعرض خريطة لشبكة الطرق والمباني في الموقع الذي اتخذناه لتنفيذ المهمة كي أكون على دراية أكبر بجغرافية المكان الذي سيوجد به الهدف.. كذا قام الشاب بتوضيح الأوقات الزمنية لإشارات المرور والأوقات اللازمة لانتقال السيارة من آخر إشارة ضوئية حتى الشارع المقرر لتنفيذ العملية بالسرعة القانونية التي يلتزم بها الجميع. ثم عرَض ارتفاع المبنى، وارتفاع الشرفة التي سأنفذ منها المهمة.

في الحقيقة لم أفهم شيئًا كثيرًا مما قدّمه، الأمر يشبه ما يقومون به في الأفلام الأمريكية لإثارة المشاهدين.. لكن لا بد أن أعتاد هذه الأمور، فبعد ثورة ٢٥

obeikandl.com

يناير ٢٠١١، وفي مجتمع يتربص فيه كل شخص بالآخر وكل جهة بأخرى، يصعب أن يُقْدِم أي شخص على القتل.. ولا حتى بصورة سرية، المخاطرة ستكون كبيرة جدًّا.. أكبر من أن يقدِم عليها أحد.. لذا فعلى أمثالي الانتقال إلى أماكن أخرى أقل سخونة.. إلى دول تحتاج مجهودات من هم على شاكلتي، فانصلاح الحال يهدد مهنتي بالاندثار.

كانت لقطات الـــ«YouTube» تنقل مشاهد لعناصر قناصي الشرطة المتمركزين فوق الأسطح، يصطادون المتظاهرين بحذر.. وخوف.. تذكرت شيئًا، فأخرجت الأجندة وأضفت لها: «الخوف يحرم القاتل من الاستمتاع من القتل، ولكن لا يحرمه أداء مهمته بالكفاءة المعتادة ذاتها، بالنسبة للمحترفين بالطبع، لا الهواة..

القاتل المحترف بحق، لا يترك مجالاً لمشاعره أن تؤثر على جسده.. قدرته على التحكم في يديه.. على التركيز بالكفاءة ذاتها.. لا يتأثر بما يجول في أعماقه من متغيرات عاطفية لحظة تنفيذ المهمة..

قناصة الشرطة لم يكونوا محترفين.. ولم يتلقوا تدريبات جيدة كما لاحظتُ.. هم مجرد أشخاص يجيدون (النشان) لا أكثر، القاتل المحترف/ القناص، ليس مجرد شخص يجيد (النشان) وفك وتركيب الأسلحة..

وهذا ما راعيته في تنميتي مهارة قاتل محترف يعتبر بداية جيل جديد من القتلة..

جيل يصلح لما بعد ثورة ٢٥ يناير.. فالقتل كان منذ بدء الخليقة، وحتى نهايتها، في وجود قلة من الأشخاص أو عدد مهول منهم.. ستبقى للقتل هيبته وقسوته وكيانه المتفرد»..

نعم، فأنا لا أظن الأمور ستظل مستقرة طوال الوقت، ستحين لحظة يحتاج فيها شخص ما لقاتل ما يؤدي له مهمة ما..

رجعت للشاب المصري وجهازه، وسألته عن توقيت تنفيذ المهمة، وعن السلاح الذي سأستخدمه هذه المرة.. المنظمة توفر لي السلاح في كل مهمة

obeikandl.com

لأنني لا أستطيع التنقل بسلاحي عبر الدول والمطارات بالطبع..
وكان هذا لنبدأ بوضع خطة.

obeikandl.com

-٧-

جهاز تفريغ الهواء للقضاء على الحرائق.. لا بد من تصنيع شيء كهذا بدلاً من «الرغاوي» المنطلقة من طفايات الحريق الساذجة، كي لا تفشل لي عملية مرة أخرى لسبب خارج عن إرادتي مثل هذا.

* * *

- من المعروف أن شارع Rue de Marche هذا للتسوق في جينيف، وهو ما يفعله الهدف يوميًّا قبل الانتقال إلى شارع Mont Blanc حيث الفنادق المطلة على البحيرة هنا.. هذه الشقة مستأجرة في مبنى سكني غير فندقي؛ ليسهل نقل السلاح وعدم الاضطرار للتبليغ عن أي بيانات لإدارة الفندق، وبالطبع نحن نقع خلف مجموعة الفنادق المطلة على الشارع الرئيسي الذي سيمر به الهدف، لكن استطعنا استئجار هذه الشقة لرجل أعمال خليجي قادم في إجازة قصيرة لبحث متعلقاته مع البنوك.

سكت لحظة ثم استطرد وهو ينتقل مستخدمًا «الماوس» عبر شاشة جهاز الكمبيوتر:

- هذا الطابق هو الأول بعد سطح الفندق، المسافة بين الشرفة والشارع ليست كبيرة على السلاح المستخدم.. المهم دقة التصويب، ركن الشرفة يطل على انحناءة اتجاه الطريق لليمين، وهي أقل منطقة كثافة في الجمهور.

هنا رميته بنظرة جانبية مستهزئة لم يلحظها ليكمل كأنما هو مبرمج على ما يفعل مبرزًا صورة سلاح قنص مبتكر:

- Rock River Arms Varmint A٤ تعمل بطلقات عيار «٢٢٣ ريمنغتون»، طول البندقية بالكامل ١٠٧٣ ملم ولها ماسورة استانلس ستيل بطول ٦١٠ ملم، وهي تزن ٤,٤ ك.. أظن قدمك على ما يرام الآن؟ أليس كذلك؟

كانت قدمي قد شفيت بالفعل، ولكن كيف عرف بأمر إصابتها؟

obeikandl.com

هل ما زالت المنظمة ترسل لي رسائل خفية عن قدراتها؟
- العرب هنا كُثر، أي أن ظهورك في أي لحظة لن يكون لافتًا، غير أن الجميع هنا من أثرياء العرب والعالم.. أنت تعرف الأسعار هنا مرتفعة وكل شيء باهظ الثمن.
نهض يدور في المكان بينما أتابعه، وأردف قائلاً:
- نحن نقترب من احتفالات أغسطس، الكرنفال الكبير، والحشد يزداد يومًا بعد يوم حتى يوم الاحتفال.. لذا نعتقد أن مهمتك ستكون أسهل في التخفي والهروب، لكنها أصعب في التنفيذ.
زحام.. سأنفذ عملية تقليدية لكن في زحام ومن مبنى يحجبه بشكل غير كامل مبنى آخر، لا أدري إن كانت هذه ظروف قنص جيدة أم لا. سألته:
- لماذا لا أضع خطتي بنفسي؟ أنا أدرس كل شيء وأضع الخطة لأتحمل مسئولية تنفيذها بالكامل.
- ليس لدينا الوقت الكافي، الهدف موجود لمدة أسبوع مر منه يومان، والحشود تتزايد كل يوم.. لو زاد العدد أكثر من اللازم ربما لا تستطيع إتمام المهمة أو يمكن كشفك، ولن نرجع الناس مرة أخرى لبلادهم كي نخلي لك المكان.. التوقيت صعب فعلاً.
- متى التنفيذ إذًا؟
نظر في ساعته، وكانت تشير إلى الخامسة مساءً، ثم قال:
- ستنتظر منذ السابعة والنصف، سيكون في محال التسوق منذ السادسة.. ريثما يفرغ من اللف والشراء ثم يعود بالسيارة إلى الفندق لوضع أغراضه فيها قبل النزول مرة أخرى للسهر في الحانات سيحتاج لوقت، خصوصًا مع ازدحام المرور هذه الأيام.. لا يمكن تحديد وقت بدقة.
رفعت حاجبي وسألته:
- لكنك طوال ساعة تقريبًا أخذت تشرح لي الكثير من الأمور على جهازك هذا، منها التوقيت اللازم من كذا إلى كذا وكل هذا الهراء.. ثم تخبرني عن

«الكرنفال» والزحام والحشود؟
- ما أخبرتك به دقيق جدًّا في الظروف العادية جدًّا، ضع معيارًا مترددًا لاختلاف الظروف يا أستاذ.. دقيقتان أو أكثر قليلاً لن تشكل فارقًا في ظروف استثنائية، كما أن هناك من يراقب الإشارة الأخيرة قبل المرور بالشارع المطلة عليه شرفتنا.. لا تقلق، نسبة الخطأ في أدوارنا أقل ما يمكن.. المهم دورك أنت.
مرة أخرى نظرت إليه بجانب عيني قبل أن أسأله عن السلاح.. راقب ساعته من جديد وقال:
- سيكون أمامك خلال.. دقيقة على الأكثر.
ودون أي دهشة مني، رن جرس الباب.

obeikandl.com

لم نأتِ الدنيا كي لا نخطئ وإلا لخُلقنا ملائكة منذ البداية.. خُلقنا جميعًا لنخطئ.. وليفوز بالنهاية فقط من يستحق المغفرة*.. وها قد نجحت الثورة بعد أن كادت تخفق.. تم تغيير اسم كل شيء، فشرطة البيئة التي كانت تدعى «شرطة الكهرباء» وسعوا التزاماتها وسلطاتها لتهتم بكل ما يتعلق بالبيئة في المنطقة الجغرافية التابع لها كل قسم..

وزارة كل شيء أصبحت قصر كل شيء.. قصر العدل، قصر الداخلية، قصر التموين..

أسفرت الانتخابات عن شخص يحب هذا البلد حقًّا، ويستعين بكل الخبرات فعلاً.. شخص لا يبغبغ بالهتافات والشعارات الجوفاء.. ولا حتى الممتلئة، شخص يعمل أكثر مما يظهر على صفحات الجرائد وشاشات التليفزيون!

* * *

«يريد المدير التحدث إليك»..

قالها ذلك الشاب وهو يناولني «موبايله»، وقبل أن أضع الجهاز على أذني جاءني الصوت متوترًا عصبيًّا، الكلمات تلاحق بعضها:

- بعد عمليتك هذه، هناك عملية لها الأولوية القصوى..

- عندي ما ليس عندك، وعندك ما ليس عندي.. مهارتي أقدمها لك، ونقودك تعطيها لي.

قال بكلمات عصبية سريعة:

- هذه المهمة عاجلة، أهم من أي شيء تم تكليفك إياه، أنت ترى الأمور تتحسن في مصر، نحن نبذل أقصى ما في وسعنا للتخلص من كل العناصر التي قد ترجع الأمور لنصابها الخبيث.. بمعاونتك حققنا الكثير، الكثيرون لاحظوا عمليات الاغتيال وأدركوا مقصدها والغرض منها.. عرفوا أن هناك

obeikandl.com

من يصطادهم لكونهم هم من هم.. أرجوك، هذا الشعور بالنجاح يغبطني.
- لا تقلق، سيكون كل شيء على ما يرام.
- حسنًا، يجب أن تعرف عن وجود من ينتحل صفتي وشخصيتي، ويدّعي بأنني لست أنا، بل هو أنا.. على المستوى الأدبي في الوسط الثقافي، وكذا على مستوى المنظمة.. إنه يثير بلبلة بشكل مقصود، أعتقد أن هناك من عرف بأمري وزرع هذا الشخص ليعرقلنا عن الاستمرار في منهجنا.
سكت لحظة ثم استطرد:
- هو شخص نكرة يشبهني كثيرًا.. في الحقيقة هو أحد أقاربي، وهو فاشل منذ خلق في هذه الدنيا لا يجيد شيئًا.. ويبدو أن هناك من استغل هذا؛ لأن أحمق مثله لا يسعه التوصل لما أنا عليه ولا التفكير بتبعيات ما يقوم به الآن.
سكتُّ ولم أعلق ريثما يفرغ كل ما لديه، كان الشاب قد ترك «موبايله» وخرج لأصبح وحيدًا بحريتي مع المدير. التدريبات أو التعليمات التي تقوم بها المنظمة فعالة بشكل باهر.. أخيرًا أكمل:
- أقمت كل شيء عبر الاتصالات والمراسلات، سافر قريبي للعمل في رأس الخيمة - الإمارات، لم تكن أموره الاقتصادية على ما يرام، ولا براعة لديه في أي مجال.. لكن متطلبات حياته وحياة أسرته أجبرته على السفر، كان فخورًا بفكرة السفر لدولة البترول وترك الوطن الفقير، وكنت على علم بكل ما يفكر به ويخطط له..
كنت ألاحظ نبراته وأفكر بكلماته وأحاول الوصول لدرجة الصدق/ الكذب التي يتحدث بها لأتبين حقيقة ما يسرد حقًّا.. إنه يجتر ذكرياته، أو هي تأليفة من مؤلفاته.. فلمَ لا يكون هو الشخص المنتحل صفة الآخر؟!
قال:
- دورنا أن نعرف من وراءه، لكن دورك هو التخلص منه.. يجب أن ترجع إلى مصر فور انتهائك من مهمتك في سويسرا، كل شيء سيكون معدًّا، وكالعادة ستنال الأجر الذي تريد.

- أشك في سلامة رجوعي إلى مصر، وجهي والبرنامج الذي ظهرت به، الشك الذي يلاحق العائدين في الجوازات.. كيف يمكن أن أثق بك!!

- لقد أخبرتك كل شيء بأمانة، ليس عليك أن تشك في ضمانتي لسلامتك.. ليس هذا أول تعامل لنا معًا.

- ربما يكون الأخير، لقد أصبح لك هدف أكثر أهمية من كل شيء آخر، حتى من العمليات التي كلفتني إياها في سويسرا والتي هي - كما أخبرتني - لصالح الوطن كله.

في لحظة تحول المدير من شخص واثق بنفسه طوال الوقت.. يترقب ردود أفعالي طوال الوقت، إلى شخص قلق متوتر خائف.. كل ما كوّنه في شخصيته عبر تلك السنوات انهار في لحظة. أكملت:

- أنت لا تثق بنفسك كثيرًا إذًا، وجود شخص ما يمكنه أن يقضي عليك.. على منظمتك.. حلمك.. طموحك.. شخص واحد على كوكب الأرض قد ينفع البعض أو ينفع الكل.. يؤذي البعض أو يؤذي الكل.. بقصد أو من دون.. كيان مثل منظمتك يمكن أن ينهار ببساطة لانتقال شخص ما من بقعة إلى بقعة أخرى على سطح الكرة الأرضية.. يا له من كيان واهٍ إذًا.

سكتُ لحظات ألتقط أنفاسي وأسمع أنفاسه قبل أن أستطرد:

- لو أن منظمتك - الطيبة - تعمل للصالح العام لما اكترثت لظهور هذا الذي تشبهه، لكن خوفك يعكس حقيقة الأمر، ويؤكد شكوكي منذ البداية تجاهك.

- الجدال والسفسطة لا مجال لهما في هذا التوقيت.. الأمور مبشرة في مصر، ولا بد أن أركز في استمرار إصلاح الأوضاع.. اعتبرها مهمة تنال عنها أجرًا كغيرها، اتفقنا؟!

- سأدرس وضعي الأمني أولاً.. لن تفيدني النقود لو تم القبض عليّ.

قال بثقته القديمة:

- صدقني كل شيء يتم إعداده وتجهيزه لأمنك وسلامتك.. أنا بحاجة إليك أكثر مما تظن، لذا لن أألو جهدًا في الحفاظ عليك.

obeikandi.com

كان حديثه مقنعًا، ورغم ذلك قلت:
- مؤقتًا.. ستحافظ على أمني مؤقتًا حتى تنال غرضك من قتلي شبيهك.
زفر بنفاد صبر قائلاً:
- الأمور هنا تحتاجك أكثر من أي وقت سبق، أكثر من أي مكان آخر.. البلد ينمو في سابقة تاريخية لو أنك تتابع التطورات.
كانت الدولة ترتقي وتتقدم فعلاً، أمامي على موقع التواصل الاجتماعي كتب أحدهم: «الناس يتحولون إلى ملائكة.. حفنة الشياطين اختفت من داخل كل واحد فينا ليتحول كل شيء إلى حب وسمو وعطاء».

* * *

أكد كلامه قائلاً:
- مجرد عملية قتل أخرى.. اتفقنا؟
- ألا تخشى أن أقتلك أنت؟
- بشدة.. غضبة قاتل محترف، أو رغبته في الانتقام، ليس أسوأ منهما سوى كيد النساء يا عزيزي.
لم أميز في نبرته إن كان صادقًا، أم أنه يجاملني كأنني طفل يستعرض قوته.. أنهيت المكالمة وجلست أفكر للحظات قبل أن يدلف الشاب من جديد ليسترد «موبايله» ويقف متسمرًا دون كلمة، فسألته لأحثه على الكلام:
- ما خطوتنا التالية؟
نظر في ساعته وقال بآلية:
- الساعة الآن الثالثة عصرًا، أول رحلة إلى القاهرة في التاسعة مساءً.. خلال ساعة على الأكثر ستردني معلومات بشأن حجز تذكرة سفر لك على هذه الرحلة، أو الرحلة التالية لها.. الرابعة فجرًا.
أومأتُ برأسي مفكرًا أن المدير - رغم كل شيء - يرغب في وضعي أمام الأمر

obeikandl.com

الواقع.. ليس هناك احتمال لأن أرفض العملية أو العودة إلى الإسكندرية من جديد.. اعتداده بنفسه جعله يدبر كل شيء قبل أن يتحدث معي لربما أفقده ثقته الواهية منذ ظهر قريبه ذلك.

ظل الشاب واقفًا، فقلت له كي ينصرف وأنا أهز رأسي:

- حسنًا، شكرًا.

كان مصريًّا هذه المرة، يبدو أن المنظمة لا توظف الفتيات حقًّا، غير تلك السكرتيرة التي ترغب في الانتقام، لم أرَ فتاة أخرى في المنظمة..

كان هذا الشاب قد استقبلني في مطار جينيف الدولي وتحرك بي في سيارة فارهة إلى هذا المبنى الفخم المطل على أشهر فنادق العاصمة، المحاط بمساحة هائلة من المعمار الفني والخضرة والورود الملونة التي تصل رائحتها لشقتي هنا.. أعددت خطة العملية المكلف إياها، خطة أنيقة تليق بقاتل محترف مثلي..

فهكذا تجري الأمور..

بدقة..

وسرعة..

وصمت.

obeikandl.com

-٩-

محو أمية المواطنين لا يثمر شيئًا لو أنهم لن يقرأوا ويُعملوا عقولهم.. وهو ما يحدث مع كثير ممن يحملون شهادات جامعية، وقِس على ذلك الشهادات الأدنى والأعلى.. ربما شخص لا يقرأ، ولكنه يتوق للمعرفة فيعرف.. ويُعمل عقله مفكرًا فينعكس ذلك على تصرفاته وسلوكياته وتنميته لذاته وأهله ومجتمعه من ثم يصبح قدوة لآخرين قد يفيد بهم العالم كله..

الكثير - حتى الآن - لا يستطيع التمييز بين مفهومي «ثورة» و«انقلاب»..

العقول المقفولة والمظلمة تؤخر الفرد والمجتمع أكثر مما تتقدم به العقول المنفتحة المستنيرة!

* * *

هذا ما تمنوه في أثناء القيام بالثورة.. سواء قامت بالصدفة أو بتخطيط مسبق أو بتدبير خارجي، لقد نجحوا في جعل الوطن أفضل، لكن ذلك سيتضارب مع خطتي لتدريب نشء جديد على الشيء الوحيد الذي أجيده بحرفية..

القتل!

«عندما تتلاحق الكوارث تظن أن النهاية قد أوشكت.. وعندما تعتاد على هذه الكوارث مستبعدًا دنو لحظة الفناء، تفاجئك تلك النهاية في غفلة».

قال رجل ذو لحية على شاشة التليفزيون:

- لم نأتِ الدنيا كي لا نخطئ وإلا لخُلقنا ملائكة منذ البداية.. خلقنا جميعًا لنخطئ.. وليفوز في النهاية فقط من يستحق المغفرة..

ابتسم المذيع وهو يتجاوب معه:

- فتح الله عليك يا شيخ.

لكن الحقيقة أن الأكثر شرًّا هو الرابح الوحيد دومًا.. الأسوأ هو الأفضل، الشيخ والمذيع لا يفعلان سوى مجاراة الأحداث لا نقل الخبرة والمعرفة للمشاهد.

obeikandl.com

قال الضابط وهو يغلق شاشة التليفزيون بضغطة زر جهاز «الريموت»:
- الأدلة كلها ضدك.
- أنتم تستسهلون الأمر لمجرد وجود جريمة - متهم - أدلة، في حين ينبغي أن تبذلوا قليلاً من الجهد للتأكد من صحة الأدلة.. افترضوا أنها ملفقة وابحثوا عن متهم آخر.. عن أدلة أخرى.
- لدينا الكثير مما يشغلنا حقًّا، أنت تعرف بعد النجاح الباهر للثورة هناك الكثير من الانتقام وتصفية الحسابات.. ليس على المستوى الشخصي، بل على المستوى المجتمعي.
تململت في جلستي وأنا أقول:
- أعرف.. وزراء وسياسيون ومسئولون ورئيس مخلوع ورجال أعمال ذوو مصالح أضرت بالبلد. لكن هذا لا يمنع أن تتركني لحال سبيلي حتى تفرغوا من مهامكم العصيبة، أو آخذ حقي كأي مواطن آخر في إثبات البراءة.
- أي براءة؟! أنت تحمل بطاقة مزيفة، الرقم القومي غير مسجل بقاعدة البيانات، والاسم المدون ليس له شهادة ميلاد.
- اعتمادكم الكلي على التكنولوجيا دون تأمين حقيقي لها يجعل تزييف الحقائق أو قلب الزيف أمرًا غاية في السهولة.
- ماذا تقصد؟
دخل جندي في هذه اللحظة يخبره بوجود مشكلة ما، فأشار إليه الضابط بيده لينصرف ويعيد بصره تجاهي لأرد، فقلت:
- بطاقتي ليست مزيفة، وهناك من يحاول الإيقاع بي لأنني أشبه شخصًا آخر.. هم يريدون أن يبدو وكأن الشخص الآخر قد تم القبض عليه، وبذا تصبح الحياة جميلة وسلسة بالنسبة له.
- أي شخص هذا؟ ومن هم الذين يحاولون الإيقاع بك؟
يبدو ضابطًا شريفًا ولا يعرف ما تدبره لي المنظمة.. أو ربما ليس للمنظمة يد هذه المرة.

وردتني رسالة على «الموبايل»، أخرجتها ريثما ينهض الضابط لمتابعة أعماله الأخرى، قرأت:

«عندما يخبرك أحدهم أن مفتاح جهنم (٠٤٨)*، أو مرة واحد صعيدي فعل شيئًا غبيًّا، ثم لا تجد أي نكات عن أي محافظات أخرى، فاعلم أن الدعابة لا تتحدث عن المحافظة نفسها».

لم أفهم ما يقصده المرسل للحظة، كان الرقم غير ظاهر بالمرة كأنما الجن هو من أرسلها لي.. ثم فكرت إن كانت فحوى هذه الرسالة لغزًا..

تضليل؟ تشتيت؟

أعتقد أن للمنظمة يدًا في وجودي بمكتب تحقيقات المطار.. المنظمة تبعث لي برسالة إثبات قوة مرة أخرى.. لكن ما السبب؟

أنا تحت طوعهم مقابل نقودهم.. فلمَ هذه الحذلقة؟

لمَ هذا الاستعراض - غير المجدي - للعضلات؟!

يبدو أن هذا المدير مريض نفسيًّا.. أو عقليًّا.. لا بد أنه يعاني عقدة اضطهاد أو شيء كهذا.

سأدخر له رصاصة إذًا.. هو يستحق واحدة بكل تأكيد.

***

نهضت من الغفوة فزعًا على الرصاصة التي أطلقها صديق أبي.. منذ فترة لم يأتني هذا الحلم، فمارست طريقتي التقليدية في التغلب على الأرق كلما لازمني، بدّلت موضع قدمي بموضع رأسي على السرير، طريقة تؤتي أُكلها في معظم الأحيان.. هذه المرة ليست ضمن «معظم الأحيان»، فذهني مشغول بكل التداعيات المرتبطة بالأحداث الأخيرة..

وضع البلد، هل هو في تحسن حقًّا؟

لماذا يحتجزونني في المطار ويحققون معي؟!

obeikandl.com

ما الذي تسعى إليه المنظمة حقًّا؟!
ماذا يريد مني المدير غير قتل الذي يشبهه، ولماذا يعرقل المهمة باحتجازي هنا؟!
لما هناك من يشبه الشخص.. ومن يشبه المدير!!
هذا ما ملأ رأسي قبل أن ينفجر عند دخول الضابط من جديد لأعتدل في جلستي وأنا أتابعه بنظراتي المتسائلة..
وأخيرًا وقبل أن ينتهي اليوم، لا بد من اللمسة السحرية كالعادة..
اتصال مباشر من رتبة أعلى للضابط..
أدركت هذا من ابتسامته المباشرة لي وهو يضع السماعة على أذنه.

obeikandl.com

-١٠-

الفرح يجتاح الشوارع في مصر.. موكب الرئيس الجديد في أقل أعداده للتأمين، عناصر وزارة الداخلية سعيدة بفرحة الناس، وبنظرة المجتمع إليهم بإيجابية..

عمليتك القادمة ستكون الأكثر أهمية في تاريخك كله.. ستقتل الرئيس السابق!!

* * *

بادرت المدير فور رؤيته قائلاً:

- ما الداعي لقتل رئيس مخلوع؟

- أصابعه كثيرة.. طويلة وفي كل مكان، يصعب إدراكها كلها، وبالتالي قطعها كلها.. لذا الأسرع والأدق هو قتله مباشرة وكسر شوكة أصابعه القذرة.

قلت:

- لا تخبرني أن لكم يدًا في قيام الثورة.

- كلا بالطبع، إنه أمر فاق كل التوقعات.. كلها، ولكن لا بد أن يكون لنا دور في الحفاظ على عدم المساس بها لتحقيق أهدافها.

سكت لحظة ثم استطرد:

- لقد حصل على تشكيلة براءات كأنه ملاك أهانه البشر.. وجوده على قيد الحياة يوتر استقرار الوطن.

نظر إلى عيني منتظرًا رد فعل مني - كسابق عهدي به - ثم قال:

- مرة جديدة أسألك: كيف تزيّف البطاقات بهذه الدقة؟!

- الأمر ليس عسيرًا، أصلاً لا تزييف في الأمر.. البطاقات حقيقية تمامًا.

بدا مندهشًا منتظرًا المزيد، فأوضحت:

- موظفو الرقم القومي متعاونون مع المواطنين لدرجة ممتازة.

obeikandl.com

أرجع ظهره لمسند الكرسي وأومأ برأسه متفهما قبل أن يأتي النادل طالبًا الحساب.. وكنت أنتبه لمشكلة حقيقية فعلاً.. بمَ أذيل «فلسفة القتل»؟ لا يمكن الإفصاح عن اسمي الحقيقي. فلأكتب على غلافه: خلاصة تجربة «الشخص»!!

كان المدير قد حدد لي موعدًا لنلتقي في المقهى نفسه الذي قابلت فيه الشخص أول مرة بالإسكندرية.

أمور تغيير الوردية بين «الجرسونات» أمر سخيف ومحرج، قررنا الانصراف من المكان.. وبينما نحن نسير طلبت إجازة عقب تلك المهمة الخطيرة، فقال:

- حتى لو لم تطلب ذلك فهو أمر حتمي.. لا بد أن تختفي لبعض الوقت، بل لكثير من الوقت حتى تهدأ الأمور.

- لا عمليات استثنائية قبل ذلك الحين إذًا.

ابتسم مخرجًا من جيبه مظروفًا ناولنيه.. واستدار منصرفًا.

* * *

لم تكن النهاية مفاجئة، الجميع توقع الأفضل، وها هو الأفضل يتحقق أمامهم الآن.. فعندما تتحدد مصائر البلاد حول طاولة قمار وفي يد كل من الجالسين زجاجة خمر، تأكد أن النهاية صارت حتمية.. وموشكة، لكن الثورة قضت على ذلك، والنظام الجديد استبدل بطاولة القمار مجلس الشعب المنتخب بلا تزوير، وبزجاجات الخمر صناديق المقترحات المتاح للشعب الإدلاء فيه بدلوه.

بدأت النهاية بانخفاض أجور القضاة لأن القضايا الموكلة إليهم أصبحت قريبة من الصفر.. الناس يستردون حقوقهم بكبير العائلة أو شيخ الحارة أو مجالس فض النزاعات.. لم يعد هناك حاجة للقضاء غير الشكل الرسمي للدولة أمام العالم لا أكثر، لكن النظام الجديد عمل على استقلال القضاء وضمِن نزاهته..

obeikandl.com

الشجر والورود يملآن الشوارع، وعمال النظافة أحبوا عملهم لأنه أصبح أكثر إنسانية من أي وقت مضى، وأكبر من قدرتهم على التخاذل.. الخنازير نفسها أنفت التغذي على تلك الأوساخ، كأنما البقايا العفنة كانت محاطة بمجال سلبي من كل الموجودين في البلد، حال الناس نفسه كان في أسوأ أوضاعه.. كل شيء تبدل للأحسن كثيرًا جدًّا..

أن ترى الحياة لأنك تسكن في منزل من صفيح وتدخل حمامًا مشتركًا مع سكان عشرين صفيحة أخرى.. أن تأكل مرة كل يومين.. أن تنام ثلاث ساعات بالتناوب مع آخرين لضيق الأماكن المخصصة للنوم..

كلا يا عزيزي، الثورة غيّرت كل شيء للأفضل.. فهناك منازل لها حمامها الخاص.. منازل بها سرير لكل فرد من قاطنيها.. بل المنزل نفسه من الطوب والأسمنت وليس من الصفيح..

الكهرباء متاحة في كل لحظة، والإنترنت لا ينقطع، والنظافة تؤكد أن «القطنة ما بتكدبش».

ياللعجب!! بعض شباب يغيرون الحياة بهذه السرعة؟! بهذه الإيجابية؟!

العالم كله يرفع لنا القبعة احترامًا..

«ويجب أن نحافظ على هذا الاحترام».. كذا جالت كلمات المدير في ذهني بينما أصوب البندقية تجاه الهدف الذي بدا واضحًا أمام عيني داخل العدسة المقربة، غير أن الطيور متوترة هذا اليوم.. الرائحة المعدنية عند اقتراب أنفي من ماسورة البندقية للتصويب على الهدف تستدعي ذكرى كل مرة قتلت فيها مما أشعرني ببعض التوتر بدوري؛ لأن ما سأفعله هذه المرة يختلف عن كل المرات السابقة حتمًا..

الهدف نفسه يختلف بما سينجم عن ذلك من أخبار تجوب الإعلام عبر أثير الكرة الأرضية كلها، ومستقبلي سيكون على المحك لو لم أُجد التعامل مع الموقف كما ينبغي لعدم كشف هويتي.. لكن يبدو أن المدير لم يعمل حساب الطيور المتوترة هذه، لا بد من الانتهاء سريعًا إذا.

obeikandl.com

وفي لحظة تعامد منتصف جبهة الهدف مع تقاطع الصليب المرسوم داخل العدسة، ناداني ذلك الصوت القديم مرحّبًا..

التفتُّ لألمح جثته الضخمة، وسترته الخضراء المميزة قبل الاهتزاز المفاجئ للمبنى الذي أعتلي سطحه.. يبدو أنه انهيار عقار!!

ربما هو مجرد زلزال آخر!!

لم نكد نفرغ من الطعام المسرطن وجنون البقر ثم إنفلونزا الطيور والخنازير لتظهر لنا الزلازل والبراكين.

لكن لا يوجد براكين في مصر.

حقًّا! ربما كل الشرور سالفة الذكر لم تكن موجودة أيضًا!!

كنت أعرف أن أمور القتل هذه لا نهاية لها..

لا نهاية لها أبدًا!

obeikandl.com